ابحث عن الحمايـة...

المؤسسة العامة
للضمان الإجتماعي
ضمان... مستقبلك

هاتف 5501888
فاكس 5501889
www.ssc.gov.jo

Turn Sand **INTO GOLD**

Find your ideal investment opportunities in a world-class business environment. From tourism and recreational services to multi-model transportation, from professional services to value-added industries, with ASEZ, success is only a matter of choice.

AQABA
SPECIAL ECONOMIC ZONE AUTHORITY

P.O.Box 2565 Aqaba 77110 Jordan Tel 962 3 203 5757 Fax 962 3 202 0912 E-mail info@aseza.jo

www.aqabazone.com

لم يبعث رسّام الكاريكاتور عماد حجاج بمادته لهذا الأسبوع، على الرغم من الإتفاق المسبق، الذي جاء بناء على طلبه، ولهذا فنترك المساحة سوداء، لعلّ هذا هو مراده، حداداً على الحالة العربية.

شارع سليمان النابلسي

طاهر المصري يجلس على كرسي إعتراف "اللويبدة". ويفتح لنا قلبه فيقدّم تفاصيل حياة حافلة بتجارب إستثنائية.

نراهن، هنا، على أنّ القارئ الذي تابع عشرات المقابلات معه سيكتشف أنّه يقرأه للمرة الأولى.

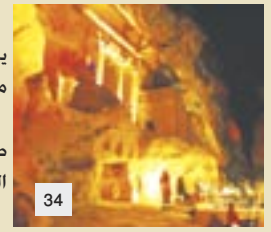

فازت بترا، وإحتفلنا بالفوز، ولكن كم منّا يعرف تاريخها مثل جمال أبو حمدان، ومن منّا يمكنه أن يقدّمه مثله؟

هنا ملف عن بترا، تحت عنوان :"بترا ورد صخري لا يذبل"، يشارك به الأستاذ عبد الله العتوم، وننشر به الكثير من الصور الخاصّة.

@ شارع مؤنس الرزاز : لقاء غير مسبوق مع الدكتور نبيل الشريف/ كتّاب العدد: جمال أبو حمدان، الدكتور جمال الخطيب، ناهض حتّر، عبد الله العتوم، عماد الحمود، سليمان قبيلات، أحمد النعيمي، ريما إيراني، مالك العثامنة، سامح المحاريق، وحازم الكيلاني.

الخاووز

بعض الصحافيين الغربيين في الشرق، يقدّمون أسوأ أنواع المهنية، ومنهم من يختطف ومنهم من يقتل، ولا يبدلون تبديلا.

الجاهة في الأردن قصّة، والزفاف قصّة، والزواج الثاني قصّ،والطلاق قصّة، هنا ملف بموضوعات مختلفة حول هذه كلّها..

@ شارع الباعونية: بدران وخضر تحققان أكبر إنجاز للمرأة الأردنية
@ شارع المأمون: المسقوف في مطاعم عمّان، لكنّه عند دجلة أجمل
@ ستوديو روكسي، صور وكلمات

صوت وصورة... ملف يستعرض أهمّ الأحداث التي جرت خلال شهر

الناشر: اليوم الأردني للنشر والتوزيع. رئيس التحرير: باسم سكجها. عمان-الأردن/ جبل اللويبدة.
هاتف 4656694 فاكس 4656693 ص.ب:950321 e-mail:alweibdeh@gmail.com

الأردن وسوريا
حتمية اللقاء، ضرورة البعاد
ملف خاص في العدد المقبل

لقطة خاصّة بـ" اللويبدة"/ من خليل المزرعاوي

المنتزه

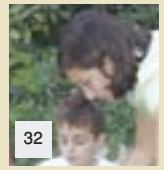

جمعية الرواد الشباب في "اللويبدة" تجد من الوقت بين أشغالها المتعددة لتهتم بأطفال الجبل الذين لا تهتمّ بهم أمانة عمّان الكبرى.

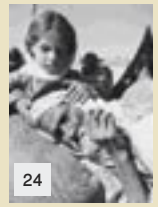

الفلسطينيون في المخيمات هم القنبلة الموقوتة، الذين يُشهر في وجههم شعار التوطين.

وهم لا ينسون بيوتهم في فلسطين، ولا يريدون أن ينسوها.

خلود الجاعوني، صحافية متميّزة، منذ سنوات طويلة، هنا تستعرض تجربتها التي تليق بفيلم سينمائي بوليسي طويل.

"اللويبدة" تبدأ بزاوية "تحت الطبع" لتنشر جزءاً من كتاب في المطبعة.

الفرنسي، لا يقول: أحبك، بل يقول: قبلات.

ناهض حتّر صاحب القلم الرشيق، الكاتب المثير للجدل، إبن جبل اللويبدة، يبدأ رحلته اليوم في "اللويبدة" المجلة، ويكتب عن أحلى بيت في عمّان، بيت يعيش في اللويبدة.

سليمان قبيلات، الذي حاول مطبخ الصحافة أن يدفن قلمه الحار، ينضمّ إلى فريق الكتابة، ومازن شديد يخصّنا بواحدة من قصائده الدافئة.

يوسف الحوراني، السياسي، الباحث، الفنّان، يستعيد بقلمه قصّة إرتحال العائلة من الزرقاء، إلى الجوفة إلى اللويبدة.

ربى البطاينة، التي تعوّدنا أن تكون من كاتباتنا الرشيقات، تحلّ ضيفة علينا لتجيب على أسئلتنا باعتبارها من رائدات العمل الإعلاني في الأردن، ولكنّها ستكتب في العدد المقبل.

سلّة الورد تكبر، وتكبر، وكلّه لقارئ "اللويبدة" الذي كرّمنا بحبّه، وغمرنا بلطف موقفه.

درج الكلمة

عمّان بين القلب والجسد

بقلم : جمال أبو حمدان

بعد أن قرأ المواطن "س"، الصفحات التي أفردتها "اللويبدة" لمدينة عمّان، أعادته القراءة، إلى تأمّل الغلاف.. حيث طالعه وجه كهل عمّاني، غطى وَجهه بكفّيه المعروقتين، وَتَرك، بين أصبعين فيهما، فرجة ضيّقة، تطلّ منها عينٌ متعبةٌ كليلةُ النظر.. على ماذا؟! من يدري!

لكن المواطن "س"، أحسّ وكأن بين تغضّن ملامح الوجه المخفي، وعروق الكفّين الظاهرة، بزفرة حرّى، حارقة، تتصاعد من اللهاث الحياتي، للكهل العماني...

لتقول: آآآآخ.. ياعمّان!

أمام لذعة هذه الآخ.. إشرأبّت في خاطر المواطن "س"، قولة المتصوّف "إبن العربي"، حين سُئل؟ "أيّ المدن أحب إليك؟"، فأجاب: تلك التي فيها إختُطِف قلبي"، إذ يحسّ بأن المدن قادرة على التغلغل في شغاف القلب، ليس بأهلها فحسب، بل بروحها الشاملة، بدءاً من دفء الأرض، إلى النسغ في عروق الأشجار، إلى حجارة البيوت، التي تختضن نبض الحياة.. وحتى الطرقات، التي تمتدّ كالشرايين الدافقة بالحياة في أوصالها.

وكلّما كان يسافر إلى مدينة ما، يحمل في قرارة الوجدان، ذلك الإحساس الطالع مع قصيدة قسطنطين كفافي، عن المدينة، والتي يقول فيها: " إنك لن تجد أينما ذهبت مدينة أخرى غير مدينتك التي تحملها معك أينما إرتحلت". دون أن تفقده القصيدة تلك الرعشة الملذّة في اللقاء مع الجديد الغامض.

إذ يجدها ماثلة، فيما بعد، في قرارة الخاطر والذاكرة، أثناء البحث الملهوف لإكتشافها، وإكتشاف نفسه معها في تجاذب ممتع.

مثل هذه المدينة، هي التي يحّب. وينفر من مدن لا تحمل أية خصوصية، فهي مدن ضيّقة، باردة الحجارة. فاقدة القدرة على الإحتضان، لا تشدّ أهلها إليها، إلا بالجغرافية مكاناً، وبالإعتياد زماناً.

أما مدينته الخاصّة، فلا تكتفي بأن تختضن أهلها، بل تعطيهم لذّة عناء حملها وإحتضانها.. فيكون للمدينة وأهلها عمر واحد، بكل مشاعره وأحاسيسه، وليس عمران في زمن واحد.

أمّا المدينة الحرومة من هذا لتوحّد، بين مكانها وزمانها وإنسانها، فإن نموّها يشبه نموّ الطحالب البرّية فوق تضاريس الأرض، والتي يوجدها المعماريون، ويخرجونها إلى السطح، بينما الطبيعة ترقب دونما إكتراث، وبينما التاريخ يحوّل عنها مجراه.

بهذه الأحاسيس، أطلّ المواطن "س"، من بؤبؤ الكهل العمّاني، عبر فرجة أصابعه المعروقة، على عمّان..

مدينته التي فيها، ومعها، يعيش.. والأثبت في الوجدان بين المدن، ومن نسغ الحياة فيها يحيا، وكلّما إمتدّ عمراهما معاً، إستحضر ما قاله إبن عربيٍ عن المدينة، التي فيها يُختطف القلب، فإزداد بها إلتصاقاً.

وكلّما همّ بأن يلوّح لها بمنديل وداع، إستذكر قصيدة كفافي، فيعود إليها على شريان القلب، وهدب العين.

وحين يقول "مدينتي" فإن "ياء" النسبة في الكلمة، تشكّل له قصيدة حبّ كاملة.

ولأن المواطن "س"، يحبّها حباً كبيراً، فإنّه يعتب عليها عتباً كبيراً، "والعتب على قدر المحبة".

فالحديث عن عمّان الكبرى، وقبل أن يتحوّل فيه زهو الكلام، ورخاوة الأحلام، إلى قساوة الحجارة، يردّه إلى تذكّر عمّان الصغرى. ويذكر معها كيف رآها تشبّ عن الطوق، بعد أن كانت تحبو ثم تدرج، على جانبي شريان مائي دائم التدفق، حتى فارت برغائب النمو.. فإمتدّ جسدها الحجري سريعاً، فوق التلال، وعبر الوديان، ثم صارت عمّان فرساً شموساً، تقفز فوق كل الحواجز الإجتماعية والإقتصادية.

وإحدى القفزات، حُشدت في عمان نسبة عالية من الأثرياء، أصحاب الملايين، قياساً على عدد السكان، والعمر الزمني.. خاصّة من أولئك الذين تاجروا وضاربوا بأراضي عمّان.

وقفزة أخرى، أوصلتها إلى المرتبة العليا بين المدن، من حيث الغلاء، وإرتفاع تكاليف المعيشة، بدءاً من الحذاء، وإنتهاء بالسقف، مروراً بكل حاجات الجسد والقلب والعقل. وقفزة أخرى جامحة، جعلتها الأعلى نسبة في عدد السيارات، بالقياس لعدد السكّان، والأكثر ضحايا من الأرواح، والأجساد المسحوقة تحت عجلاتها، وبين حديدها.

وفي إندفاع قفزاتها، كانت عمّان تقتد الحنان والحنو، فيضمر قلبها، كلما إمتدّ جسدها ونما، وتجفّ ألفة العيش فيها، ومعها.

وقد لا تجد المدينة، التي قيل فيها الشعر الرقيق، من يقول فيها قولاً، إلا إذا مرّت بخاطره قصيدة شاعر أسباني جاء من الريف إلى عاصمة بلاده، فصعفته الحياة القاسية فيها، فكتب بمرارة : "إن أيّة قصيدة في هذا الزمن، ليست لها قيمة، إلا إذا كُتبت على ورقة نقدية".

أو يتحسّر حزن شيخ عمّاني، طاعن في السن، وطاعن في التجربة، ومليء بالمحبة، يتذكر بحنين وتحسرّ طفولة عمّان وفتوتها، قبل أن تنقلها الأزمات، والعلاقات البشرية المبتورة، في تسارع نموها، الذي تسبق الأقدام فيه نبض القلب، ويعلو العمران فيه على العقل... ولا تسعف شيخنا موهبة الشعر فلا تجد في نفسه إلا زفرة حارقة، يصعد معها كلمتين فيهما من المرارة والتوجّع، بقدر ما فيهما من المحبة، هما:

آآآآخ... ياعمّان

فعلى إمتداد السنوات الأخيرة، إستطاعت عمّان أن تحقق الكثير من النضج والتفتّح، لكنها فقدت الكثير من ملامح طفولتها وعذوبتها وطيب عيشها.

والمدن، كالبشر، تدفع ضريبة النمو، فتفقد مقابل ما تجني. وعمّان كسبت الكثير في نموّها، لكنها فقدت أيضا الكثير مما يعزّ عليها فقده، وهي تتحوّل من لدونة الحياة، إلى غابات من الإسمنت والحجارة والحديد والزجاج. خاصة بعد أن أصابها هوس الأبراج، بعد إصابتها بهوس الأنفاق والجسور..

المحضرمون من أهلها مثل المواطن "س"، قادرون على التذكّر والمفاضلة، بين أمسها ويومها، فيتحسّر بعضهم، ويرضى بعضهم الآخر، إذ تُشرق نفوسهم ببهجة الإيمان بسنّة النمو والتقدم والتطور.

لكن هؤلاء يؤمنون أيضا، بوجوب إرتكاز سنن التقدم والنمو، إلى معادلة حياة توائم بين مطالب الجسد، ومطالب القلب والروح والوجدان.

وأكثر ما يثير التحسّر في هذا النمو، إبراز بهارج الأولى، وإغفال وإذبال الثانية، بحيث يحمل الحديث عن عمّان الكبرى، مذاقاً مرّ من قلب مدينة، أحببناها صغاراً، وأحبّتنا صغيرة، ثم راحت عواطفها تجفّ وتقسو، في جسد يمتدّ ويتزيّن على ترهل يجعله عُرضة لشيخوخة مبكرة.

فعمّان، صغيرة أو كبيرة، بحاجة من أهلها، محبّيها، إلى إنعاش نبض المحبة، والحياة الطيبة في قلبها وروحها، قبل رمي أثقال جديدة على جسدها.

عندها تزول قشرة العتب من نفس المواطن "س"، ويبقى لبّ المحبة في قلبه.. لتنمو في داخله، تلك العلاقة الخاصة بين عمان وأهلها، فهي بين المدن القادرة على تحقيق تطابق بين الإنسان والمكان والزمان، لجيل كامل، وُلد معها على عتبة قرن مضى، وعاش معها على إمتداده، ويشرئب بتوقه معها إلى مطل الزمن الآتي.

ويقول المواطن "س": لعمان ولأبنائها، عمر واحد، مغتبطا بهذه الحظوة في العلاقة بين المدينة وأبنائها.

فإنسان عمّان، يقدر أن يبدأ حديثا عنه وعنها، بذات العبارة: "عندما كانت عمّان صغيرة، وكنت صغيراً" أو "عندما كنت صغيراً، وكانت عمّان صغيرة.." ويمضي في حديث ذكرياته عن إمتداد المكان، وإمتداد الزمان، ولا يدري إن كان يتكلم عن المدينة، أو عن نفسه، إلى أن يتيقّن أنه يعنيهما معاً.

وقد يضمّن حديثه، ما قاله إبن عربي عن المدينة التي يختطف فيها القلب، وما قاله كفافي عن المدينة التي تسكن في الداخل، وتظلّ فيه أينما إرتحل..

لكنه، حتماً، سيبلغ ما قاله نويل أرنو :"أنا المكان الذي أوجد فيه.." ثم يؤكد أنه ليس وجود تصادف طارئ وعابر بل:"أنا المكان الذي أحيا فيه.." حياة إختيار واع.

وهنا، تمثل عمّان في وجدان إنسانها، ذلك المثول الحميم.

نادي الأردن

إشارات الإصلاح الشامل

نتمنى أن يلتقط المسؤولون الأردنيون إشارات الملك.

فقد علّمتنا التجربة، أنّ الملك يعطي إشارة، ثمّ أخرى، ثمّ أخرى، فإذا لم تلتقط قرون إستشعار مسؤول ما هذه المراحل الثلاث، التي قد تباعد بينها أشهر أو أسابيع، أو حتى أيام، فإنّ العودة الحتمية إلى البيت هي النتيجة.

وفي يوم، طلب جلالة الملك من البروفيسور الياباني كوهاما أن ينضم إلى الوفد الأردني، في زيارته لليابان، ليشارك في شرح الموقف الاقتصادي لبلادنا في طوكيو..

كان البروفيسور، الذي يدّرس في جامعة شيزوكا، أنهى قراءة ورقة عمل حول السياسات الصناعية في الأردن، وقدّم نصائحه بكيفية التعامل المستقبلي، التي يمكن ان تأخذ من بلاده نموذجاً، وخصوصاً في التعامل مع صندوق النقد الدولي..

البروفيسور الياباني، كان ألمح ألى سوء أدائنا السابق، حين قال إن دافع الضرائب في بلاده قد يرتاب حول المساعدات الممنوحة للاردن، كون الشعب الياباني يتوقع إستعمالا أمثل لهذه المساعدات في التنمية، لجعل الاقتصاد الاردني أكثر تنافساً.

كان ذلك قبل سنتين، أو أكثر قليلاً...

بعدها روّحت حكومتان..

الملك، وقبل فترة قصيرة، جمع المسؤولين، وتحّدث عن التراجع في حجم الاستثمار الأجنبي في الأردن، والملك ذهب إلى مستشفى الزرقاء وأبدى إستاءه من عدم تنفيذ الأوامر، والملك، وهو في عزّ إنشغاله في واشنطن يُرسل نائبه الأمير فيصل إلى منشية بني حسن، بعد أن تفجّرت قنبلة مياهها المسمّمة في وجوهنا جميعاً.

هي إشارات من الملك، فمن يفهمها، ويعمل على إيجاد حلول سريعة لها، يستأهل الخبر الثاني في نشرة الثامنة مساء على التلفزيون الأردني الرسمي، أمّا من لا يستطيع فكّ رموزها وهي واضحة، فلن يحصل على خبر في موجز الثامنة صباحاً، وسيتسلى ببعض أخبار قد تظهر ضدّه في الأسبوعيات، التي أراد أن يحفر قبرها قبل قليل.

وهناك إشارة أولى، وأخيرة، للملك، هي الإصلاح، وهذا يبدأ من مواسير الشرب في منشية بني حسن، وكلّ المنشيات في الأردن، ولا تنتهي مع القوانين والمشاركة والديمقراطية والشفافية والمرأة، وغيرها.

إشارات الملك تُلخّص بإشارة واحدة، هي الإصلاح الشامل...

خشوع بوتين

ليس الموضوع عن فلاديمير بوتين، الرئيس الروسي القوي، الذي يريد إستعادة هيبة بلاده أمام إمبراطورية تتسيّد العالم، وليس الكلام عن زيارة تاريخية له إلى الأردن، ولا هو عن الكلام التاريخي الذي قاله خلال وجوده في الأردن، وبدأ بتطبيقه خلال الشهر الماضي، ويتعلق بزيادة العيار حين يتعلق الأمر بالعلاقات الدولية، والانفراد المطلق للولايات المتحدة...

الكلام ليس عن هذا ولا ذاك، ولكنّه عن المكان الذي أخذت به هذه الصورة، وهو المغطس الشهير، الذي شهد

عند النهر المقدس

تعميد سيدنا المسيح على يد يوحنا المعمدان، والكلام أيضاً عن النهر الذي عطّشته إسرائيل الماء، والظلم الذي تشهده كلّ الأراضي التي تقع غرب النهر.

والكلام، أيضاً، عن إلحاد سوفياتي ألغى الأديان، ومكث على الأمر سبعين سنة، ولكنّ ذلك وغيره لم يستطع أن يلغي الدين من ضمير البشر، ومع إنهيار الامبراطورية، تعمّرت المساجد والكنائس والكنس، وأقيمت الصلوات، وها هو رئيس روسيا، أكبر مكوّن في الالحاد السوفياتي الزائل، يختار خلال زيارة قصيرة له أن يزور المغطس، بما للأمر من معان دينية واضحةو ويختار أن يطلّ بعينيه على النهر المقدس، والأراضي التي تليه، بما للأمر من معان سياسية أيضاً.

زيارة بوتين للأردن كانت أهمّ من مهمّة، وحملت دلالات كثيرة، ومن غير المعلن عنها ذلك التعاون العلمي الذي سيثمر في المستقبل القريب في منشأة إنتظرها الأردنيون طويلاً، وقد تكون جزءاً من حلّ تاريخي لمشلكتنا مع الطاقة.

ويبقى أنّ هناك خشوعاً في عيني بوتين، لن يخفى على أحد.

الملك كرّم "تعويذة" الرأي

"الفسفسة" لحاتم فرج لا لأبي خليل!

حاتم فرج؟

من لا يعرف حاتم فرج من صحافيي الأردن، لا يعرف الصحافة الأردنية، ولا يعرف شيختها :"الرأي"، حاتم مراسل ظلّ حارس باب محمود الكايد، رئيس التحرير الروحي للرأي على مدار سنوات طويلة، وحين كان أبو عزمي يغلق الباب قاصداً الكتابة، كان حاتم يجلس على كرسيّ مانعاً النسمة من أن تدخل، وحين ينهي الكايد، يحمل صاحبنا المقالة إلى التحرير، ليعود مع فنجان قهوة.

وقد بدأ حاتم الفرج حياته في "الرأي" صبياً، فعاصر الجميع، وله معهم كلّهم قصص، وما زال فيها حتى اللحظة، وحين كان الزملاء يداعبونه حول أمر ما، كان ردّه الدائم: بلاش فسفسة، ولعلّ صديقنا الساخر أحمد أبو خليل، الكاتب في "العرب اليوم" إستعار من حاتم هذا التعبير، حين عنون كتابه المعروف :"بؤس الفسفسة".

ويحلو لنا أن نعتبر حاتم التعويذة التي تحمي "الرأي" من كلّ شرّ، والأيقونة التي تعلقها على صدرها، وحين كان جلالة الملك يكرّم حاتم فرج بوسام على صدره، كان يكرّم "الرأي" كلّها.

الزيارة الحافلة التي قام بها خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز، واللقاءات المكثفة، والحفاوات غير المسبوقة، كلّها كانت من أسباب راحة نفسية للزائر الكبير، ولمضيفيه أيضاً، لكنّها كانت سبباً لتعب جسدي كان الأمير سعود الفيصل أوّل من ظهر عليه، حين طلب كرسياً للجلوس عليه في المطار، خلال حفل الوداع، في المطار.

وبعيداً عن السياسة، التي تشهد رأياً وتوجّهاً واحداً في الرياض وعمّان، كانت مدينة الزرقاء الفقيرة موضع إتّفاق أيضاً، حيث أطلق جلالة الملك عبد الثاني إسم خادم الحرمين على الزرقاء الجديدة التي ستشكّل نقلة نوعية في حياة سكّان المدينة ذات الكثافة الأكبر في الأردن.

الزعبي مشغول في روبيكون

تمّ التوقيع على تحالف إستراتيجي مشترك بين ميترو جولدن ماير "MGM" إحدى أعرق وأشهر استوديوهات هوليوود وشركة روبيكون الأردنية الشركة الرائدة في عالم إنتاج الوسائط المتعددة والرسوم المتحركة ثلاثية وثنائية الأبعاد، وجرت مراسم التوقيع في متحف السيارات الملكي، حيث وقعه عن شركة ميترو جولدن ماير نائب الرئيس التنفيذي ترافيس جي روثرفورد، والرئيس التنفيذي رندة أيوبي عن شركة روبيكون.

وقال رئيس مجلس إدارة روبيكون، وزير الاتصالات الأسبق الدكتور فواز الزعبي بهذا الصدد:" إيماني كبير بأن الأردن هي الوجهة المثالية لشركات مثل ميترو جولدن ماير "MGM" لتشكيل تحالف متين طويل الأمد يجلب الفوائد والمنفعة على الطرفين . تقدم الأردن من جهتها إلى جانب أصحاب المؤسسات الذين يتمتعون بالحنكة والإرادة والرؤية والعمل الجاد موارد بشرية موهوبة ديناميكية تتمتع بالمهارات اللازمة للنجاح . وهذا يعتبر قفزة مهمة لمنطقة الشرق الأوسط".

من جهتها قالت رندة أيوبي: "يعتبر هذا التحالف المميز شهادة لقدرة روبيكون على تمكين المواهب الأردنية من تحقيق إنجازات تلاقي المقاييس العالمية ، فأصبحت تثير اهتمام العالم بهذه المواهب".

المهمّ، أنّ الذين تساءلوا عن غياب الزعبي عرفوا السبب...

فرحتان غمرتا قلب العيطان

فرحة الفريق محمد ماجد العيطان مدير الأمن العام فرحتان. الأولى: بزفاف إبنه في حفل بهيج، طوّقه المحبون بفيض من الحفاوة.

أما الثانية، فكانت فرحته بنجاح الإستراتيجية الأمنية، في مرحلتها الثالثة، وتحقيقها نتائج لمسها القاصي والداني، وخصوصاً في هذا الصيف السياحي الواعد.

فمنذ أن تولّى العيطان زمام قيادة جهاز الأمن العام كانت الرسالة الملكية هي البوصلة التي حددت الأهداف، والوسائل، كان اولها التعامل مع نتائج المتغيّرات الاقليمية المحيطة وإنجاز مشروع"الأمن الناعم". وقبل ذلك كله فان الملك طلب في ذات الرسالة تحويل شعار الشرطة في خدمة الشعب الى فعل وممارسة يومية.

الأكشاك، ومشاركة المرأة

وعندما عقد العيطان مؤتمره الصحفي الأول أسند ظهره، إلى جدار التمسك بالشفافية في إعلان تفاصيل المرحلة الاولى من الاستراتيجية الأمنية، والتي تمثلت في تعميم الخدمة الشرطية على مختلف مناطق المملكة، باستحداث الأكشاك والمحطات الأمنية، ورفع جاهزية الكوادر، وإعادة تأهيلهم، وإضفاء لمسة حضارية على الجهاز الشرطي، من خلال زيادة مشاركة المرأة في مختلف ميادين العمل الشرطي.

فيما شملت المرحلة الثانية توسيع نطاق عمل أجهزة التنفيذ القضائي، إلى الدرجة التي تضاعفت فيها نسبة تنفيذ القضايا إلى أكثر من 15 ضعفاً، وكانت تلك من توصيات وثيقة كلّنا الأردن، ورافق ذلك التخفيف من أعداد الجرائم عبر إلقاء القبض على أرباب السوابق.

الحملات الامنية المكثفة التي تنتشر بين الحين والآخر والتدقيق على الهويات، وإن تسببت ببعض الازعاج للمواطنين، وخصوصاً في الفترات الليلية، جعلت نهارهم اكثر راحة واماناً.

أما المرحلة الثالثة، فقد شملت تحديث آليات الشرطة، وزيادة اعدادها، وخدمة المناطق النائية ورفع المستويات الثقافية للكادر الامني وتعميق الاختصاص، وقبل ذلك كله الاهتمام بالسجون التي ظلت في دائرة ضوء منظمات حقوق الانسان، بسبب سوء الاوضاع فيها.

الإنفتاح على الإعلام

وما بين هذه المراحل الثلاث، فان هنالك خيطاً رفيعاً نظم جميع خرزاتها، تجلى في الحرفية العالية والمهنية الرفيعة للجهاز الاعلامي الذي حمل الخطة وطاف لترويجها، وانجز اوسع مساحات التفاعل معها.

وان كانت اللويبدة تعرف جنوداً كثيرين مجهولين ساهموا في انجاح الاستراتيجية الاعلامية، إلا انها تحب أن تكرمهم عبر الاشادة بـ "رائدهم" "بشير الدعجة الذي "حبب" الشرطة الى قلوبنا، ونحت من الشفافية مصطلحاً جديداً في قاموس الشرطة لن يسهل محوه مع الايام.

لا نقول هذه الكلام مجاملة لاحد، ولكن الارقام والتقارير تؤكد ان معدل ساعات فتح المحلات اثناء الليل قد زاد بصورة محلوظة وان الشعب والشرطة يخدمان بعضها البعض.

مبروك للعيطان زفاف بكره ماجد

ومبروك لنا ان اسبع الله علينا نعمة "الأمن" التي تستهدي برؤى عبدالله، والامان الذي كان وعداً من الله

صندوق العلم على نار هادئة

لا تأتي المبادرات في حينها، ولكن بعد دراسات مستفيضة، وقد تكون مبادرة إنشاء صندوق العلم، science Fund واحدة من أهمّ المبادرات الملكية التي أعلنت هذه السنة، ولم تحظ بما تستحق من تغطية إعلامية.

وأعلن جلالة الملك عن تأسيس الصندوق خلال مؤتمر الحائزين على جائزة نوبل في البتراء في شهر أيار مايو الماضي، ولعلّ أهمّ سيكون عليه الصندوق ليس العشرة ملايين دولار التي ستكون النواة المالية له، ولكن الإشراف المباشر من العلماء الحائزين على نوبل، وهم بالضرورة أهمّ الموجودين على الأرض.

الدكتور باسم عوض الله مدير مكتب جلالة الملك هو المكلّف بملف الصندوق، ويقول حوله: إنّه سيكون صندوقاً عالمياً ومركزه عمّان، الأمر الذي سيعطينا فرصة تاريخية للاستفادة من تواجد هؤلاء الذين استحقوا أكبر جائزة علمية عالمية بيننا، واستعدادهم لتقديم الاستشارات العلمية المناسبة.

وعلمت "اللويبدة"، أنّ العمل يجري حالياً على صياغة الأنظمة الداخلية للصندوق، وتأسيس المقرّ، ولكنّ كلّ ذلك يجري بعيداً عن الإعلام، ومن المتوقع أن يكون هناك إعلان كبير في مؤتمر البتراء في العام المقبل.

وسيكتسب المؤتمر المقبل أهميّة خاصة بعد إنتخاب البتراء ثانية عجائب العالم السبع، وقد دفع هؤلاء العلماء باتجاه هذا الأمر، ومن المنتظر أيضاً حضور قويّ كبير للعلماء الذين لم يتمكّنوا من حضور المؤتمرات السابقة.

الرزاز يطمئن الأردنيين:

لا لقانون مؤقت

أشاع تصريح للدكتور عمر الرزاز الإرتياح في المجتمع الأردني، بعد إشاعات سادت الأجواء مفادها أنّ هناك قانوناً مؤقتاً سيصدر قريباً، سيعيد طريقة حساب الرواتب التقاعدية، الأمر الذي أدّى بالكثيرين إلى محاولة الإنسحاب من الضمان الإجتماعي.

وكان الرزاز، الذي جاء من بيئة عائلية شفّافة، ومن تجربة شخصية حافلة بالإنجازات، ومن تنافس حرّ على الموقع، قد وعد المجتمع الأردني مع تعيينه بأنّه سيمارس أقصى درجات الشفافية.

وكان الرزاز، وفي مناسبة أخرى، قال: إنّ عدد المشتركين في مؤسسة الضمان الاجتماعي بلغ 670 الف مشترك يعملون في 14500 منشاة في القطاعين العام والخاص ويشكلون 43 بالمائة من حجم القوة العاملة في المملكة مشيرا الى انه

لانية لاصدار قانون مؤقت للضمان الاجتماعي.

واضاف خلال لقائه عددا من ممثلي القطاعات الصناعية في غرفة "صناعة عمان" إن مؤسسة الضمان الاجتماعي تصرف رواتب تقاعدية لحوالي 94 الف شخص ويبلغ حجم الايرادات التامينية للمؤسسة في العام الماضي2006 نحو368 مليون دينار وبلغت النفقات التامينية المصروفة على الرواتب التقاعدية واصابات العمل وتعويضات الدفعة الواحدة 42 مليون دينار وبالتالي هناك وجود فائض يقدر بـ 126 مليون دينار.

Art راضي ألخص
يخصّ الأردن بمعاملة تفاضلية

"إيه آر تي " ART التي إستقرّت في عمّان منذ سنتين، بقيادة التلفزيوني البارع راضي ألخص، بعد شرائها مباني وتسهيلات شركة الإنتاج، بدأت تقدّم عروضاً خاصّة، يمكن القول إنّها صارت في متناول المواطنين الأردنيين، وتستطيع "اللويبدة" أن تؤكد أنّها أرخص بكثير من تلك التي تُعرض في أسواق عربية أخرى.

الشركة كانت تعرّضت لانتقادات كثيرة خلال بطولة كأس العالم، والمعروف أنّها تحتفظ باحتكار نقل الكثير من العروض الفنية، والمناسبات الرياضية، عبر عقود خاصّة، منها الدوري الأردني، ومهرجانات مهمة في العالم العربي.

العرض الأخير، الذي يمكن الحصول عليه من خلال شبكة "فاست لينك" أيضاً، هو خمسون ديناراً بالسنة، وهذا يعني أقلّ من أربعة دنانير بالشهر.

بدران وخضر تحقّقان أكبر إنجاز للمرأة الأردنية

حقّقت الناشطة الاقتصادية، وفي شؤون المرأة، ريم بدران، انجازاً على صعيد حقوق المرأة بأن انتزعت قراراً من دائرة الاراضي والمساحة الاردنية ، لصالح المرأة الاردنية يقضي بقبول شهادة المرأة الاردنية كالرجل تماماً في مديريات الاراضي بالمملكة، بعد ان كان ذلك حكراً على الذكور فقط .

وجاء الإنجاز التاريخي اللافت، بالتعاون مع المحامية أسمى خضر، التي تحقق معه أكثر بكثير ما حققته خلال تواجدها في الحكومة، وزيرة وناطقة رسمية، ونقل عنها موقع "عمون" الالكتروني قولها: إن القضية تعد انجاز للمرأة بعد سنوات من الاجتهادات لهذا الامر بين موظفي الدولة، وتحققت المساواة بعدالة وشفافية .

ولفتت إلى أنّ " هناك لجنة تقوم الان بمتابعة القوانين والقرارات التي لا تساوي بين الرجل والمرأة وستعمل على ازالة الغبن بكافة الصور والاشكال"

وكانت ريم مضر بدران المدير التنفيذي للشركة الكويتية الأردنية القابضة، قد وجّهت رسالة إلى وزير المالية قالت فيها:

معالي وزير المالية المحترم

الموضوع: شهادة المرأة لدى دائرة الاراضي والمساحة

بعد التحية والتقدير ...

معالي الوزير، لقد ارتأيت ان اضع بين ايدي معاليكم تجربة خاصة قد واجهتني لدى دائرة الاراضي والمساحة كونها جهة تابعة لادارة معاليكم، حيث فوجئت قبل فترة وجيزة واثناء انجاز معاملات خاصة بي لدى دائرة الاراضي والمساحة بمنعي من الشهادة وذلك فقط كوني امراة حيث اوضح الموظف المختص ان ذلك مخالف للقوانين مما اثار استغرابي ودهشتي وامتعاضي حيث يمكن قبول شهادة شخص لا يمت للموضوع بصلة فقط لانه رجل، فبالرغم من المعاملة الجيدة لدى الدائرة الا ان مثل هذا الاجراء المخالف للقوانين يحط من قدر المرأة وينتقص من حقوقها.

فمن الناحية القانونية لا يوجد ما يمنع من شهادة المرأة، لا في التشريعات الناظمة لعمل دائرة الاراضي والمساحة ولا في المبادى العامة للقوانين العامة الاخرى، ففي حين اشترط القانون وجود شاهدين عند اجراء معاملات فراغ الاراضي فلم يتم تحديد جنس الشاهدين حيث ورد النص مطلقا والمطلق يسري على اطلاقه ما لم يجد ما يقيده، ولا يوجد كما ذكرنا ما يقيد هذا النص.

وعليه ارجو معاليكم التكرم بالاطلاع على الموضوع والبحث في سند مثل هذا الاجراء وتعديل ما يلزم من اجراءات لهذه الغاية حفاظا على حقوق المرأة وكرامتها التي عهدناها في بلدنا الحبيب في ظل جلالة الملك عبدالله الثاني وجلالة الملكة رانيا العبدالله حفظهما الله.

ريم بدران

برامج الإصلاح تتعثّر على أعتاب أكبر حزب في الأردن

هناك عشرات الأحزاب الأردنية، منها ما هو حقيقي، ومنها ما لا يُسمن أو يغني من جوع، أمّا ذلك الحزب الذي لم يسجّل في وزارة الداخلية، ويحرز أكبر النجاحات على الساحة فهو "الحزب البيروقراطي الرجعي"، الذي قُدّر له أن يقف عائقاً أمام برامج الإصلاح الإداري والإقتصادي، وربّما السياسي أيضاً...

فما زالت المعاملات الرسمية تتطلّب عشرات التوقيعات، وتنتظر إجتماعات اللجان، ويتساوى أمامها ذلك الذي سيفتح دكاناً صغيراً مع شركات استثمارية بالملايين، وفي الوقت الذي تخصّص فيه الدوائر الحكومية مساحات لخدمة الجمهور يطلب الموظّف من المواطن الذهاب إلى كتّاب الإستدعاءات خارج الدائرة، وفي زحمة الأوراق المبعثرة على المكاتب، تضيع المعاملات، ويطالب المواطن بالتعويض عمّا فُقد منها، في سلسلة من حلقات طويلة من البيروقراطية التي لا يمكن لبرنامج إصلاح أن يغيّر في واقعها شيئاً...

وآية المنافق ثلاث.. وهذا هو شعار الحزب، وهذا المنافق إذا حدّث كذب، واذا ائتمن خان، واذا وعد اخلف، وفي غياب الامن الوظيفي للعامل في الجهاز الاداري العام، وفي القطاع الخاص، يصبح النفاق عنوان العمل، وتبدو آياته المذكورة هي النمط الواضح هنا وهناك..

وفي الوقت الذي ظلّ فيه الترهل الإداري المطلب الاول للشطب من قاموس العمل، فإنّه ظلّ أيضاً عصيّاً على العلاج، بعد ان صار خالفه مع الفساد الاداري مقدساً، فأفرز الشلل، وخلق أدوات البقاء في صراع لم يعد فيه الأصلح هو الأجدر بالإستمرار، بل يواصل العمل ذلك المنافق الذي أتقن إستخدام آياته..

ويتحدّثون، في الجهاز الاداري الحكومي، عن شهادات تقدير السن، التي ترقى إلى درجة التزوير، والتي تطيل عمر الكثيرين في العمل، بعد ان يبلغوا سن التقاعد، في حين ان الكثيرين من أصحاب الكفاءة يحالون على التقاعد في سن مبكّرة، لأنّهم لم يتقنوا فن النفاق، أو لم يمارسوه أصلاً..

فالأمن الوظيفي، الذي يتحقق للبعض، ويسحب من البعض، ليس سوى تعبير عن فساد من نوع خاص، تساعده قوانين لا تليق بهذا الزمن، وممارسات لن تؤدي إلّا الى تفاقم المشكلة اكثر فاكثر.

هذا الحزب، "الرجعي البيروقراطي الأردني، ما زال هو المسيطر على الساحة، وسيظلّ يفوز في كلّ إنتخابات، ويعيّن في كلّ الوظائف، إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً، وهو الإصلاح، ولا شيئ غير الإصلاح.

فلسطينيو الشتات القنبلة الموقوتة

بقلم : عباس اليافي

قدّر مركز الإحصاء الفلسطيني المركزي في غزّة، قبل أربع سنوات، أنّ عدد الفلسطينيين في العالم يصل إلى نحو تسعة ملايين ونصف المليون شخص. وجاء في تقرير له: أنّ هناك نحو ثلاثة ملايين وستمئة ألف فلسطيني في الضفة الغربية وغزة والقدس، وأربعة ملايين وستمئة ألف في الأردن ولبنان وسوريا ومصر وبلدان أخرى، وتوقّع أن يتضاعف الرقم في السنوات العشر المقبلة...

وفصّل التقرير الأرقام على النحو التالي: في الضفة الغربية مليونان وثلاثمئة ألف، وفي قطاع غزّة مليون وثلاثمئة ألف، وفي إسرائيل مليون، وفي الأردن مليونان وسبعمئة ألف، وفي سوريا أربعمئة وثلاثة وعشرون ألفاً، وفي لبنان أربعمئة وثلاثة آلاف، وخمسمئة وثمانية وسبعون ألفاً في الدول العربية الأخرى، ومئتان وثلاثة وعشرون ألفاً في الولايات المتحدة، ومئتان وخمسة وتسعون ألفاً في باقي أنحاء العالم.

12 مليون فلسطيني

وكانت تلك المرّة الأولى، والوحيدة، التي يُعلن فيها بالتفصيل عن عدد الشعب الفلسطيني، الموزّع على أنحاء العالم، وليس مفارقة أن نعرف أنّ عدد المتواجدين خارج أرض فلسطين التاريخية، من النهر إلى البحر، يكاد يساوي عدد المتواجدين فيها، وكلّ هؤلاء ينطبق عليهم وصف اللاجئين، ويطالبون بالتالي بحق العودة والتعويض على المستوى القانوني الدولي، ويحنّون إلى بلدهم المحتلة منذ تسعة وخمسين عاماً، ويتذكّرونها، ويحلمون بالعودة إليها على مستوى القانون الإنساني...

وبحساب النمو الطبيعي للسكان، وبالمعدلات المعروفة، فالشعب الفلسطيني في العالم يبلغ الآن نحو إثني عشر مليوناً، أقلّ من نصفهم في بلادهم تحت الإحتلال، ويتوزّع أكثر من نصفهم على المخيمات في فلسطين والأردن ولبنان وسوريا. ومع ما حصل في مخيم نهر البارد في الشهرين الماضيين، تعود مسألة المخيمات الفلسطينية إلى صدارة البحث، فالتجاهل على المستويات المختلفة، السياسية والإجتماعية، والتهميش الذي تقابل به، تسمح للكثير من التيارات المتطرفة بالانتعاش، وتترك الشباب الجديد عرضة لقناعات العنف والعدمية.

حقّ العودة إلى المخيّم

ومن المفارقات، أنّ الذين خرجوا من نهر البارد، وعاشوا في ظروف مستحيلة في مخيمات أخرى، نظّموا مسيرة حملوا خلالها يافطات تقول :حقّ العودة إلى المخيّم، وكان الأمر جارحاً إلى درجة أنّ الكثير من الكتاب تناولوه باعتباره يعكس مدى ما وصلت إليه القضية الفلسطينية من تردّ، فحق العودة إلى فلسطين، يتقلّص ليصبح حقّ العودة إلى المخيم المفترض أن يكون مكاناً مؤقتاً، وقد أصبح مركز معيشة بعد نحو ستين عاماً.

أمّا المفارقة الكبرى فهي في أنّ التسويات السياسية لا تتطرّق إليهم أبداً، وتعتمد ضمناً مسألة توطينهم في الأمكنة التي يتواجدون فيها، وإذا كانت الانتفاضة الفلسطينية أثبتت عدم إمكانية قبول فلسطيني الداخل بأقلّ من الدولة الفلسطينية في حدود الرابع من حزيران، فإنّ تداعيات المستقبل ستثبت بالضرورة أنّ فلسطيني الخارج لن يقبلوا بأقلّ من العودة، وهي المشكلة التي ستأتي بعد مايسمّى بالحلّ، أو التسوية...

القنبلة الموقوتة

وكنّا نتمنّى، بناء على ذلك، أن يتطرّق التقرير إلى عدد الفلسطينيين الذين ما زالوا يعيشون في المخيمات، وسنعرف حينها أنّهم يشكّلون أكثر من نصف الشعب الفلسطيني، وهؤلاء موزّعون على مخيمات في الداخل والخارج أيضاً، ولتكون النتيجة أنّ هؤلاء هم القنبلة الموقوتة التي قد تنفجر في أيّة لحظة، في غياب إنتباه العالم إلى مشكلتهم المزمنة...

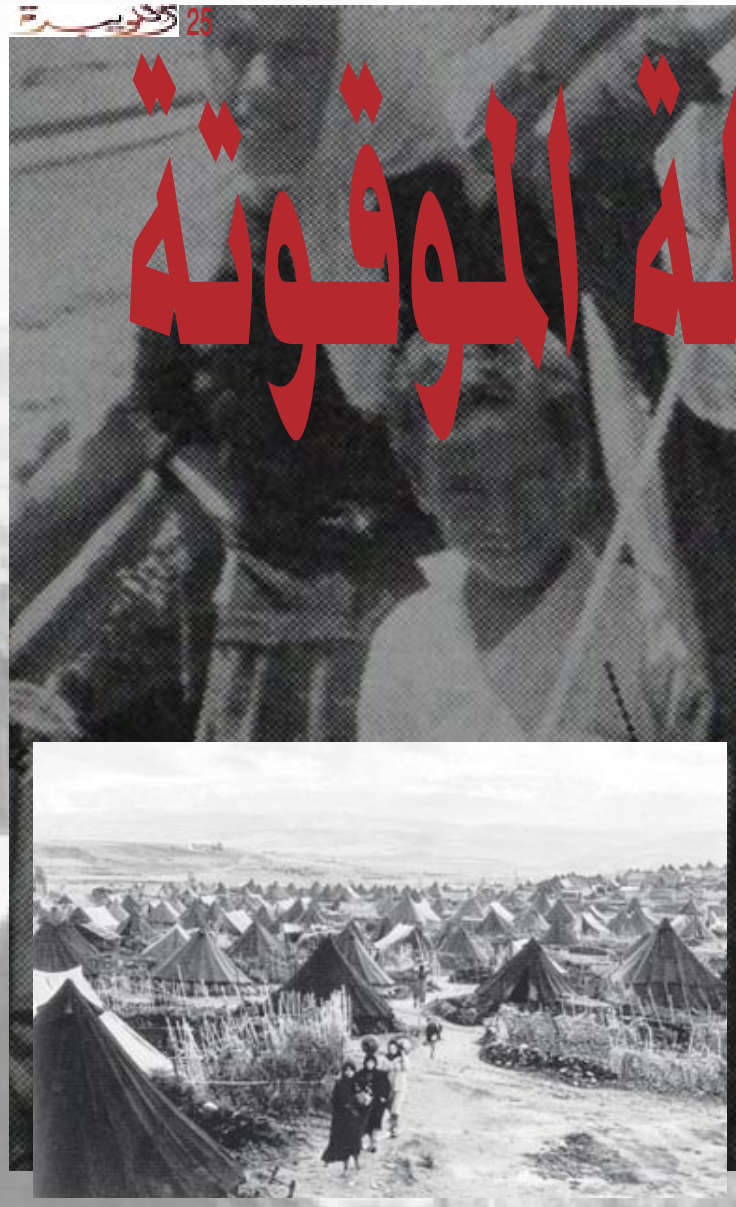

وفناعتنا، كانت، وما زالت كاملة و في أنّ العالم لم يفهم بعد القضية الفلسطينية، ولم يفهم بالتالي الطريقة التي يفكّر فيها الفلسطينيون، حيث تتلخّص الأمور بكلمة واحدة هي فلسطين، الأرض والفكرة، وكلّ ما يتعدى ذلك لا يعدو كونه حبّات أسبرين.

الصور المنشورة

وفي الصور المنشورة، هنا، مفاجآت كبيرة للكثيرين، فهي لمخيم البقعة في الأردن، وهو أكبر المخيمات على الإطلاق، وحتى الكثير من سكانه من الشباب لا يعرفون أنّه بدأ خيماً متناثرة تقام في أحوال مستحيلة.

وتثير صورة بانورامية التقطت لمخيم البقعة، في العام 1967، فينا، الكثير الكثير من الحزن والأسى، فالخيام البيضاء التي استغرقت المكان ليست الحيز المناسب لسكن انسان...

هذه الصورة، التي نشرتها وكالة "أونروا" في كتاب صدر لها مؤخراً، لم تكن تمثل سوى مكان واحد، من عشرات، تتناثر حول المدن الأردنية والفلسطينية والسورية واللبنانية، وتلخص المأساة التي يعيشها اللاجىء الفلسطيني منذ أكثر من نصف قرن...

مفاتيح البيوت العتيقة

وقد تعطي صورة بانورامية حديثة للمكان نفسه شكلاً آخر، ففي المخيم بنايات وشوارع ودكاكين، وحركة دائبة، فقد أصبح أشبه ما يكون بالمدينة الصغيرة، لكن الصورة من الداخل ما زالت تعطي نفس الروح، وما زال الأحفاد، حيث الجيل الثالث يتطلع الى الهدف نفسه: العودة الى الوطن، مهما باعدت المسافة، ومهما طالت الأزمان...

فمفاتيح البيوت العتيقة، التي تركت على عجل ما زالت موجودة، وكواشين الأراضي والعقارات توّرث كما يورث الحلم، ولا يحفل أحد هناك بما يأتي في الأخبار يومياً، فالوطن لا يستبدل، والحق لا يضيع ما دام وراءه مطالب...

واذا كان رئيس وزراء كندا، الذي أنكر انه وافق على استقبال خمسة عشر ألف لاجىء فلسطيني، قبل سنتين، مع ان سياق الأحداث أكّد الأمر، لم يستمع في زياراته حينها للمخيمات، الى عتب من اللاجئين على المسألة، فلأنها لا تعنيهم، لأن فلسطين من هنا، من حيث يعيشون، على مرمى حجر، ولأنهم باتوا يستمعون الى الآخرين، ليل نهار، يتجادلون في مصيرهم، دون أن يكون لهم أدنى رأي، أو ان يتم الاستماع الى أفكارهم الحقيقية...

مخيّم سوف

على أن شباب مخيم سوف ردّوا ضمناً يومها على جان كريتيان، الذي اشتبك معهم في حلقة دبكة، فقد غنّوا له عن يافا وحيفا واللد والرملة وعكا، واستعادوا فولكلور البلاد، ولعلّهم ألقوا في وجهه صور الآباء والأجداد، وقرأوا له رسائل السجناء والشهداء، وأكدوا ان العودة حق أكدته الشرعية الدولية، وتعرفه القلوب والعقول، ولا تتنازل عنه الأرواح...

إسرائيل والفلسطينون

الفلسطيني الجيد..

هو الفلسطيني الميت..

هذا ما كان مناحيم بيغن يؤكد عليه، فالقبر هو الملاذ الوحيد للفلسطيني، الذي سيظل ملاحقاً إلى يوم الدين، ولسنا نرى شيئاً تغيّر، منذ دخل بيغن إلى الغياب، فقبر الفلسطيني قد يكون مخيماً، أو عملاً حقيراً، او دولة حكم ذاتي صغيرة، تحدها اسرائيل شرقا وغربا، شمالا وجنوبا.

وليس للفلسطيني منفى.

فأهله، الذين شاركوه الهزيمة، وكفّروا عن خطاياهم فاستقبلوه لاجئاً، في يوم ما، فوضعوا له الخيام بيتا، باتوا يرون فيه منافساً على وطن لم يتشكل بعد، وينتهزون الفرصة، تلو الاخرى، ليذكروه بانه غريب الوجه واللسان، وان زمنه توقف في العام 48، وحتى تعود عقارب الزمن الى الوراء، فان عليه ان يظل خارج الحياة.

الأوطان البديلة

وتثور في لبنان زوبعة.

لكنها في فنجان.

ولا يخلو حوار سياسي من الكلام عن التوطين، ويخرج علينا منظّرو الحرب الاهلية المتواصلة بشكل مستتر، بان المؤامرة على لبنان، الآن، تحمل عنوان التوطين، ثم نسمعهم يصرخون »لبنان ليس للبيع«، وكأن الفلسطيني في سوق اوطان، يحمل نقوده معه، ويبحث عن وطن جدير بالشراء.

لكن الفلسطيني في لبنان يصرخ عبر نفس وسائل الاعلام مؤكدا انه لا يريد بديلا للوطن، بديلا لفلسطين، لكن لا من يسمع ولا يحزنون. فاذا كان اللبناني يرفض التوطين، والفلسطيني يرفض ان يستوطن، فلماذا الزوبعة اذن؟

على ان هذه الزوبعة المفتعلة تخرج احيانا على الذوق، وعلى الاخلاق ايضا، فوزير لبناني معروف يقول ان الفلسطينيين يتكاثرون كالارانب، وكل زواج ينجب عشرة أبناء، الأمر الذي يجعله في تخوف من أن عدد الفلسطينيين سيفوق عدد اللبنانيين، وهو قول عجيب غريب، مع معرفة ان المخيمات الفلسطينية في لبنان ممنوعة من ادخال كيس إسمنت واحد، خوفا من البناء، ومع معرفة عدد الشهداء الذين راحوا ضحية عدوان العدو، والصديق على السواء.

والفلسطيني متهم، دوماً..

وفي يوم كان النضال الفلسطيني يملأ الدنيا ويشغل الناس لكن العالم تكالب عليه باعتباره الارهابي رقم واحد، وحين دخل نفس الفلسطيني الى الحل السياسي صار الخائن رقم واحد.

لا بديل لفلسطين

ويبقى ان نتساءل: متى سيصدّق المشككون ان الفلسطيني لا يريد بديلا لفلسطين، وان مفتاح البيت العتيق ما زال موجودا، وان لا بد من فلسطين مهما طال السفر.. وطال الشقاء.. وطال المنفى..

ويافا، واللد، وحيفا، والناصرة، وعسقلان، والطيرة، وعكا، وكلّ فلسطين، ستظل في القلب، والعودة توّرث الى الأبناء...

محمود درويش
عائد الى حيفا

الدكتور جمال الخطيب

في حضرته لا غياب..
في حضرته تشعر أنّك أكبر...
أنّ قامتك أطول، تتحرّر من أنانيتك، تتحرّر من ذاتيتك، لتكسب ذاتك.
تعُجب بأنّك مُعجب.
هو المعنى، وأنت القصد، هو القائل، وأنت المناسبة، هو الراوي، وأنت الحكاية...
هو الشاعر، وأنت القصيدة، يقولك، يُغنّيك، ينشدك، يرثيك، ويحييك...
يبقيك على الرغم من محاولات شطبك
يبقي على ذكراك وعلى ذاكرتك ان نسيتك نفسك او سقطت روحك سهوا وانت تسعى بين الامن والرغيف
هو الراوي حافظ الحكاية
في البدء كان الكلمة
هو سيد الكلمة
سيد الكلمات الحاضرة عن وطن
هل يكون الشعر وطنا؟ هل تنوب الكلمات عن التلال ؟ او ينوب اللحن عن العصافير ؟
محمود درويش
أفكارٌتتزاحم على اللغة
لغة ترسم الافكار ولحن يُرقِّصُها
معنى ينساب في كلمات ..
كلمات تُنقِّط الحروف
وهو ...
حرف الاشارة اليك
وضميرك الحاضر
جمع التكسير..ولم الشتات المبعثر
كمنجات لحنك الباحث عمن يعزفه هو من يحيل النغمة الى صوت
هو المتشائل والبهلول ويعاد ووليد مسعود و"ام سعد "و"أحمد الزعتر"
وهو ال"عائد الى حيفا"
هو انت
هو أنا
هو نحن
به يكون المفرد جمعا
وبه تختصر دون ان تقل

المواشي، بين التعداد المثير للجدل، والتلوّث في المنشية

تصدّرت المواشي في الأردن الأخبار في الشهر الماضي. وإذا كان تعدادها سبب مشكلة أرجعت إلى أخطاء في العدّ أو الكتابة أو الجمع. وقُبيل ذهاب العدد إلى المطبعة ظهرت النتائج النهائية. وثبت أنّ العدد الرسمي أقلّ من الذي أعلن قبله بمائتي ألف!

المهمّ أنّ عدد المواشي في بلادنا أقلّ من عدد السكان بقليل. الأمر الذي دفع ببعض المعلقين السياسيين إلى مفارقات سياسية ربطوها بالانتخابات.

وألطف وأغرب تعليق على الخبر جاء على وكال عمون الإخبارية الالكترونية. ويقول: ليش هالتركيز ع المواشي؟ يعني ممكن المواشي تصوت بالانتخابات؟!

الأمر الآخر الذي دخلت من خلاله المواشي. هو تلوّث مياه منشية بني حسن حيث ظهر التعليق الحكومي مؤشّراً لدور في مواشي المنطقة.

ماسورة ومواشي

فنُكسر ماسورة مياه. وتبرّك المياه المتسرّبة تحتها. فتشرب منها الحيوانات وتتعرّض لأسوأ أنواع التلوّث. فتختلط المياه الملوّثة مع النظيفة. وتعود لتمرّ في الماسورة الأصلية.

ولا نعرف كم من الأيام أو الأسابيع التي ظلّ أهل منشية بني حسن يشربون منها. ولكنّنا نعرف أنّ عدد الناس الذين دخلوا المستشفيات وصلوا إلى أكثر من مائتين وخمسين..

قصّة تليق بمسلسل مصري. أو فيلم هندي. ولكنّها الرواية الرسمية التي لا تدحضها رواية مقابلة. وتذكّرنا بحكاية محطّة مياه زيّ التي كانت تغذّي عمّان. وعلى الرغم من إكتشاف حالات كثيرة من التلوّث. فإنّ الحكومة ظلّت

تنفي. ولا ننسى أنّ عدداً من الوزراء زاروا المحطة وشربوا من المياه أمام الكاميرات. ولكنّ ذلك لم ينطل على أيّ أحد. وفي آخر الأمر فقد رحلت الحكومة ضحية لما حدث.

ولسنا هنا نشبّه هذه بتلك. ولا نلمّح إلى شيئ. وأحسن رئيس الحكومة هذه المرّة بالتعامل مع الملف بنفسه. وأحسن أيضاً حين كشفه بصراحة عن إشتباهه بالتقصير. وبتشكيل هيئة تحقيق. ولكنّ ذلك كلّه ينبغي أن يتبعه فعل حقيقي. ومتابعة تطمئن الناس. ومحاسبة. وتعويض أيضاً.

ففواتير المياه لا ترحم الناس. ولا تنتظر الجهات الرسمية كثيراً قبل أن تقطعها عن البشر تنفيذاً للقانون. وهنا ينبغي على القانون أن يفعّل على الجهتين. فمن حقّ من تعرّض الى التلوّث. وصارت حياته في خطر أن يطالب بالعطل والضرر والتعويض. ولعل هذه رسالة إلى أهالي منشية بني حسن بعدم السكوت. وممارسة أبسط حقوقهم المواطنية.

شارع المأمون

المسقوف ينتشر في عمّان لكنّه على شواطئ دجلة أجمل

وجد صاحب مطعم "المسقوف" ذياب ابو غوش الذي استمد اسم مطعمه من طبق سمك المسقوف المتعارف عليه بالعراق، أن المطعم الذي كان موجها للجالية العراقية لقي استحساناً من الأردنيين بالإضافة إلى الجاليات الخليجية بشكل عام لا سيما أن موقعه في منطقة الجبيهة يجعله قريباً من اسكانات طلاب الخليج الجامعيين.

ويؤكد أبوغوش أن تزايد أعداد المطاعم المتخصصة بتقديم الأكلات العراقية ساهم في ترويج هذه الأصناف عند المواطن الأردني، لافتاً إلى تفضيل المواطن الأردني لطبق سمك المسقوف.

ويشير أبو النور أن اعتدال سعر "المسقوف" بتقارب تكلفة الوجبه منه لتكلفة وجبات المطاعم السريعة إلى جانب قيمته الغذائية وغناه بالفسفور بدرجة اكبر من أنواع الأسماك الأخرى مما يجعله طبقاً مفضلاً للكثيرين.

وقد تزامن التوسع في انتشار المطاعم العراقية في أنحاء العاصمة الأردنية عمان مع تزايد عدد العراقيين المقيمين في الأردن لاسيما خلال العامين الماضيين، وجاء هذا التوسع مبرراً، بحسب عاملين في هذا القطاع، باعتباره استثماراً مثمراً يوفر خدمة تقديم الأكلات التقليدية والشعبية لمحبيها من العراقيين المقيمين في عمان.

وتتنوع المطاعم المنتشرة في العاصمة الأردنية تبعاً للأصناف المقدمة، فبعض المطاعم العراقية متخصصة بمجال الأسماك وخصوصاً سمك "المسقوف" الشهير، وبعضها الآخر متخصص بتقديم أكلات شعبية تقليدية مثل القوزي والتشريب العراقي والبرياني والدولمة.

واستمدت تلك المطاعم تسمياتها التجارية من اسماء بعض المناطق أو الأكلات العراقية إذ يعرف المار بمجرد قراءة اسم المطعم أنه مطعم يقدم الوجبات العراقية التقليدية.

ويصنف مدير مطعم سومر، هادي عنيد أبو سلام، زبائنه لافتاً إلى أن الغالبية العظمى من العراقيين وتأتي الجالية الخليجية في الدرجة الثانية لافتاً إلى وجود زبائن دائمين للمطعم من المواطنين الأردنيين لكن بأعداد أقل ويقول "من يطلب الأكلات العراقية غالباً ما يكون من الأردنيين الذين عاشوا بالعراق لفترة"، فيما تشير تقديرات غير رسمية الى ان عدد العراقيين في الاردن وصل الى المليون تقريباً.

ويتركز انتشار المطاعم العراقية في المناطق التجارية الحيوية اضافة لمنطقة وسط البلد بشكل عشوائي وغير مدروس من ناحية اقتصادية لعدم وجود جهة رسمية تنظم طريقة توزيع المطاعم بشكل عام بحسب حمادة، مشيراً إلى أنه وفي حين يقدر عدد المطاعم العراقية بما يزيد على 100 مطعم، إلى أن هناك صعوبة في إعطاء رقم دقيق في هذا المجال، خصوصا وان المطاعم غير ملزمة بالانضمام لعضوية النقابة مما يفقد القطاع عنصر الالزام في عمله التنظيمي.

اللقمة العراقية

لم يبلع الرئيس الأميركي جورج دبليو بوش اللقمة العراقية بعد، ولا نظنها ستصل الى المعدة لتكتمل عملية الهضم، ومع ذلك فهو يتحدث عن مائدة كاملة من المأكولات الشهية كسوريا وايران وكوريا والتنظيمات المقاومة في كل مكان...

وينقلب العالم بأسره ضد جورج بوش، تدريجيا، والكلّ شامت بالادارة الأميركية، والاستطلاعات تملأ الصحف في الولايات المتحدة لتفيد بأن مستقبل الرجل السياسي على كف عفريت، ومع ذلك فهي عنزة ولو طارت، وعلى الرغم من أنه يعلن أنه سيغير في استراتيجية عمله في العراق، وسيسرع في نقل السلطة الى العراقيين، فانه يؤكد على كلامه السابق من أن قتال الارهاب في بغداد خير من قتاله في الولايات المتحدة الأميركية، الأمر الذي يعني البقاء هناك...

ولا يتوقف بوش عن القول أن العالم صار أكثر أمنا مع حملاته العسكرية، وهذا ما لا يمكن أن يكون صحيحا، وتكذبه الأحداث يوميا، فالعراق الذي كان بعيدا عن الحسبة الارهابية صار مقرا لها كما يقول هو نفسه، والمنطقة بأسرها صارت مسرحا للعنف دون التفرقة بين هدف واخر، وفي مطلق الأحوال فقد جاء بوش الى العراق وفيها دولة مستقرة، ولا شئ يؤشر الى أنه سيتركه دون أن يستبقي فيه عوامل الخراب والحروب الأهلية والقتل وخيبة أمله هو أيضا...

ما نقوله ببساطة أن اللقمة العراقية ما زالت عصية على البلع، وأثبتت أن غباء الادارة الأميركية لا سابق تاريخيا له...

نور ترسم البسمة على عيون الأطفال، وتعيد شكل الليمون

كان غير شكل الزيتون

تقول الأغنية الفيروزية الزيادية الشهيرة: كان غير شكل الزيتون، ثمّ تعود وتقول: كان غير شكل الليمون، ولا تعرف أمانة عمان الكبرى بالضرورة أنّ منتزه اللويبدة الشهير، كان يسمّى حتى منتصف الخمسينيات: بستان طاش، لأنّه كان أرضاً مملوكة لعائلة طاش الشركسية المعروفة، مزروعة بالزيتون والليمون، واستملكته الأمانة للنفع العام، ليصبح متنزّهاً للجميع، حتى عادت وغيّرت رأيها بعد عشرين سنة، فأغلقت أبوابه سوى على مطعم خاصّ جداً، وممرّ لمتحف.

وإلى ذلك، فقد صار الحاووز، متنفّس أهل اللويبدة، ساحة باريس، ليفقد رونقه، وتبقى حديقة صغيرة أصبحت مكبّاً للنفايات مقابل الطرف الغربي لكلية الأميرة عالية.

فلا مكان في اللويبدة، الجبل الذي كان متنفّس العمّانيين، للعب الأطفال، وتنزّه الكبار، ونخشى على المساحة التي تسمّى بحديقة سمير الرفاعي في بداية شارع أحمد بن حنبل أن تملّك بعد قليل لشركة خاصة تبني عليها مركزاً للتسوّق، أو برجاً عاجياً.

هذه مجرّد مقدّمة، لنقول إنّ جمعية الرواد الشباب، التي إتّخذت اللويبدة مركزاً لها، تجد من الوقت، والجهد، لتعتني بأطفال اللويبدة، أبناء أصحاب الدكاكين، والحلاقين، والجميع، فيتاح لهم يوم في الأسبوع يمارسون الرياضة، والرقص، واليوغا، ويلوّنون اللوحات، ويتعلمون الزراعة، ويقرأون الكتب، ومجلة "اللويبدة" أيضاً!

فما تقوم به الجمعية، ضمن إمكانيات شحيحة، لا تقوم به الأمانة التي تجمع الضرائب، وفي مساحة أمتار قليلة تصنع الجمعية الحبّ والبسمة، وضمن إمكانيات غير محدودة تستملك الأمانة الفرحة من وجوه الناس، لنفع عام لا يعرف سوى التجّهم.

المديرة التنفيذية للجمعية نور الكباريتي تشرف بنفسها على يوم الأطفال، بين زحمة عمل أثبتت الجمعية أنّها جديرة به، وسيكون موضوعاً لنا في الأعداد المقبلة.

كان غير شكل الزيتون، لكنّه يعود مع أمثال نور....

بترا، وردة المكان والزمان

بقلم : جمال أبو حمدان

على مطلّ بترا، تختبر قدرتك على التغلغل في هذا الألق التاريخي البهيّ. ولا تدري، واللهفة تقود خطاك، فيما عيناك تستبصران الخط الرهيف الفاصل ما بين تورّد الصخر على خدّ الأرض، وبين تورّد الشفق على خدّ الفضاء، أين تبدأ اليقظة، وأين ينتهي الحلم في ولوج متعة الرؤية.

وقد تستحضر من كنوز التراث الإنساني، ومن مكامنه الأسطورية الشفيفة، حكاية رسام شرقي قديم، متفرّد في فنّه، رسم لوحة بديعة، ثم ترك في صدر اللوحة باباً، أبقاه مفتوحاً، وحين أنهى عمله، وتأمّله، فراق له، خطا وعبر الباب، وأغلقه وراء اللوحة الفريدة، لتبقى هي أمانة في عُهدة المستقبل.

فهل بلغ شعب "الأنباط" حديث هذا المبدع، ففعلوا مثلما فعل، بعد أن إبتدعوا هذا الأثر الفريد الباقي، وتركوه وديعة على صدر الزمن، ثم عبروا باب التاريخ، وغابوا وراءه؟

وهل هذا ما أوحى للشاعر الإنكيزي دين بيرغن، حين نظم شغفه بالبتراء في قصيدة؟ يقول فيها:

" مدينة بترا، ليست من صنع الإنسان
ولا نُفّذت بجهده..
بعد أن رسمها خيال مجنّح...
هكذا تبدو،
ولكنها من الصخر وُلدت، ونمت
خاشعة، جميلة فريدة (...)،
لونها الوردي القاني،
كأنّ حمرة الشفق الحبيسة
التي أمسكت بها منذ البدء، ما زالت
تخضّبها، ولم تغادرها بعد.
ورد الشباب، على جبين عَلَتْه ملامح الألم
إنسان عُدّ قديماً
عمره ألفا سنة
زرع هذه الرائعة في تربة الشرق...
مدينة وردية،
عمرها نصف عمر الزمن"

فبأي الرغبات تقدر، أنت أين العصر المثقل، المعنى، أن تلج هذا السر؟ وهل لغير الشغف أن يقود خطوك إليه، وفي خاطرك يتردّد رجع صدى لمغناة قديمة، عن الزمان والمكان والأنسان، تركها الأنباط في قلب الصحراء، قبل أن يطووا تاريخهم ويرحلوا؟....

ولبترا، مع إسمها العربي، "الحجرية العربية"، نكهة أخرى، فبعض الأماكن، ومنها بترا، تحسّ فيها، ومعها، بنكهة القهوة العربية، كلما إرتشفت منها إزدادت حواسّك تنبّهاً، وتيقّظاً، وقد تستنكر القول بأن " المتناهي في الصغر، هو أحد مكامن العظمة"، وبترا، لم تكن متناهية في الصغر، ولكنها كانت أصغر ممالك زمانها، وعلى صغرها، كانت الأكثر إيحاء بالعظمة، عظمة الإحساس المتفرد بالذات.

وربما لم يتبادر إلى ذهن "أنباطها"، بأن تعريفاً للفن سيأتي بعد زمنهم، يكون ببساطته ودلالته قادراً على تمثّل ما فعلوا، وهو أن الفن: "هو الطبيعة مضاف إليها الإنسان". لكنهم، قبل عشرين قرناً، من هذا التعريف، جسّدوه بعفوية، وهم يشيدون مدينتهم، حين مزجوا بين بهاء الطبيعة، وبين إبداع الإنسان المتكيّف معها، فتركوا وراءهم ما يحيّر العقل، ويُعجز الوصف، وككلّ مكابدة فنيّة حقّة، إختاروا الأصعب ليصلوا عبره إلى الأجمل.

فقد كان صخر بترا، وسط الصحراء، كابي القشرة، ولكنه يخبئ أسرار ألوانه في قلبه، فرفع الأنباط غشاء الصخر، لينفذوا إلى قلبه، على أيديهم أينع، وتفتّح، وتفجّرت من أحشائه الألوان، لتموج، واستنزلوا أقواس قزح وفرشوها على جدرانهم وسقوفهم الصخرية.

الطريق إلى قلعة الأسرار

ألم يقف إدوارد لير، وهو الرسام والرحالة والكاتب الآتي إلى الشرق بشغف، أمام بترا ذات يوم من العام 1859، مبهوراً، مخطوف الأنفاس، وحين تمكن من إستجماع قدرته على التدوين والوصف أقر بالعجز، فكتب: "إن الجاذبية المتصاعدة من إختلاط العمارة المفرطة، تولّد شعوراً صريحاً بالوحدة، وسط مناظر تحكي بساطة عظمة الماضي والأيام الغابرة، وقد إختلطت لتكون زخماً من جمال المنظر، الذي يعجز أبرع قلم عن نقله إلى العين أو العقل.".

كثيرون غير إدوارد لير مرّوا ببترا فوقعوا في شباك فتنتها، وأصبحوا أسرى لها، ولم يتمكّنوا من التخلص من حضورها في أعماقهم بعد ذلك. بعد قرن ونصف من مرور لير، جاءها إيان يراوننغ، فصعقه إيقاع الزمان، ورقعة المكان، تجاذب الضوء والظل، وكتب تحت تأثير الصدمة: "وهكذا، في هذه البراري الكثيرة الصخور، تتوارى بترا متحدّية قدرتنا على التذوّق. والرونق الذي يلف بترا، مصدره مزيج من هذا الفن الذي لا يبارى، ومن الخلفية التي تطوّقه، كما يعود أيضاً إلى الضوء والظل، اللذين يغمرانها متنقلين بين مبانيها".

فبترا، ذات النكهة الخاصة المميزة لا تزال، رغم عمرها الموغل في القدم، قادرة على تجديد لعبة الغواية بينها وبين زائريها مع

كل إطلالة جديدة، فكلّما جئتها، تبدأ معها لعبة التجاذب بدءاً من الدهشة، وصولاً إلى الألفة، فالمحبة، ومن المستحيل ان تستقرّ بينكما حالة من الركود، أو الرتابة، التي تفرضها العادة.

حين سألت زائراً سويسرياً، كثير التردد على بترا، لماذا يأتيها كل عام، أجاب" ليس لأنني من بلد "بيركهارت" فحسب، بل لأنني أحبها".وتساءلت عن هذا الحب: ألا يبلى، أو يذبل؟ فأجاب: "بل يتجدّد، ويزداد يناعة في كل مرة".

فكيف تقوى هذه المدينة الجامدة في الصخر، وسط الصحراء، أن تتجدد مع كل لقاء؟ وما سرّ هذه الرعشة الجمالية التي تضع فرادتها بين كنوز التاريخ القديم؟

لانكستر هاردنغ، الذي قاربها مقاربة حميمة وطويلة الأمد، ظلّ يقول متحدّثاً عن "الخزنة":"لا أعرف على الاطلاق منظراً يساوي في روعته المسرة الأولى التي تشاهد فيها هذه الواجهة الضخمة المنحوتة من الصخر، وهي تتوهج وتتألق في ضوء الشمس الساطع، بعد أن يخرج المرء من ظلمة الشقّ العظيم الذي يؤدي إلى المدينة".

نطلّ على بترا من "السيق"، وهو نفق ضيق بين كتلتين صخريتين، فتذهلنا قدرتها على التخفّي والتكشّف معاً، مع كلّ رمشة عين، أو رعشة حسّ، فهي تومض بإيحاءاتها، قبل أن تتجلى كلية لناظرها، وكلّ حسن في الطبيعة، وفي الحياة، يكون بلوغه صعباً وعصيّاً، إلا لمن يكابد الشوق واللهفة، ويبذل الجهد.

فـ"السيق" يمتدّ ويمتدّ، فيحسّ الزائر بضعفه في حضرة الطبيعة الصخرية القاسية، لكنّه ضعف المحبّ> وهو يقترب من بيت حسنائه، قبل أن تبهره بتجلّيها على إتساع حدقة العين، وبعد إجتياز هذا المعبر الضيق، تطالعك " الخزنة" لتملأ حواسك بالنشوة أو الخدر، وهذا الحصن الطبيعي، جعل بترا تصمد عبر التاريخ، وجعلها عصيّة على الأعداء في زمنها، وعلى الزائرين في زمننا، تعذّبهم بنار الرغبة والشغف، وهل تبلغ الفتنة إلا بعد مكابدة؟

فبعد "السيق"، يتجلّى الأثر الأبدع والأزهى: الخزنة، إذا خانتك الكلمات، فلتستعر من هاردنغ ما كتبه في وصف هذا الأثر:"وعندما يبدو للمرء أن لا نهاية لهذا الضيق الملتوي يقف فجأة، وقد تملكته الدهشة، إذ يلمح في مواجهته جانباً من واجهة بالغة الروعة، تزينها الإعمدة والتماثيل... حينذاك، يخرج من عتمة "السيق" الى حيث الشمس الساطعة تغمر بضوئها واجهة أعظم المنشآت الأثرية في بترا... " الخزنة". يا له من منظر لا يُنسى طيلة العمر، لأنّ الصخر هنا بلون الورد الأحمر حقاً، وتراه يتألق عندما تشرق عليه الشمس، كأنما ينبعث الشعاع من جوانبه.. وقد نفرت "الخزنة" في صميم الصخر، مثلها، مثل بقية المنشآت الكبرى في بترا..."

من "الخزنة"، أولى المنشآت الأثرية المهمّة، وأجملها، إلى "الدير" أخر هذه المنشآت وأضخمها، تتدرّج دروب البتراء، وتتعاقب الصور، وتتفاعل المشاعر في النفس، من "المدرج" إلى "طريق الأعمدة" فـ"المذبح" و"بوابة نيمينوس"، تتوالى المحطّات: "المحكمة"، "ضريح الجرة"، " ضريح الكورنثي"، "ضريح القصر"، "ضريح فلورنثينس"، وغيرها من المواقع، التي تعكس نمطاً فنياً وأسلوباً هندسياً وملامح فريدة تنتمي إلى نسق جمالي واحد، ولو أن عوامل الزمن والطبيعة قد عدّلت في بعض تفاصيلها الدقيقة أحياناً... كلّ الآثار منقوشة في الصخر، وتعبير "النقش" هو الملائم لوصف بترا، وليس الحفر، إذ تتجلى من هذا الجهد المعماري في إشتغال الصخر وتكييفه، لحظة إبداعية فنية نادرة.

القصر المغاير

وحده "قصر البنت"، يلوح مغايراً وناشزاً في هذا الرقص الصخري الممتد. فوحده مع البوابة التي تتقدمه، مبني بحجارة منقولة ومصفوفة، وليس منقوشاً في الصخر، كسائر المعالم. وقد إكتشفت الرحالة موزل أسطورة عن أميرة سكنت ذلك القصر، وكانت تتألم من عدم توافر المياه الجارية، فوعدت بالزواج من يؤمن لبترا جريان الماء. فتقدم أحد المرشّحين ونجح في جرّ الماء، وفاز بقلب الأميرة. لكن الأسطورة لا تنطبق في الواقع على تاريخ بترا. إذا أن الأنباط تميّزوا بأنّهم أشهر وأقدم مصممي ومهندسي شبكات توزيع المياه في التاريخ. فحسب المؤرخ فيليب حتي: "حذق هذا الشعب الهندسة المائية، وإستنبط الوسائل لحفظ ماء المطر القليل الذي يسقط في جوار مدينته الصحراوية".

وكيف كان لبترا، أن تنبت من الصخر في قلب الصحراء، لولا تفرّد ذلك الشعب بقدرة متميّزة في التعامل مع المياه؟ فحتى اليوم ما زالت دلائل قدرة ذاك الشعب القديم في تخزين المياه، وجرها بفضل تمديدات وأقنية تعبر الصخر، تثير عجب أهل هذا الزمان.

يقول المؤرخ فيليب حتي، في كتابه "خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى" حين يذكر بترا ضمن منظومة المدن العريقة: "إن بترا تدين بنشأتها وبإزدهارها لحقيقة جغرافية كونها المكان الوحيد بين الحجاز وفلسطين فيه الماء العذب القراح". وقد إستطاع الأنباط ان يجروا الماء من داخل بترا إلى خارجها، وشاع أنهم سُمّوا "نبطاً"، لكثرة النبط عندهم، وهو الماء، أو لإستنباطهم الماء وانباطهم الآبار.

"الأنباط" قوم من جبلة العرب

ويقول يوسفوس "أن الأنباط يمتازون باعتدالهم وجدّهم، حتى أنهم يفرضون عقوبة علنية على كلّ شخص تتناقص ثروته. أما الذي ينمي ثروته، فيزداد تكريماً وشرفاً. ومساكنهم منشآت ضخمة من الحجر، ومدنهم محاطة بالأسوار بسبب حالة السلم والأمن السائدة في بلادهم، فالإزدهار والسلم والأمن، ركائز المدينة النبطية في بترا، وغيرها من مدنهم".

غير أن الدكتور جواد علي، يربكنا، حين يقول في مؤلفة القيم "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام": "أن مملكة النبط مملكة عربية، لم يعرف الإخباريون من أمرها شيئاً.." إذ سرعان ما ينسى عبارته الملتبسة، في الفصل الخاص بهم، وفيه الكثير من أخبارهم وأخبار مملكتهم، عبر إستقراء ما تركوه من أثر، وإستنكار ما قاله فيهم وعنهم مؤرخو العهود القديمة، فيستطرد قائلا: "النبط قوم من جبلة العرب، وان تبرأ العرب منهم".

ويتابع جواد علي مؤكداً أنهم "تثقّفوا بثقافة بني إرم، وكتبوا بكتابتهم، وتأثروا بلغتهم، حتى غلبت الأرامية عليهم، وأنهم خالفوا سواد العرب بإشتغالهم بالزراعة والرعي وبإحترافهم للصناعات اليدوية، وهي حرف يزدريها عربي الصميم". وتكمن عوامل ظهور النبط، وغلبتهم على المنطقة التي عرفت بهم، وتكوينهم دولة، في أسباب وأسس إقتصادية، فقد تمكنوا من إستغلال موقع بلادهم لمرور شرايين التجارة فيها، بين جنوب الجزيرة العربية وبلاد الشام، كما قاموا بالوساطة في نقل التجارة بين بلاد الشام ومصر ومواضع من جزيرة العرب، فدرت هذه الوساطة عليهم أموالاً طائلة جعلتهم من الشعوب العربية الغنية".

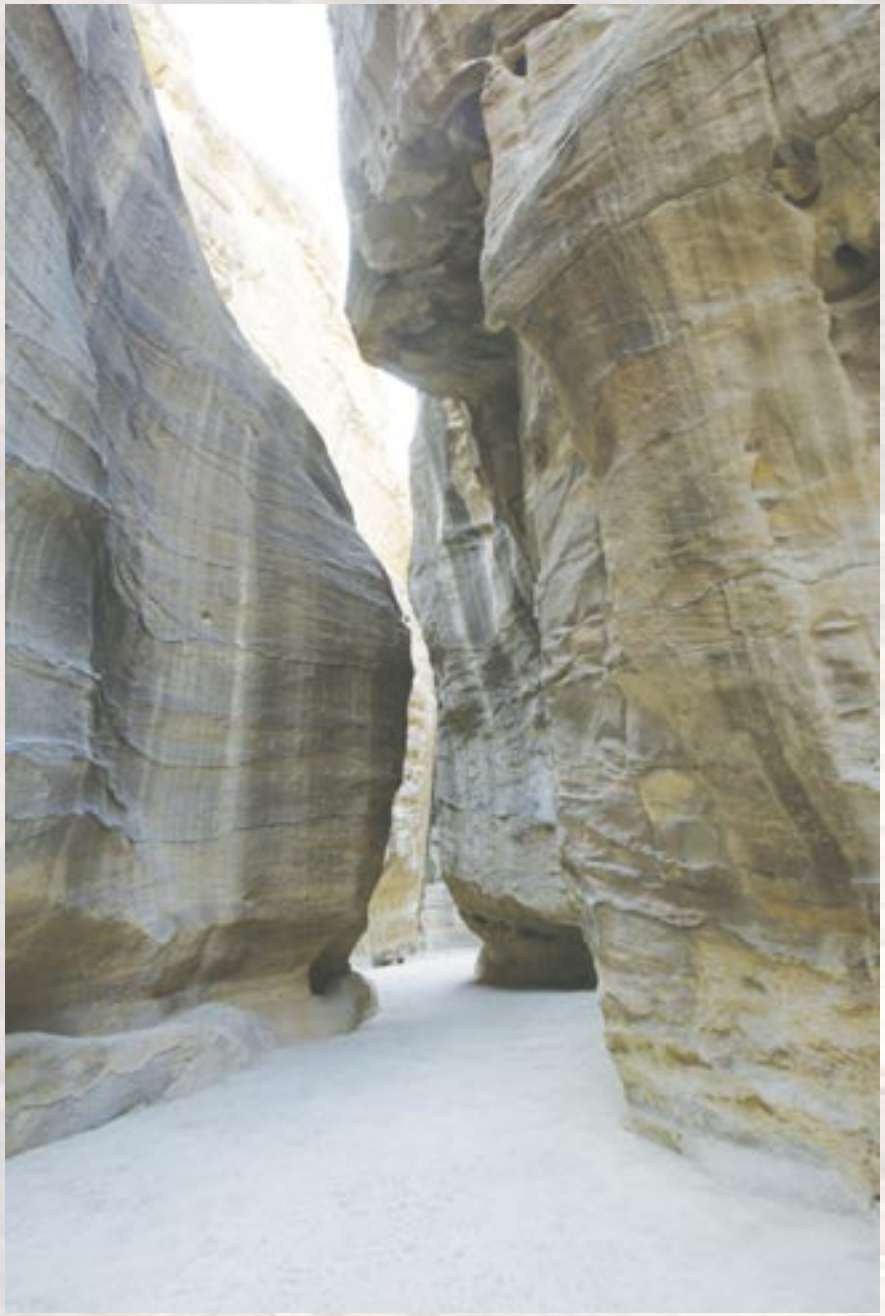

وكان الأنباط أتوا من شمال الجزيرة للإستقرار في تلك المنطقة الصخرية المنيعة التي تعرف بإسم "العربية الحجرية "Arabia Petraea خلال القرن الرابع ق.م. ويتناول جواد علي في الفصل الخاص ببترا، أساليب حياتهم، وأصولهم، وحروبهم، خاصة مع الرومان، وحدود مملكتهم في تمددها، وفي صخورها، وملوكهم: "عبادة" الأول والثاني والثالث، و"الحراث" الأول والثاني والثالث والرابع "أقواهم"، و"مالك" الأول والثاني، ونقودهم وحرفهم الصناعية، مستشهداً با لكلا سيكيا ت التاريخية التي دونها عنهم يوسيفوس، وديودورس وسترابو، واغيرهم من مؤرخي ذاك الزمان، الذين يجمعون على وصف الأنباط بأنهم "تجّار أقاموا في بيوت من حجر، وإشتغل قوم منهم بالزراعة". وأظهروا مقدرة فائقة وكفاية لا تقدّر في تكييف أنفسهم وأخذهم بالأساليب الحديثة في الحياة، وتمكنوا من إستغلال أرضهم، وما فيها من موارد طبيعية وحذقوا في الصناعات الحرفية إلى جانب التجارة والزراعة، بحيث أصبحت مملكتهم من أغنى الممالك في محيطها وزمانها.

وبهذا الإزدهار الإقتصادي، تفتّحت عاصمتهم البتراء، المدينة الوردية وسط الصحراء على أن تلك الوردة التاريخية، كانت محمية بشوكها الطبيعي الجارح الذي يحميها من الأعداء والغزاة والطامعين. فالأنباط الذين كانوا يجنحون بطبعهم إلى السلم والاستقرار والأمن في قلب مدينتهم الصخرية المنيعة، لم يأمنوا عواصف الصراع الهوجاء، التي كانت تهبّ عليهم لإقتلاعهم، وجعلهم صراع الامبراطوريات الكبرى من حولهم عرضة دائمة للحروب.

فروما، كانت تفرض نظامها على العالم آنذاك، وقد وجهت أطماعها إلى بترا، التي تمتّعت بجيش تمكن في أكثر المواقع من الإنتصار، وتمكّن من توسيع رقعة المملكة إلى سورية في الشمال وفلسطين في الغرب والجزيرة العربية في الجنوب. فعندما إزداد هذا الشعب وعظمت ثروته، إزداد ملوكه قوة وسلطاناً، فراحوا يوسّعون حدود مملكتهم"، على ما يذكر فيليب حتي.

ومنذ غزوة أنتيجون "أنطينوس301-306- ق.م." التي صدّها الأنباط، ومنذ إنتصارهم على بومباي "بومبيوس" وصدّ هجومه عنهم، وحتى هجوم تراجان الصاعق وضربته القاضية "105 م"، ظلت الصراعات تعصف ببترا، إلى أن تمكّنت روما، "التي ما كانت لتطيق رؤية دولة قوية شبه مستقلة تقف في مواجهتها خارج هيمنتها" من بترا، فإستولى عليها تراجان عام 106م.

وبعد أن بلغت ذروة القوة والإزدهار في القرن الأول للميلاد، "عفى الزمن على هذه العاصمة الرائعة، فطواها الدهر، وأصبحت أثراً في سجل الحضارة الانسانية".

أما سترابو، مؤرخ القرن الميلادي الأول، فنظر إلى ملمح آخر من ملامح المدينة النبطية، فذكر ديمقراطية الحكم، وربما تكون أكمل ديمقراطية تطبيقية وتلقائية لم تفرز فكراً، عرفها التاريخ القديم، كما نستشف من هذا التوصيف الدلالي أن الأنباط لا يقتنون إلا عدداً قليلاً من العبيد، وهم يخدمون بعضهم بعضاً، ويخدمون أنفسهم بأنفسهم، حتى أن الملوك يتّبعون هذه العادة، والملك بالاضافة إلى خدمة نفسه، فإنه يقوم بخدمة الآخرين، كما أنه كثيراً ما يقدم حساب نفقاته إلى الشعب، وأحياناً كثيرة يجري التدقيق في مسلك حياته".

أفول مملكة النبط

ولا بد من ذكر ثلاث نساء شهيرات عبرن بشكل أو بآخر تاريخ بترا، هيروديا التي تسبّبت بحرب بين هيرودوس ملك يهودا والحارث الرابع ملك الأنباط، كليوباترا التي نالت بترا "كهدية" من الإمبراطور الروماني، وأخيراً زنوبيا التي إستطاعت بحنكتها وبمساعدة الرومان، أن تحول طرق القوافل التجارية من بترا إلى مملكتها الطالعة تدمر. فعندما "أذنت شمس بترا بالأفول"، يكتب المؤرخ فيليب حتي:"أشرقت شمس مدينة أخرى من مدن القوافل، هي تدمر".

غير أن أفول نجم بترا، بدأ قبل ذلك، حين تخلّى الأنباط عن ذاتهم الحضارية ووقعوا تحت تأثير الحضارة اليونانية، غافلين عن المطامع التي تهدّد كيانهم... فأخذت تبهت ملامحهم المميزة، حتى أن الملك النبطي بعدما كان يلقب بـ"محب شعبه"، أصبح يلقب بـ"محب الرومان"..

وراحت بترا تنزلق إلى حضن الإمبراطورية الرومانية، إلى أن قضت هذه عليها نهائياً، و"نامت بترا الجميلة - يكتب لويس مخلوف- نوماً طويلاً، وإستسلمت لأشعة الشمس وللرياح العاصفة منتظرة من يتمتع بجمالها ويتأمل في تاريخها".

فهل ظلّت طوال هذه القرون، تنتظر إطلالة الرحالة المكتشف بوركهات، السويسري- الإنكليزي، في مروره السريع بها، على درب إنتقاله ما بين الجمعية الجغرافية الملكية في بريطانية، وبين قلب إفريقيا، ماراً ببلاد الشام، متمهّلاً فيها، لتعلّم اللغة العربية وإجادتها؟ فقد مرّ الرحالة، وهو في طريقه إلى مصر، بجنوب الأردن، وكان سمع عن المدينة الصخرية المختفية، وقرأ عنها... وكان أن ساهم في إعادتها إلى دائرة الضوء، وإلى إهتمام العالم.

وعبر زمن إغفاءتها التاريخية، كانت بترا الأثرية تتكشّف وتستتر، وإلا فكيف لهذا الجمع من المؤرخين المتباعدين زمناً، أن يذكرها كلّ منهم في زمنه، فقد ذكرها ياقوت الحموي، وذكرها النويري، فأسهب في وصفها عند مرور الظاهر بيبرس بها عام 1276، "حفر في الجبل، ذات شكل رائع، ومساكن مزدانة بالأعمدة، وواجهاتها تزينها النقوش المحفورة في الصخر بالأزميل، ولم يبن أي من معالمها بناء، وإنما حفرت بالأزميل".

أما لقاء بوركهارت ببترا، فيلقي ظلالاً من الشك على مصداقية زعمه، أنه لم يكن يعرف عن بترا، إلا عند وصوله الى المنطقة، وأنّ ما سمعه عنها ورد على ألسنة أهل المنطقة، إذ تكشف الأوراق التي دوّن فيها رحلته، عن علمه المسبق بوجودها، وأنه تقصد المرور بها، وقال من أجل ذلك: "إن الطريق التي تعتبر صالحة إلى حد ما، والتي يمكن ان تصبح مطروقة بسهولة حتى للمشاة، تقع شرق وادي موسى. ولهذا فإن عزوفي عن سلوكها لمجرد رغبتي الفضوليةفي مشاهدة وادي موسى، يبدو مريباً، ولهذا إدعيت بأنني أود زيارة ضريح هارون الذي كنت أعلم أنه يقع عند طرف الوادي، وبهذه الحيلة تتوفر لي الوسيلة لمشاهدة الوادي في طريقي إلى الضريح".

وكان بوركهارت يعرف أن آثار بترا تقع في الوادي الذي يذكره، فبعد أن يشرع في تنفيذ حيلته، يهتف:" وهنا تبدأ الآثار". دون أن يسمع هتافه حتى دليله العربي، الذي كان يعرف أين تبدأ، وأين تنتهي آثار بترا. وبعد أن يورد بوركهارت وصفاً تفصيلياً، لما شاهد من آثار بترا يدوّن: " عند مقارنة بينات المؤلفين المتضمنة في كتاب فلسطين لرولاند، يبدو من المرجح كثيراً أن تكون الخرائب في وادي موسى هي خرائب بترا القديمة، مما يلفت النظر قول يوسيبوس أن ضريح هارون يظهر قرب بترا وأنا على الأقل مقتنع من كل ما أستخلصه من معلومات أنه لا توجد أية خرائب أخرى ذات أهمية بين طرفي البحر الميت والبحر الاحمر تنطبق على تلك المدينة، وسواء إكتشفت بقايا عاصمة بترا العربية، أو لم أكتشفها، فأنني أترك الحكم في ذلك للعلماء اليونانيين".

الشيخ إبراهيم بوركهارت اللوزاني

وبعد نشر أوراق رحلة يوهان لودفيغ بوركهارت، الذي مات ودفن في القاهرة باسم الشيخ إبراهيم المهدي بن عبدالله بوركهارت اللوزاني (نسبة الى لوزان)، بعد أن أسلم..إرتبط إسم بترا بإسمه، إذ حكّ ذاكرة التاريخ وأيقظها، فأنفتحت أعين العالم، وإنبهرت بهذه المدينة الصخرية الوردية الصحراوية، الفريدة بين حواضر كل زمان ومكان.

أما أنت، فتخرج من بترا، عائداً إلى زمانك ومكانك، ومشاغلك اليومية، دون أن تتمكن من الإفلات من غوايتها وأسرها، وكما فعل الرسام القديم، تفتح باباً في اللوحة الفاتنة وتعبره، دون ان تعكّر صفو الخطوط والألوان، حاملاً معك الانفعالات الحميمة، وهنيهات الدهشة والانخطاف اللذيذ.

جمال ابو حمدان والبتراء

إضافة إلى العديد من المقالات الإنطباعية، والدراسات، كتب جمال أبو حمدان، عن البتراء والأنباط:

- مسلسلاً إذاعياً من ثلاثين حلقة لإذاعة "هنا لندن" (الـ بي بي سي)، في أواخر سبعينات القرن العشرين، ظلّت الإذاعة تُعيد بثه سنة بعد أخرى

- مسلسلاً تلفزيونياً، بعنوان "الصخر عندما ينطق" (بترا)، كان أول مسلسل تلفزيوني بالألوان، تمّ تصويره في اليونان، من إخراج اللبناني إنطوان س.رمي، وشارك فيه نخبة من الممثلين العرب، محسنة توفيق من مصر، حسن الجندي من المغرب، معالي زايد، وتيسير فهمي من مصر، عباس النوري من سوريا وفاء طربية من لبنان، جولييت عواد من الأردن، نديم صوالحة من لندن.. وآخرون، وعرض على العديد من المحطات التلفزيونية العربية، منها التلفزيون الاردني..

- بمبادرة من وزارة السياحة الاردنية.. ووزارة الثقافة الفرنسية، دعي، مع عدد من الكتاب العرب، يكتبون بالعربية، والفرنسيين، يكتبون بالفرنسية، لزيارة البتراء، والكتابة عنها.. بحيث ترجمت النصوص الفرنسية إلى العربية، وتُرجمت النصوص العربية الى الفرنسية.. وصدر كتابان بعنوان "كلام الحجر"، في كل من باريس وعمان، من النصوص السردية التي نتجت عن هذه المبادرة، لأدونيس، وجبرا ابراهيم جبرا، وجمال ابو حمدان، وجمال الغيطاني، والطاهر بن جلون، وكلود اولييه، وميشيل بوتور..وآخرون..

- ومع صدور هذا الكتاب بتجربته الفريدة، دعي جمال ابو حمدان، للحديث عن البتراء، في معهد العالم العربي بباريس.

- كتب روايته شرق القمر.. غرب الشمس" عن البتراء.. ورشّحت لتكون أول فيلم سينيمائي روائي أردني، بمناسبة عمان عاصمة الثقافة.

- كتب قصصاً قصيرة مستوحاة من بترا.. وصدرت له رواية قصيرة، وقصة طويلة، ومقال إنطباعي، مجموعة في كتاب بعنوان "نصوص البتراء".

- كتب مسلسلاً تلفزيونياً، من ثلاثين حلقة مستوحى من تاريخ بترا والأنباط بعنوان "رواد العنفاء"، تأجل إنتاجه، لضخامة وكلفة هذا الإنتاج.

- يعكف حالياً على الإعداد لكتابة عمل مسرحي أوبرالي، مستوحى من بترا.. سيتم إنتاجه في العام القادم.. من قبل جمعية ثقافية كبرى.

لا تفسدوا فرحتنا بالتفاصيل،

فلدينا أعجوبة ثامنة

بقلم: عبد الله العتوم

أمامي معادلتان، وخضرني صورتان، وأنا أكتب لـ"اللوبيدة" للمرة الثانية، فأنا أتمنّى أن لا نقفز إلى الهوامش أثناء تناولنا للمسائل، أو نضعف ونقف أمام طريق مسدود، ويصل بنا الأمر إلى الإستسلام والغرق في الإحباط تجاه ما يحدث أو يتشكّل، ونتساءل: أما آن الأوان لأن تهدأ الأصوات الصاخبة، ونحن نتحدّث عن المشترك في أسباب أية رؤية أو إختلاف؟

القصّة تتلخّص بأنّنا إعتلينا قمة العالم "ثانياً"، بأن تصبح البتراء من عجائب الدنيا السبع، و هي كذلك قبل هذا التصويت، و بالعصب الحي المكابد أرسلنا "22" مليون صوت من داخل الأردن، وفزنا، واحتفلنا، وأطلقنا العيارات النارية، مخالفين تعليمات الأمن العام، و لوّنا سماء عاصمتنا الغالية، ومدننا بالألعاب النارية، ومن على الحواشي تحدثنا عن: مَنْ حَمَل مَنْ في البتراء، وعن الذي لم ينقل إحتفال لشبونة؟ وقصّرنا، وضعفت برامجنا التلفزيونية، قافزين على عفوية فرح الفوز، ونسأل الله أن نقوم بإعادة الأعتبار إلى اعلامنا الأردني العظيم، الذي ما خذلنا في كلّ معاركنا، وأن نتوقّف بخشوع، لنهدي هذا الفوز لسيّدنا وللأردن، وفي الذكرى .. ألم نمارس هذه العفوية، قبل سنوات، عندما أهدينا فوز "ديانا كرزون"، وأغلقنا شوارعنا، مع حفظ الفارق بين الناجحين ..للأننا في الأردن نفكر هكذا؟

مشهد القدس من بُطنة

قبل أسابيع، كنت برفقة الأخ باسم سكجها، وتوجّهنا غرباً، إلى تلال البلقاء، بدعوة كريمة من النائب الدكتور ممدوح العبادي، وكانت الدعوة لنا كي نرقب مغيب الشمس في تلال القدس، من "بطنة"، دارة الدكتور أبو صالح.

وفي الطريق، لفتت إنتباهي شواخص تشير إلى مواقع دينية في المنطقة، كان الأنبياء عليهم السلام، قد إتخذوا منها مقراً لدعوة التوحيد.

وعلى غرار كل الأردنيين "ركبت رأسي"، وقلت لباسم: سأكتب عن ذلك، فلن نكتفي بفوز البتراء، وسنتحدّث عن عبقرية المكان، ولكن المشكلة: من أين نبدأ؟ الجواب، من عاصمة الوطن، موقع بسمان ورغدان وزهران، ربّة عمون، ونعود إلى أكثر من ثمانية آلاف من السنين، عندما أعطى العمونيون إسم ربة عمون التي تعني "دار الملك" وتحوّلت فيما بعد الى عمّان، فبصراحة، وفي قناعتي، فإنّ لدينا الكثير غير البتراء.

قبيلة الشابسوغ

رجم الملفوف، الذي بناه الهكسوس الرعاة القادمون من الحضارة المصرية، والبطالسة الذين إحتلوا عمون سنة "284" قبل الميلاد، وأعطوها إسمها الجديد "فيلادلفيا"، وفي العام 1878 وصلت قبيلة الشابسوغ من القفقاس، وعلى سفح جبل القلعة سكنت المغارات، ومن ثمّ بنت المساكن، في ما عرف ويعرف بشارع الشابسوغ، وفي الواجهة المدرج الروماني الذي بناه الإمبراطور تراجان، مع بداية القرن الثاني للميلاد.

أما جبل القلعة، فهناك آثار معبد هرقل، وهناك قصر أموي، وفي وسط المنطقة المحاذية، سبيل الحوريات، بنوافيره وقناديله المضاءة بالزيت، وعلى مقرب من عمّان هناك أهل الكهف بصخوره، وقبوره الرومانية، والبيزنطية، ومساجده، وذكره في القرآن الكريم.

الأنبياء والقادة والقلاع

قد يطول الحديث عن ذكر نبذة عن كل نبي، وأكتفي بالتعداد: شعيب، هارون، يوشع، موسى، يحيى في مكاور، سليمان، لوط، أيوب، داوود، وهود.

أما القادة والصحابة ورجالات المراحل العظيمة: زيد بن حارثة، جعفر بن أبي طالب، عبدالله بن رواحة، أبو عبيدة عامر بن الجراح، ضرار الأزور، شرحبيل بن حسنة، عامر بن أبي وقاص، معاذ بن جبل، فروة العبسي، الولي الأخضر، عكرمة بن أبي جهل، جابر بن عبدالله الانصاري، الحارث بن عمير الأزدي، وكعب بن عمرو الغفاري.. وقد أكون نسيت بعضهم لكنني لن أقفز عن عمر بن الخطاب، وهو في طريقه من الحجاز الى بيت المقدس، وخالد بن الوليد، في طريقه من القادسية الى اليرموك.

أما القلاع والقصور وأكتفي أيضا بذكرها: الحلابات، الطوبة، الأزرق، عمره، المشتى، الحرانة، الربض، السلط، القطرانة، الكرك، الشوبك، العقبة، طبقة فحل، الحميمة، جبل التحكم أبو موسى الأشعري أذرح، المغطس، أم قيس، بيلا، مسجد عثمان بن عفان.

عبقرية المكان

كنت أتمنى أن أذكر نبذة عن كل موقع، لكن المكان يضيق، والأهم من كل ذلك عبقرية المكان في المملكة الأردنية الهاشمية وأتوّج هنا: إذا كان البعض لديهم طريق الحرير، فإن لدينا الطريق النبوي، طريق سيدنا محمد عليه السلام في رحلته من مكة المكرمة إلى الشام عبر الأردن.

وفي مسألة التتويج، فإنني سأتطاول، فإلغي فك الإرتباط "الإداري والقانوني" مع الضفة الغربية، لأقول أن السيد المسيح ولد في بيت لحم، وعاش في الناصرة، والقدس، وطبرية، واكتسب التابعية الأردنية حين وقف عند كهف على جبالنا الشرقية وصنع معجزة من مهجزاته، وأتفاخر بالآية الكريمة: "يا عيسى أني متوفيك ورافعك إليّ".. إذن، إلى جانب رب العالمين، جلّت قدرته مباشرة.

هذا ما لدينا.. ويحق لنا أن نفاخر الدنيا بما لدينا، ويحقّ لنا أن نطالب الأصوات العالية بأن تهدأ، فالرواية تقول: ليس ضعف البث التلفزيوني، ولا عفوية الفرح بفوز البتراء، تستطيع أن تقف أمام رؤوسنا بأن تظل عالية.

غصّة "مليح"

بقلم: سليمان قبيلات

نسجت "مليح"، عبر ستين عاماً من عمر عطشها، صورة أيقونية لنبع ماء منحه الناس إسم قريتهم، فاستقرّ في وجدانهم الجمعي شخصية فذّة سخية، حتى احتشدت ذاكرتهم بما يشبه التقديس لـ"نزّازة" إنبلجت ماء ذات حصاد لاهب من عشرينيات القرن الآفل.

ولأنّ له عندهم صورة أيقونية مكثّفة، زاخرة بالدلالات التي تنطوي على عالم من أحلام إستثار "البير" في دواخل العطشى ميولاً إرتبط بمتخيّل لمتغير قادم، لم يعرفوا كنهه وان حدسوا آفاقه. فما أن يغادر الشتاء، حتى يبدأ الناس رحيلاً مع مواشيهم نحو المرابع، في جهات القرية الأربع، تاركين منازل الطين، للإستقرار في بيوت الشَّعر في سهول ومرتفعات تلبس الاخضر. كان الناس ممتلئين بالحميمية الزاخرة، والمشاعر الفياضة، يتكافلون في الفرح والترح، كانوا بسطاء، لكنهم أكثر عمقاً من شخصيّاتنا المركّبة، لم يكونوا هامشيين، بل أكثر منا حضوراً في الحدث والمشهد.

تغتسل من تعب طارئ

وبوصفها مكاناً هاجساً ذهنياً، وفضاء لاشتباك معقد من الأنثربولوجيا والهوية والوعي الجمعي، إنتفى الزمن في مليح أصلاً، وأصبح محمّلاً بدلالات وموجودات ذهنية متجسدة فعلياً.

أستبطن الذاكرة، فأجدها متماهية مع قريتي الاثيرة للنفس، غير السردية في جُلّها، وعيانيتها، هذه القرية التي رآها صديق، ذات صباح قريب، وكأنّها إنسلت للتوّ من ماء جارها سيل الوالة، مغتسلة من آثار تعب طارئ، ما تزال روحها وثابة، رغم احتشائها بحداثة قاهرة، وزيف بملأ فضاءات لم تعد كتلك التي كانتها القرية القديمة.

في المخيال، تتمظهر مليح مكاناً أصيلاً صاغ علاقات الناس، وأسبغ هويته على القادمين الجدد، لتكون القرية حاضنة لتكوّن الافكار والعلاقات وتشكلها. لكن قريتي تهاب الزمن، خشية إغتراب وضياع يتهددانها، ويثقلان كاهلها بمشاعر الذنب. مليح تخشى التحطّم وفقدان الأمل بحدوث تغيير.

على تخوم الصحراء

هناك وصل عضوي، بين براءة مليح المكان، وخصوصيتها، وهي التي تشكّلت على تخوم الصحراء، لتجاورها جوار المحب العنيد. هناك زيف وجدت القرية ذاتها محاطة بهيلمانه، زيف يتهدد تمرّد القرية، محاولاً صياغتها من جديد، لتغدو مستكينة لقدر بيرها المهجور، إلا من قطعان ماشية تلوذ باحواض ماء إعشوشبت جنباتها لطول غياب الماء.

مليح تمقت ساعة يصطفّ منتظرو المعونة على بوابة بريدها متسائلة: أهؤلاء هم مني؟! ما الذي دفعهم إلى هذا؟! من أطاح بإنسانية أهلي ؟! أهي العولمة، والخصخصة، والهيكلة، والإنصياع لسياسة الصناديق الدولية في نهبها لبلادنا؟! مليح تمقت شباباً يتسكّعون دلعاً وغنجاً، وقد أرخوا ذؤاباتهم، هي لا تعرف بم يتولّهون. تمقت هذا الضياع لإنسانها المأسور للحاجة، والفاقة، ومغادرته منذ الصباح الباكر، ليعود آخر النهار محمّلاً بزوادة يتوهّم أنها تقي من جوع.

سوط الحاجة

مليح تمقت ضنكاً أحالها شخصية مختلفة، مستلبة، ومُنهَكة في بحث مضن عن ضرورات البقاء، يقول المكان: لم أعد أنا والقادم أعظم . وباستنكار يحتمل خوفاً من قادم الأيام يضيف: أين هم أناس لم يتداولوا مفردات الأزمة في جُلّياتها جميعاً؟ المعونة: قاتلة الكرامة الانسانية. وظيفة: لا تعني عملاً منتجاً إلا ما يُقيم نزراً يسيراً من الأود. تهافت القيم تحت سوط الحاجة. إنتخاب "المقتدر" لإقتداره المالي ونفاقه.

يبحثون عن اللاشيئ

... هناك في مليح شبان يذرعون طرقاتها تحت وهج الشمس بحثاً عن اللاشيئ، عن ضياع يحتل الحياة. مليح تخشى مصيراً كمثل مصير بيرها. تأنف لحظة تصير فيها مكاناً لا تألف فيه، ولا إنتظار لدهشة . تخشى فقدان ذاتها بوصفها مكاناً للحياة الجماعية. تخاف تحوّلها مكاناً أصم لا يخترع حكايات وأساطير تردّدها الجدات والأمهات والكبار في أمسياتهم.

قريتي مكان حزين، يخاف قدراً يضطره للسؤال. هي اليوم تستحضر المحظور عند عبدالمعطي حجازي : لو أنني ـ لا قدر الله ـ سجنت، ثم عدت جائعاً..

يمنعني من السؤال الكبرياء

فلن يرد بعض جوعي واحد من هؤلاء.

..مليح تعيش غصّة، لكنها تزدري "هؤلاء" فهم سبب شقائها، وحزنها، وإغترابها.

الخاووز

كلام هادئ حول قضيّة ساخنة

أسعار الأراضي

بقلم: عماد الحمود

عندما راجت الأسهم عام 2005، في بورصة عمان، وارتفعت أسعارها إلى مستويات قياسية، وإندفع المستثمرون في تأسيس الشركات المساهمة العامة، وخاصّة العقارية منها، التي زادت على الأربعين، وانفلتت الشركات المساهمة العامة في زيادة رؤوس أموالها مرّة عام 2005، والثانية في العام التالي، طالب مستثمرون ومحللون وإقتصاديون بسلسلة قرارات وإجراءات لتحصين السوق المالي، وحفظ سيولة سوق رأس المال، وحماية صغار المستثمرين، وكبح جماح "لعبة" الإصدارات الأولية التي راجت كالقمار، أمام أعين الحكومات التي لم تحرّك ساكناً، ولم تستمع إلا للقليل من المطالبات، لحماية الناس من لعبة الأسهم نفسها.

وقد راق ذلك لأعضاء في الحكومات، فاشتركوا في "معمعة" الأسهم، ولعبوا اللعبة، التي تداولها الناس، ولم يسع أحد لوقف التدهور، نتيجة إمتصاص سيولة كانت البورصة بحاجة لها، فأتت هذة الخطوات كلّها مجتمعة على ما تبقى من تداول، وهبطت الأسعار بطريقة متسارعة، عاجلت في إنخفاض الأحجام اليومية، وأدّت إلى تآكل الأسعار، وتبخّر مدّخرات كثير من الناس، كانوا يحتفظون بها ليوم الحاجة، والنتيجة الكارثية باتت معروفة للجميع ولا داعي لشرحها.

شكاوى مقرّبين من الحكومة

على العكس من ذلك تماماً، تتداعى أصوات محسوبة على الحكومات، بين الفينة والأخرى، تشكو من أن التداول في سوق العقار مرتفع، فوصل إلى أكثر من ثلاثة مليارات دينار منذ بداية العام، وأن هذا التداول يقوم به أردنيون، وأنّ نسبة المستثمرين غير الأردنيين ليست مرتفعة، فهي لا تزيد على 1.1% من البيوعات ممّا يعني أن المشتريات الخارجية ليست كبيرة، وأنّ المضاربات هي التي رفعت أسعار الأراضي إلى مستويات غير مسبوقة، وأن لا دخل للعراقيين في "جنون" الأسعار، الذي طال الشقق والأراضي الزراعية، وحتى تلك خارج التنظيم، والصحراوية البعيدة عن المناطق المأهولة.

وفي هذا الاطار، هناك دعوات إلى رفع رسوم التسجيل لتصبح 16٪ بدلاً من 10٪كما هو مطبّق حالياً من أجل منع المتداولين الإستفادة من فروق الاسعار، وتحميلهم كلفاً اضافية ستستفيد منها الخزينة، بالإضافة الى ما فُرض من رسوم على وكالات البيع عند الكاتب العدل، بعدما إعتبرت بيوعات ناجزة.

تلكؤ حكومي

وفي الحالين، يظهر أثر التلكؤ الحكومي في كبح لعبة البورصة، وكذلك أثر قرارات متعجّلة تبحث عن العوائد للخزينة، قبل تقييم النتائج على السوق، وفي الحقيقة، فإن هناك عدة عوامل أدّت إلى ما آل اليه السوق العقاري، يمكن إجمالها فيما يلي:

1- تسبب إرتفاع مؤشر البورصة في عام 2005 إلى ظهور ملاكين جدد، صنعوا ثروتهم من السوق المالي، و"أخفوها" أو "وطنّوها" في العقار، أرضاً وعقارات، وبأحجام كبيرة أدّت إلى طلب هائل على الأراضي.

2- تسارع نتائج سوقي البورصة والعقار دفعت المغتربين الأردنيين في الخليج إلى التهافت للاستفادة من الثراء السريع، الذي يبحث عنه المغترب قبل المواطن، فدفع بعضهم بمدّخراته، وسارع البعض الاخر للإقتراض من أجل دخول "الفورة"، والفوز بحصّة من الأرباح، التي تحققت لكثيرين قبله وبعده، ولا يزالون يحقّقون الربح السريع، وإن كان بوتيرة أقل.

3- إستفادت عمّان، ككلّ دول المنطقة، من الطفرة النفطية نتيجة إرتفاع عوائد النفط، تماماً كما تأثّرت كثيراً بما آلت آلية إرتفاع أسعار المشتقّات، فدفعت بالتضخم إلى مستويات عالية لم تصلها من قبل، وهي ذات الأسباب المتعلّقة بعوائد النفط، وصعود البورصات العربية، وتراجعها بعد حين، ممّا دفع بالمستثمرين الخليجيين إلى النظر إلى الأردن، ونقل إستثماراتهم إلى عمّان بعدما حلّ ببيروت من تراجع، وفقدان الإستقرار السياسي، إثر اغتيال رفيق الحريري في شباط 2005 ، فضلاً عن تأخّر سوريا في الإنفتاح، أو تباطؤها، أوضحا صورة وإتجاهات الإستثمار العربي نحو شرق المتوسط، بدون لبنان، وهذا بحد ذاته "مربط" الفائدة الأردنية من الظروف السياسية والاقتصادية، نجح الاردن في توظيفها في سلسلة علاقاته على مستوى المنطقة والعالم (مؤتمر

دافوس الاقتصادي على شاطئ البحر الميت) قبل أن يوفر البيئة الإستثمارية الجاذبة، والمثال على ذلك إجتذاب "العقبة الاقتصادية الخاصة" على خليج البحر الاحمر لمشاريع سياحية كبرى، قبل إكتمال عقد المنطقة قوانيناً وأفكاراً، وكذلك منطقة المفرق الإقتصادية الخاصة، التي إستفادت من تجربة العقبة، وينتظر لها ان تكون مركزاً hub للنقل والتخزين، يختصر المسافات، ويتجاوز الحواجز بين الدول في الشحن الجوي والبري والبحري.

ويجب علينا أن لا ننسى أثر هجمات 11 سبتمبر في الولايات المتحدة الأميركية، في حفز المغتربين الأردنيين في كلّ من الأميركيتين وأوروبا وأستراليا، لإرسال مدخّراتهم إلى الوطن، خوفاً من إجراءات المصادرة أو التجميد وصعوبات التحويل والتعطيل ورصد إنتقال الأموال بحجّة مكافحة تمويل الأرهاب، وإن كانت إستغلت لزيادة ضريبة الدخل على بعض المغتربين، والحقيقة أن معظم هذة التحويلات إستخدمت في شراء الاراضي، أملاً في تحقيق الأرباح إياها، أوامتلاك أراضٍ قابلة للتطور لمدة طويلة.

لماذا التراجع؟

ويمكن إختصار ظاهرة التراجع في سوق العقار إلى الآتي:

1- حالة الإشباع التي صبغت سوق الشقق، بعدما أفردت البنوك تسهيلاتها، ومدّت المقترضين بمدد التغطية العالية، التي وصلت الى 100% وباغراءات مصاحبة، وكفالات سهلة، ضاعفت أعداد المستفيدين، فانخفض الطلب، وزاد المعروض للفئة القادرة على التسديد، وإتجهت الأنظار إلى الشريحة الأكبر، غير أنها لا تقوى على إقتحام السوق، بسبب حدود الدخل المحدودة، ممّا يعني حاجة السوق إلى وقت كافٍ، للتكيف مع المطلب الجديد.

2- كثرة الشكوى من إرتفاع الأسعار -وهي بالمناسبة أقل بكثير من مثيلاتها في الدول المجاورة- وتحميل العراقيين مسؤوليتها، أدّى إلى إحجامهم عن الشراء، بعد تضييقات عليهم، نفروا منها وهاجروا إلى دبي ودمشق والقاهرة، ممّا نتج عنه تكدّس شقق كانت إرتفعت أثمانها إلى ارقام خيالية، وصل إلى أكثر من ألف دينار لمتر البناء المربع، وكان البعض أرجع ذلك إلى زيادة الطلب على الأراضي السكنية، وإرتفاع اسعارها، وكذلك مواد البناء غير أن آلية السوق لم تسعف في خفض للأسعار، بعدما كانت تحقق شركات الإسكان اباحاً قياسية، نتيجة إعادة التقييم الذي كانت تجرية على الأثمان شهرياً، كما درجت علية دائرة الأراضي.

3- تخبّطت الحكومة بشأن إعفاء مساحات من رسم التسجيل، فبعد أن الغت الإعفاءات، التي كانت تشمل مساحة 150 متراً مربعاً، عادت وقلّصت الإعفاء الى 120 متراً مربعاً، فيما فرضت 1٪ على الشقق بمساحة من 120 الى 150 ، وهذا ما دفع كثيرين كانوا ينون الشراء إلى التراجع، أملاً بإنتظار الجديد، وإنعكس القرار بطبيعة الحال، و بان أثره على الفور، ممّا أنتج إنزلاق السوق، حتى خُيّل للبعض أن الفقاعة قد إنفجرت، وأنّ الرواج تلاشى بسرعة.

4- وكان لسلسلة إعادة تخمين الأراضي والعقارات، التي تجريها دائرة الأراضي والمساحة شهرياً، أثرها على لجم الأسعار، فالفروقات بين سعر السوق وتقديرات المخمّنين كانت تُغري المشترين تحديداً، لأنّ آلية السوق أجبرت المشترين على دفع رسوم البائع والمشتري على السواء، لأن رواجاً مغرياً يدفع للتغاضي عن الكلف الإضافية.

5- ولم تكتف الحكومة بهذه الإجراءات، فذهبت إلى سلسلة قرارت منها: تقليص عُمر الوكالات غير القابلة للعزل من خمس سنوات إلى سنة واحدة، وأجبرت الموكّلين تثبيت الوكالة على صحيفة العقار، وهذا كان مطلباً لمنع البيوعات، بعد منح الوكالة وكشف التزوير، إلا أنّها فرضت رسوما تبلغ 16 بالألف من القيمة المقدّرة على أن تحسم من رسوم التسجيل البالغة 10٪ عند إتمام معاملة نقل الملكية، خلال عام من تاريخ الوكالة، وهذة فترة غير كافية، سيكون لها أثرها على تداول العقار في القادم من الايام.

ختاماً: ماذا إقترفت أيادينا

وفي الختام، تثير مؤشّرات التباطؤ في سوق العقار ،منذ بداية النصف الثاني من العام، والتراجع الحاد في البورصة، منذ بداية العام، إلى مخاوف تراجع النمو الإقتصادي خلال الربع الأول من العام الحالي إلى 5.9٪ منخضاً من نسبة 6.7٪ كان بلغها خلال نفس الفترة من عام 2005، ويتوقع له ان يحوم حول 6% حتى نهاية العام، وفق تقرير صادر عن صندوق النقد الدولي.

هل نحتاج، في كلّ مرّة، إلى مؤشرات المؤسسات الدولية لنقتع بما اقترفته أيادينا؟

شارع سليمان النابلسي

طاهر المصرى على كرسي الإعتراف

في مساء يوم صيفي من العام 1997 ، كنّا إلى جانب طاهر المصري في سيّارته الخاصة، خالد محادين وأنا، ندخل إلى الكرك، الخارجة لتوّها من أحداث الخبز، لنجد أنّ البيت الكبير لمضيفنا الدكتور نزيه عمارين نائب المدينة، يضيق بعشرات الكركيين من كافة العائلات.

وتبادل الموجودون الكلمات، وإستمعت إلى كركي حبيب يدعو أبا نشأت إلى خوض الإنتخابات النيابية عن مدينته القلعة، فتذكّرت كيف فاز يعقوب زيادين، إبن الكرك في انتخابات 1956 بمقعد القدس المسيحي.

وبعدها بأسبوع، كان صديق من عشيرة الماضي العزيزة في اقصى البادية الشمالية في الدفيانة، يلحّ علي للتوسّط لإستضافة طاهر المصري، فشباب القرية يودّون التعرف عليه، والتضامن معه، في رؤيته المخلصة للوحدة الوطنية، وهذا ما كان..

كان المصري، قبل ذلك بوقت قصير، ألقى محاضرة في المركز الثقافي الملكي، تبعها هجوم مركّز عليه، من إقليميين على جانبي النهر، وكتبت المقالات وأُلقيت المحاضرات، لكنّ قراءة الرجل للوحدة الوطنية الحقيقية، كانت تجد قبولها لدى الناس العاديين، باعتبارها تنطلق من رؤية مخلصة بعيدة عن مصلحة شخصية هنا او هناك..

وفي حقيقة الامر، فان لدينا قراءتين قد تصلان الى حد التناقض في مسألة الوحدة الوطنية، وينطلق أصحابهما من الشعار الكبير الذي يحمل شكل الجمع، لكنّه يذهب إلى مضمون الفرقة، (فالحقوق الضائعة) تقابلها (حقوق منقوصة)، والعودة الى (الاصول) تقابلها عودة الى (الفصول)، والإستغراق المتبادل في طريقة فهم الماضي، وتفسيره، لا يحمل إلا التباين، ويقترب من جدل أهل بيزنطة حول جنس الملائكة.

وهناك القراءة الثالثة..

تلك التي يمارسها اصحابها على ارض الواقع ومنهم طاهر المصري، وهي التي تنطلق من أنّ الماضي كان مشتركاً على الدوام، وان المستقبل لا يمكن إلا أن يكون مشتركاً، وأن الوحدة الاردنية الفلسطينية كانت الردّ الوحيد على تقسيمات سايكس بيكو..

وهي القراءة الثالثة التي لا ترى في الماضي الا عبرة للمستقبل ولا تريد من الواقع الحالي الا ان يكون التأسيس للغد المشترك، وهذا لا يأتي الا بالعمل على خلق أردن العدل والمساواة وتكافؤ الفرص.. وفلسطين الدولة المستقلة

ونعود الى ابي نشأت فنراه اردنيا بين الفلسطينيين وفلسطينيا بين الاردنيين، وبين هذا وذاك هو احد اصحاب القراءة الثالثة، التي لا تعترف الا بمستقبل واحد لكل الاردنيين، شرق النهر.. ولا ترى الا الوحدة الطبيعية التي خلقها الله بين شرق النهر وغربيه.

اما الداعون الى الفرقة من الجانبين، فلهم دينهم ومصالحهم ولنا دين ووطن وشعب واحد..

رئيس التحرير

بقلم : ناصر قمش، وبكاميرا:

ما الذي ستضيفه مقابلة صحفية مع طاهر المصري، بعد مضي 16 عاما على تركه للوزارة؟ هذا هو السؤال الأبرز، الذي جال في خاطري، وأنا أتصفّح مواقع البحث الالكترونية، عن صاحب الإسم الذي كلفه جلالة الملك بتأليف الوزارة للمرة الأولى يوم 19 حزيران 1991وسط ظروف سياسية تاريخية، لازالت آثارها وتداعياتها تظلّل المشهد السياسي المحلي، ذلك أن "نقرة " واحدة على الكمبيوتر، ستظهر أكثر من ألف موقع للبحث، عن هذه الشخصية، التي مازالت تحتل مساحات واسعة من الجدل

وهذه المواقع تظهر أن مئات المقابلات والتصريحات، اجراها المصري، وعدد مقابل من المقالات، التي كتبت عنه، وتعكس تنوّع نشاطاته وخبراته، وعلاقاته في مختلف الحقول والميادين.

في نسبه لعائلة تعتبر من سنديانات نابلس من جهة الأب، ونسبه أيضاً، إلى ما زاده عليه من عراقة عربية، حيث امه التي تنتمي إلى عائلة الصلح اللبنانية، يختزل المصري تجربة سياسية ضاربة في الفرادة .

فلا تكتمل حلقات التنوع دون الوقوف على أعتابها، ذلك أنّ

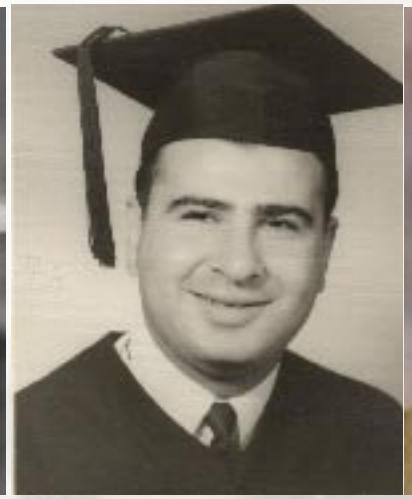

تراثه السياسي وخبراته، وثقافته، مكنه من إمتلاك برنامج وطني متكامل، تمّ إختباره عند أعنف المحكات ، وأكثرها دقة في النتائج..

فحكومة المصري، لم تكن مجرد عود ثقاب، لكنّها أنارت، بما أقدمت عليه، آفاقاً ديموقراطية وحضارية ، ينبغي التوقف عندها، واعادة قراءتها من جديد.

المصري لم يفضّ إشتباكه اليومي مع السياسة، وهو في الوقت الذي يعلن تمسّكه ببرنامجه الإصلاحي، إلا أنّه يقول كلاماً قد يبدو جديداً اليوم، ولكنّه جزء من نمط تفكيره المتقدّم، فيتفهّم الإجراءات والإعتبارات الأمنية، بسبب ظروف المنطقة.

على مدار أكثر من ساعات طويلة، قضتها "اللويبدة" في دارته في عبدون، ومكتبه العمّاني العريق في عمّان الجبل، فاضت صراحة المصري، حول مختلف القضايا، ولكلّ شيء وقته، ونحن ننشر ما جاء وقته، ونؤجّل ما دونه ، وفي كلّ الحال، حاولنا تقديم مادة جديدة لمواقع البحث الالكترونية.

س : النشأة بدأت في نابلس، وسط عائلة ثريّة، ومعروفة، ما الذي يتذكّره طاهر المصري من تلك الأيام، وكيف أثّرت في مسيرة حياته، التنقّل والإستقرار؟

ج : أنا من مواليد عام 1942 ، أي أثناء الحرب العالمية الثانية، وذلك بالتزامن مع ظروف صعبة يمرّ بها العالم، وكذلك فقد كانت الهجرة اليهودية إلى فلسطين في أوجها، وقد أحدث ذلك ظلالاً سياسية كبيرة على المنطقة بشكل عام، وفلسطين بالذات، خصوصاً فيما يتعلّق بدور الإنتداب البريطاني، لتسهيل هجرة اليهود وتوطينهم .

أيضاً، أنا نشأت وسط عائلة ثريّة، بمعايير ذلك الزمن، وميسورة الحال بمعايير هذا الزمن، مما ولّد عندي إستقراراً نفسياً وإجتماعياً وعاطفياً تمثّل بشعوري بالأمان، الذي إستمر معي في حياتي، ولكنّني، ولأول مرّة خالجني الشعور بعدم الإستقرار، في العام 1967 عندما تمّ إحتلال الضفة الغربية.

كنت وقتها في عمّان، أعمل في البنك المركزي، فيما كانت عائلتي وأقاربي وكلّ أملاكنا هناك، فشعرت بأنني أصبحت وحيداً، ومن واجبي الإعتماد على نفسي، وخفت من المستقبل، لكنّ الوضع الآمن عاد إلينا بعد عدة سنوات، وهذا المنعطف جعلني أفكّر ملياً بشخصيتي، ومستقبلي، تحسّباً من الوقوع في مصائر العائلات التي تدمّرت، وتبخّرت ثروتها، فبدأت العمل على بناء شخصيتي، وتهيئة نفسي للبقاء ومواجهة أي ظروف محتملة في المستقبل، والحمد لله ساعدني الحظ والظروف بأنني تبوأت مركزاً وزارياً في حكومة زيد الرفاعي، وبدأ الإنطلاق الحقيقي لي في حياتي السياسية .

س : هل أصبحت وزيراً وعمرك 31 عاما؟

ج : نعم، قبل ذلك بأيام معدودة، أصبحت نائباً في البرلمان عن قضاء نابلس، واستمر التزامن بين منصب الوزارة والنيابة لفترة من الزمن.

س : لنعد إلى الطفولة، فنحن لا نريد حرق المراحل ؟

ج: نابلس مدينة عريقة وقديمة، فيها صراعات عائلية واضحة، مثلها مثل كل المدن والحواضر، ورغم ظروف الحرب، إلا أن هذه الصراعات كانت جزءاً أساسياً في مشهد الخارطة الإجتماعية، حتى عندما ظهرت بوادر ضياع فلسطين، فإنّ ذلك لم يتغلّب على هذه التحزّبات، وللأسف الشديد، فإنني لا زال أشاهد هذه المظاهر تتكرّر على الأراضي الفلسطينية. ولكن، يجب القول إنّ كل جيلي تأثر لنكبة 48 وما عكسته على مدينة نابلس، وعلى عائلتنا، وعلى المنطقة أيضاً، بحيث تدفّق اللاجئون، فسكنوا في الجوامع، وتعطّلت المدارس لسنة كاملة .

وبدأت التركيبة الإجتماعية لمدينة قديمة، وعريقة، مثل نابلس، تختلف شيئاً فشيئاً، بحيث دخل على المدينة أناس ليسوا من أهلها التقليديين، وبقيت المخيمات حول المدينة، ثم جاءت ثورة عبد الناصر 23 يوليو لتدفع بالمفهوم القومي إلى الأمام، وتبعها تأميم قناة السويس، والعدوان الثلاثي، بمعنى أنني نشأت وجيلي في ظروف قومية واضحة المعالم، وهذا ليس وضعي لوحدي، وإنما هو وضع كل أبناء جيلي . كل هذه المفاهيم تأصّلت في داخلي، دون مراعاة الزمن والتطوّرات الداخلية والخارجية وتأثيراتها، ذلك أنّه يجب أن لا يبقى الإنسان جامداً في تفكيره.

س : من أين جاء ثراء عائلة المصري ؟

ج : من التجارة، نحن عائلة قديمة في نابلس، وبدأ رجالها في التجارة منذ زمن بعيد، ومن بينهم جدّي طاهر، الذي انشأ شركة، وكانت له أفكار رائدة، فمثلاً بنى مطحنة في نابلس، ولم يكن لها مثيل في جميع أرجاء المنطقة، رغم أنها منطقة مليئة بالحبوب، إلا أنه لم يكن هنالك مطحنة، وكذلك، فإنه بنى مصنعاً للكبريت وتم إستيراده في الثلاثينيات من ألمانيا، أي أنه كانت هنالك مشاريع صناعية منذ الثلاثينيات بسبب هذه الأفكار المميّزة .

أما بالنسبة للتجارة، فقد إشتغل جدّي بالحبوب والأغنام وإمتلكت العائلة مصبنة، كان رائداً في تفكيره، إلى درجة أنه أرسل إبنه حكمت، في ذلك الوقت، والذي أصبح فيما بعد رئيساً لمجلس النواب الأردني، إلى الجامعة الأمريكية في بيروت، منذ منتصف العشرينات، وتخرّج سنة 28، وهو من أوائل الجامعيين الذين تخرّجوا في نابلس وفلسطين .

إذن، الثروة لم تأت فجأة، بل تمّ بناؤها تدريجياً، وإذا أردت تقييمها بمعايير هذا الزمن فهي ليست ثروة، بينما في ذلك الوقت يمكن إعتبارها كذلك. في ذلك الوقت، الناس كانوا متساوين، لا يوجد أغنياء أغنياء، ولا فقراء فقراء، فغالبية الناس ضمن الطبقة المتوسطة، ويعيشون مثل بعضهم البعض، مع وجود بعض الفوارق البسيطة. كانت الحياة أسهل من هذه الأيام.

س : يقال إن الثروة كانت بسبب ورقة يانصيب؟

ج: لم يكن الحاج طاهر هو الذي ربحها، ولكنّ إبن عمنا، هو الحاج معزوز المصري، الذي يعتبر أيضاً من أثرياء العائلة، أصلاً، والورقة زادت ثروته، ولم تكن الأساس فيها.

س: حصلت على رخصة سواقة، في سنّ مبكّرة، وذلك إستثناء من التعليمات والأنظمة، التي تحدّد الثامنة عشرة للرخصة، ما هي القصّة، ولماذا إضطررت لقيادة سيارة العائلة بنفسك ؟

ج : حصلت فعلاً على رخصة القيادة وعمري 16 سنة، والسبب يعود إلى أن والدي حُكم عليه لسبب سياسي بالسجن، وبحكم أنني كبير العائلة بين 11 أخاً وأختاً، وكانت لدينا سيارة أمريكية ضخمة، ولا بد من أن يُرسل أحدنا الطعام لوالدي في السجن، لذلك تولّيت هذه المهمة، وواظبت بشكل يومي على قيادة السيارة وإرسال الإفطار له .

المسؤولون الحكوميون، في ذلك الوقت، أظهروا قدراً من التعاطف مع قضية والدي، خصوصاً مدير السير (عزيز أيوب) الذي سمح لي بحمل الرخصة تجاوزاً وعمري 16 عاما، وبالرغم

ذلك، فأنني تقدّمت للإمتحان، وإجتزته بنجاح .

.....هنا أبرز رخصة القيادة، ليؤكد أن تاريخ إصدارها 20 - 9 - 58 ، ومن ثمّ إسترسل بالقول: كما ترى فإنّني من مواليد 5 -3- 43- مما يعني أني حصلت على رخصة القيادة وعمري أقل من 18 عاماً.

س : كم بقي والدك مسجونا ؟

ج : تعدّدت الأحكام ضد والدي، وفي المرّة الأولى حُكم لمدة ثلاثة أشهر، وثمّ نفي إلى سجن الجفر 3 أشهر أخرى، إلى أن أعيد توقيفه في البيت، بإقامة جبرية لمدة 6 أشهر ؟

س: كيف أثّر هذا الأمر عليك ؟

ج : حتماً، هذه من الأمور التي أثّرت علي بشكل كبير، لأنّ الظلم الذي وقع على والدي كان شديداً، والحكم العرفي كان أشدّ قساوة على والدي، وعلى عمّي حكمت، لأنه أيضاً وُضع تحت الإقامة الجبرية، وهو عضو مجلس النواب الأردني .فنحن أصدقاء للعائلة المالكة، والملك عبد الله الأول كان قريباً جداً، وصديقاً للعائلة، خصوصاً لعمّي معزوز الذي إستضافه في منزله عدة مرات للمبيت. ولنا ذكريات كأطفال، وكعائلة، عميقة جداً معه. لهذا،جاء هذا التعسف العرفي ضدّنا بدون مبرر، ولكنّ هذه الأمور أصبحت من التاريخ الآن!

س: ما هي حكاية تبرع جدّكم طاهر لإنشاء مدرسة النجاح قبل أن تتحوّل إلى جامعة؟

ذكر البستاني أن جدّي المرحوم طاهر المصري أوعز إلى إبنه

المرحوم (عمّي المرحوم حكمت) بالتبرع بخمسمائة جنيه، خلال حفل إنشاء المدرسة، فأثنى الشاعر على هذا التبرع بقوله:

للطاهر المصري درّ الكلام ما قاله " حكمت " مسك الختام
جاد الفتى والجود من طبعه فسار في الموكب جيش الكرام

فأعلن جدّي طاهر المصري عن التبرّع بمائة جنيه لكل بيت من البيتين، ثم إنهالت التبرّعات، فبلغ مجموع ما قُدّم خمسة آلاف جنيه؟ وهكذا تأسست المدرسة.

س : هنالك بعد مالي جديد، ونفوذ إقتصادي لعائلة المصري، تجسّدت في مشروعات صبيح المصري، الذي يعتبر من أكبر المستثمرين، هل أنتم كعائلة، جزء من هذه الشراكة، أم أنها إستثمارات فردية ؟

ج : وضع العائلة تشعّب، وتغيّر، فبعد أن كان عنوان العائلة الحاج معزوز والحاج طاهر، ومع فتح باب الخليج للعمل هنالك، توزّعت العائلة، مثلما توزّع العديد من العائلات بين الأردن وفلسطين ومنطقة الخليج، وعمّي صبيح واحد من هؤلاء الذين توجّهوا للسعودية، في وقت مبكر، فأنشأ مصالحه هناك، ونجح، وهذه بالطبع شركاته الخاصة، وليست للعائلة، بذلك المفهوم القديم الذي تحدّثنا عنه.

لكن صبيح المصري محسن كبير، ويقدم ملايين الدنانير كمساعدات في فلسطين، والأردن، وأماكن أخرى، فيستفيد من إحسانه آلاف الناس، وإذا كنت ستنظر لها من زاوية، أنه يساعد بعض أفراد العائلة المحتاجين، أو يساهم في الإنفاق على ديون العائلة فهذا حاصل، وهنالك أفراد آخرون من بيت المصري كوّنوا ثرواتهم كعائلات مستقلة، ولكنها ليست إستثمارات لعائلة المصري بالمعنى التكافلي، فلا يوجد بنك للعائلة، أو شركة تأمين لها.

س : بداية الإنفتاح على العالم، والخروج من أجواء نابلس، هل كانت مع الدراسة في الجامعة الأمريكية ؟

ج : باعتبار أنّ أمّي لبنانية من عائلة الصلح، ولأن والدي ميسور الحال، كنّا نسافر بإستمرار، وليس جديداً عليّ الخروج من أجواء نابلس، ولكن بالمفهوم الذي تقصده نعم، أنا خرجت من نابلس وعمري 17 سنة، عندما ذهبت إلى الجامعة الأمريكية في بيروت، لأدرس، وإنتقلت من محيط نابلس للمرة الأولى خارج سياق الإجازات والزيارات، بل كإقامة دائمة، ما قصدته أنني لم أنتقل فجأة من محيط نابلس إلى محيط بيروت المنفتح، وأريد أن اعترف لك أنني لم أكن راغباً في الذهاب إلى بيروت، لأنني الأخ الأكبر، وأحسست أنّ والدي يريد أن أكون قريباً منه، فبقيت لصيقاً بمحيط نابلس، لإعتبارات أبوية بحتة، فتعمّدت عدم التركيز على دراستي في الجامعة الأمريكية، وطلبت من والدي السماح لي بترك بيروت، ولكن والدي أصر على دراستي، فعُدت أدراجي إليها، رغماً عنّي، إلى أن تمكّنت في السنة التالية من الذهاب إلى أميركا، وأكملت دراستي هناك، وبعد حوالي أسبوع من تخرجي، عدت لأعمل في البنك المركزي، ومن هناك بدأت حياتي العملية؟

س :ما الفرق الذي وجدته بين نابلس وبيروت في ذلك الزمن ؟

ج : حتما كان هناك فجوه حقيقية بين المدينتين من ناحية ثقافية ومعيشية، أولاً : في نابلس، كنت تحت مظلة وجناح العائلة، بالذات والدي في ذلك الوقت . وفي بيروت أصبحت طالباً مستقلاً يتطلع إلى مستقبله، ثانيا : نابلس مدينة محافظة بشكل كبير، وبيروت مدينة منفتحة، فيها تعددية في الحياة الاجتماعية، ثالثاً: هنالك تعددية سياسية في بيروت أكثر، ففي عام الخمسينيات كان توهّج حزب البعث والمد الحزبي والقومية العربية، وكان هناك نشاطات كثيرة جداً ومركزها الجامعة الامريكية، والتضارب بين الفئات اللبنانية المحافظة، مقابل نشاطات اللبنانين بشكل عام .

وأهمّ شئ بالنسب لي، في الجامعة الاميركية، فقد إنفتحت على معرفة وثقافة متميز، بحيث أن الصف الأول هو سنة تحضير ثقافة باللغة الانجليزية، ندرس خلالها عيون الأدب الغربي، ومختلف العلوم . وهذا بالطبع يمثل نقله نوعية عن نابلس.

س : مالذي جمع بين والدكم، إبن نابلس والدتكم اللبنانية؟

ج: الزواج كان تقليدياً، مثل عادة أيام زمان، ذلك انه كان لوالدي له ثمان أخوات، بدأن يفتّشن له عن عروس في أنحاء فلسطين، والمعروف ان والدتي أصلها من مدينة صيدا اللبنانية من عائلة الصلح، فقد تمّ إنتداب والدي أيام الحكم العثماني كقاضي في يافا، وهناك بدأت قصة الزواج، عندما ذهبت عماتي إلى يافا، واعجبتهن أمّي، ولم يكن متاحاً إجتماعياً أن يقابلها ويراها، فقام والدي بالتنكر في زي سائق، وقاد السيارة التي أقلّت أخواته، وذلك للتمكّن من رؤيتها، لكي لا يتعرف عليه أهل العروس، لانّه لم يكن مسموحاً له بذلك، بسب عادات وتقاليد تلك الايام، وعندما رآها وافق وتزوجوا سنة 1941.

س: وهل تزوجت أنت بنفس الطريقة ؟

ج: لقد تعرفت على زوجتي ضمن محيط محافظ، طبعاً، لكن بطريق مختلفة، واللقاء كان بالصدفة، في بيت أحد الأقارب، وبقيت لفترة أراها ضمن جو عائلتها (البيطار)، وهم عائله كركيّة، مقيمة في عمان، ثم إتّفقنا على الزواج، بعد ان أخبرت والدي، فجاؤا من نابلس، ووافق، وصار النصيب.

س :ماذا تعني الزوجة لطاهر المصري ؟

ج:مضى على زواجي أربعون عاماً، فالزوجة رفيقة، وفي بعض الأحيان هي مستشارة، فهي تُشرف على البيت وتربية الأولاد، وباعتبار أن لي وضعاً سياسياً معيناً، فهي مكمّلة لجوانب معينة لشخصي، ومكمّلة لبعض نشاطاتي، خاصة في الجانب الاجتماعي، الذي يشكل أهمية كبيرة بالنسبة لي، وبحكم خلفيتنا العلمية والثقافية المشتركة فزوجتي هي شريكه حقيقة.

س : الوضع الإقتصادي المميّز لعائلة المصري في نابلس، هل كانت له تعبيرات إجتماعية وسياسية، تمثّلت في التمتّع بالنفوذ داخل المجتمع الفلسطيني؟

ج: الزعامة السياسية لها مقوّمات عديدة، لا تتعلّق فقط في المال، خصوصاً في ذلك الوقت، لأنه كان هناك نقاء وصفاء في التعامل أكثر مما نشهده الآن، فالزعامة إرتبطت بعناصر عديدة، منها: حجم العائلة، والموقف السياسي، والإرث التاريخي كعائلة مترسّخة في نابلس، منها أيضا موضوع الثروة، وهذه تحصّلت كلها لعائلة المصري، لذلك فإن انتخابات نيابية منذ 1948 لم تخرج عن معادلة فوز ممثلي العائلة، حكمت المصري، وهو من زعماء نابلس، فاز في إنتخابات الوحدة مع الضفة، وفي نشاطات سياسية عديدة، وإستمرّ هذا التمثيل في الأردن بمشاركته في أوّل حكومة في عهد المرحوم الملك حسين، والتي شكلها فوزي الملقي، ثم تمّ تعيينه رئيساً لمجلس النواب، وهكذا . الوضع المالي الذي يجلب وضعاً اجتماعياً، حتماً كان له دور.

س :لماذا تم اغتيال عمّكم ظافر المصري بتقديركم؟

ج : لقد تربيت أنا وظافر مع بعضنا البعض، فهو من عُمري تماماً، ودرسنا معاً في مدرسة النجاح إبتداء من الصف الأول حتى ذهبنا للجامعة الأمريكية، فهو رفيق العمر، بالإضافة إلى أنه عمّي أخ والدي، فهو أيضاً أصغر أبناء الحاج طاهر المصري، لذلك كنت بعمره، عندما عاد من بيروت إلى نابلس.

المرحوم ظافر، وفي مرحلة معيّنة، أخذ موقعه في إدارة الشركة، وبعد أن حقّق نجاحاً كبيراً، أصبح محبوباً جداً، وقريباً من منظمة التحرير الفلسطينية، وقريباً من الأردن بسبب وسطيّته. في ذلك الوقت، بدأت الإنتخابات البلدية، وسط أجواء سياسيّة محمومة، الحكومة الأردنية سعت خلالها لإحلال رؤساء بلديات فلسطينيين، لكي لا تُبقى هذه البلديات بأيدي الإحتلال الإسرائيلي، خصوصاً، وأن ضابطاً إسرائيلياً شغل منصب رئيس بلدية نابلس في ذلك الوقت، وتمّ التوافق بين الحكومة الأردنية بشكل غير معلن

وبين منظمة التحرير على السماح لشخصيات محترمة، لان تأخذ مواقعها في البلديات، وفي ظلّ إجماع على تولي ظافر لرئاسة البلدية، سعيت كوزير للخارجية، في حكومة زيد الرفاعي على الحصول على الموافقات اللازمة، إلى أن تمّ تنصيبه رئيساً للبلدية، ولكن مجرماً غدّاراً، من الجبهة الشعبية، ترصّد له، وإغتاله عقب تعيينه، وكانت له أكبر جنازة في نابلس، وعمّ حزن عميق في الضفّتين الغربية والشرقية، بسبب هذا الحادث الأليم.

س: الكثيرون يتوقفون عند محطة رئاسة الوزراء في مسيرتكم، بإعتبارها الأرفع شأناً، ولكنّنا نحبّ أن نتوقف قبلها، عند وزارة الخارجية، بوصفكم من أبرز من حملوا الحقيبة ؟

ج : توليت وزارة الخارجية ما مجموعه خمس سنوات ونصف السنة، وهي أطول خدمة لوزير خارجية، وكنت كذلك أصغر وزير خارجية حتى هذه اللحظة، تلك الحقيبة كانت مريحة، لأنّ وضع الأردن السياسي كان مريحاً، وعلاقاته مع الدول العربية ممتازة، وتفاهماتنا مع منظمة التحرير جيدة، وفي تلك الفترة عُقد الإتّفاق الأردني الفلسطيني المشهور في شباط 85 ، وعقد المجلس الوطني الفلسطيني الخامس عشر بعد الخروج الفلسطيني من لبنان في عمّان.

تلك المرحلة أيضاً مثّلت أوج التعامل الإيجابي مع الأوروبيين، وكان جهد الملك في ذلك الوقت كبيراً، وتأثيره مهماً في تغيير مواقف الاتحاد الأوروبي الناشئ تجاه القضية الفلسطينية، وبداية تعاملهم مع منظمة التحرير، وأيضاً هذا إرتبط بمحاولة ترويج منظمة التحرير أمام الولايات المتحدة الأميركية، كمقدّمة لبناء المؤتمر الدولي، الذي كان عنوان السياسة الأردنية، ونجحنا إلى حد كبير .

أما الفترة الأخرى، كوزير خارجية، فكانت بعد غزو الكويت، وكانت فترة صعبة جداً للأردن، بسبب الحصار الذي تعرّض له، نظراً لموقفه من موضوع غزو الكويت، والتعامل مع التحالف ضدّ العراق، فدفع الأردن ثمناً صعباً، ولكن هذه الفترة مثّلت مفصلاً تاريخياً، لأنّ جورج بوش الأوّل أطلق مشروعه للمفاوضات مباشرة حول الشرق الأوسط، ولم يكن ممكناً، لأي طرف، بمن فيهم الولايات المتحدة الأميركية، تجاوز الدور الأردني، فبدأ التعامل مع الأردن مرة أخرى، إلى أن تمّ تكليفي برئاسة الوزراء، وذهبنا إلى مدريد، ودارت عجلة المفاوضات .

س : كنت وزيراً للخارجية عند إصدار قرار فك الارتباط . ما هو موقفك منه ؟

ج: كنت ضد فك الارتباط، لإعتبارات كثيرة، وإستقلت من الحكومة، ولم يكن لي أدنى علم بهذا القرار، ما كنت أعرفه أن الإنتفاضة الفلسطينية، التي بدأت عام 87 ، كانت تؤرق الحكم في الأردن خوفاً من حدوث تداعيات داخلية، في ظل مصاعب إقتصادية جمّة تواجه الإقتصاد الأردني، كلّ ذلك وسط خذلان عربي في تلك الأشهر العصيبة .

س: شاركتم بفاعلية في صياغة بنود الميثاق الوطني، هل تعتقدون بأن جميع الأطراف المكونة له إلتزمت بما تعاقدت عليه؟

ج: أولا، مفهومي للميثاق الوطني أنه وثيقة إصلاحية ومبدئية مهمة جداً، ويجب أن تمثّل قاعدة مهمة للحكم والحكومات في الأردن لتأخذها بعين الإعتبار.

ثانياً، فهمت من الميثاق الوطني بأنه مصالحة تاريخية بين القوى السياسية، والنظام السياسي في الأردن، بسبب التباعدات والخلافات، فتمثّلت كلّ التيارات السياسية في ذلك الميثاق، إبتداء من الحزب الشيوعي إلى الإخوان المسلمين، وخرج الجميع بتوافق وطني رائع، وكنا نتمنى أن مثل هذه الوثيقة يتمّ التعامل معها، بحيث يتمّ بناء المفاهيم السياسية على أساسها، لكن للأسف لم يتم ذلك .

س: هل تفاجأتم بالطلب إليكم تشكيل الحكومة، أم أن الظروف السياسية في ذلك الوقت كانت تؤشّر إلى أنها تحصيل حاصل ؟

ج : بصراحة، نعم تفاجأت... لقد دخلت في التعديل الوزاري على حكومة مضر بدران في 1991-1-1 مع خمسة وزراء من الأخوان المسلمين في الحكومة، ولم أكن أرغب بالمشاركة في تلك الحكومة، لأنّني كنت مرتاحاً في البرلمان في ذلك الوقت، وحدثت، في تلك الفترة، ظروف سياسية بالغة الأهمية بالنسبة لمستقبل الأردن، بعد إخراج العراق من الكويت، والتشتّت والإنقسام العربي العميق الذي نتج عن غزو الكويت، وغياب الإتحاد السوفياتي، وإنهياره. الأردن تحوّل إلى بلد محاصر بشكل حقيقي، والوضع السياسي كان مقلقاً جداً على المستقبل، فبدأنا بفك الحصار، والتعامل مع المستجدّات، والحقائق الجديدة في العالم، والساحة، وهي مهمّة خطيرة، وصعبة.كنت أوّل من زار إيران، بعد قطيعة طويلة، حتى نُعيد الخيوط التي حُرمنا منها سابقاً، أما بالنسبة لوزير الخارجية الأميركي وقتذاك، جيمس بيكر الذي زار المنطقة، ورفض زيارة الأردن إحتجاجاً على موقفه السياسي، فذهبت وقابلته في جنيف.

وهكذا بدأنا نحلحل القيود المفروضة على الأردن، فزارنا، فيما بعد، بيكر، وإتفق مع جلالة الملك على بعض الأمور، وبدأت الولايات المتحدة ببناء هيكلة مؤتمر مدريد، وعند بدأ الملك بفكفكة الحصار، أدركنا ضرورة الدخول في المعادلة الإقليمية. في ظلّ هذه الظروف، كلّفني جلالة الملك رحمه الله بتشكيل الوزارة، ورغم شعوري وقتذاك بأنني مشارك فعلي في صناعة القرار، إلا أنني لم أتوقع هذا الأمر.

وللأمانة، عندما تناولنا طعام الغذاء الذي أعلمني به بالتكليف السامي في قصر الندوة، وبحضور المرحوم الشريف زيد بن شاكر، فوجئت بذلك، وسألته إذا كان قد درس الموضوع بعناية أم لا. بسبب الإعتبارات المحلية التي تحيط بهذا القرار، ومنها مجلس النواب، لكنّه جزم، وقال: أنت الشخص المناسب (وأنا بدي اياك)... لا ترفض، فقلت له: لن اهرب من المسؤولية، لكن واجبي أن أناقشك ياسيدي في هذا الموضوع، هل أنت متأكد؟ فقال لي: نعم، متأكد؟

وسارت الأمور على هذا الأساس، وأصبحت رئيساً للوزراء .

س: هل صحيح أنك أخبرت جماعة الإخوان المسلمين، حينذاك، بأن حكومتك ليست حكومة مفاوضات ؟

ج : ما قلته بالتحديد إن برنامج هذه الحكومة إصلاحي، وديمقراطي، وأنها ستنهي حالة الطوارئ، والأحكام العرفية، وكلّ ما يتعلق بذلك، وعندنا عدة مهام، ولم أحدّد كلامي لذلك، لا أعرف من أين جاءت قصة: أننا لسنا حكومة مفاوضات .سألني بعض النواب والوزراء عن هذا الموضوع، فقلت لهم: ليست مهمّتنا موضوع المفاوضات، ولكنّنا جئنا لبرنامج واسع، ولم أقل قطعياً إنّنا جئنا من أجل هذه المهمة، أو لم نأت من أجلها، قلت كلاماً، بشكل عام، إن لدينا مهاماً كثيرة، وفي حقيقة الأمر، فقد حققنا الكثير من الإنجازات، ويتذكر المواطنون أن حكومتي هي التي ألغت الأحكام العرفية، ولجنة الأمن الإقتصادي التي كانت متسلّطة على كل قرارات البلد، وكلّ التداعيات القانونية تمتّ معالجتها خلال (5)أشهر، وهنالك إنجازات واضحة للحكومة على المستويين الديمقراطي والإصلاحي، وهذا هو الوعد الذي قطعناه.... لكن مدتنا كانت قصيرة .

س: الحكومات تتعرّض للضغط، إلى الدرجة التي أصبحت معها العرائض جزءاً من قاموس الحياة السياسية، لماذا إنحنت حكومتكم للعاصفة مع أول هبة؟

ج: أريد منك، ومن القارئ، أن تنطروا إلى الصورة بشكل عام، لا أن تُحصر النظره في حادثة إستقالة الحكومة حتى تُفهم الصورة: كان هناك مجلس نواب قوي، ويضم 30 نائباً إسلامياً، وأصدقاء لهم، والتجربة الديمقراطية في بداياتها، وأخذت أبعاداً جميلة جداً، ورائعة، وكان من الخطأ الفاحش إفشال هذه التجربة، لأيّ سبب كان، فهي رصيد الأردن في ذلك الوقت وفي كلّ وقت، مع الشعوب العربية، وحتى الدول الغربية، وفيما كانت هنالك ظروف محلية الكل يعرفها، بدأت التحضيرات لمؤتمر مدريد، ومن عايش تفاصيل تلك الفترة، ويشعر بمسؤولية في إدارة شؤون البلد، وإخراج الأردن من عنق الزجاجة، التي دخل بها بعد حرب الخليج. قلت إن مصلحة البلد يجب أن تعلو على أي شيء، وطلبت من الملك رحمه الله قبول إستقالتي فرفض ذلك، وقال لي: كل الحكومات تتعرّض للمضايقات، فقلت له: يا جلالة الملك، نحن عانينا من الحصار، ونتطلّع إلى اليوم الذي نخرج منه، فإذا حصل أي شيء في البلد، سواء لجهة حلّ مجلس النواب، أو لجهة إسقاط الحكومة، فإنّ كلّ تجربتنا ستولّد شكوكاً في قدرتنا على الذهاب إلى مدريد، هذا أمر يجب أن لا يحدث، نحن يجب أن نبقى أقوياء، ليعرف الأميركيون بأن جبهتنا الداخلية قوية، ومع أي إضعاف لها سيتطاولون علينا هم والإسرائيليون، والعرب الآخرون، الذين تخندقوا في حفر الباطن.

وقلت أيضا: إن هذه الحكومة ستتحمّل وزر مدريد، وستُعفى الحكومة التي تليها من هذا الوزر، بحيث يمكن للحكومة التي تليها التخفيف من تبعاتها .

الحسين قال لي:"أُشهد الله أنني ما تعاملت مع أشرف منك".

وقلت له: يا جلالة الملك، حسب الدستور، فإنّه يحق لعشرة نواب تقديم الطلب بطرح الثقة عن الحكومة، وهم جاهزون لذلك، ووقّعوا على عريضة أصلاً، وهنالك خمسون نائباً جاهزون لحجب الثقة، وحتى لو أراد هؤلاء تغيير رأيهم، فإن في ذلك إحراجاً كبيراً، ويعكس ضعف المجلس، فأقنع الملك بكلامي. لذلك، عندما قدّمت إستقالتي، وجمع الملك مجلس الوزراء، وعند الوداع في الديوان الملكي، قال لي، وهذا اقتباس: "أشهد الله أنني ما تعاملت مع أشرف منك".

أنا تأثرت جداً من هذا الكلام، وتهدّج صوتي، وإعتبرت أن هذه شهادة أعتزّ بها، وسأظلّ طوال عمري.. وقد قدّم لي وسام النهضة المرصّع. تلك كانت جلسة عاطفية، بكل معنى الكلمة، فقد إقتنع الملك بكلامي على أنه ليس هروباً من المسؤولية، ولا تباطؤاً، المهمّ هو مصلحة الأردن العليا، وأن نخرج الأردن من عنق الزجاجة. وثبت أن وجهة نظري كانت صحيحة، ربما تعطّل موضوع الإصلاح، ولكن يجب أن لا ننسى، على الجانب الآخر، أنّه بهذا التصرف، وهذا الوضع، إستطعنا تمرير الأردن من مخاطر كثيرة .

س : دولة أبو نشأت، بالرغم من تولّيك مناصب عديدة، وفي مواقع صنع القرار التنفيذي، إلا إنّك تحظى بمساحة كبيرة من الإجماع، وخصوصاً في الوسط الإعلامي، ما هو السرّ في ذلك ؟

ج : أنا ضعيف بحقّ نفسي، ولا أستطيع أن أتكلم بهذا الموضوع، فأنا لا يوجد عندي "وجهان" أو موقفان متناقضان، رغم أنني في بعض الأحيان أكون دبلوماسياً، ولكنني لست سياسياً محترفاً إلى الدرجة التي تدفعني لعمل أيّ شيء للتمسّك والبقاء في موقعي، لقد تعرضت لظروف قاسية، في مرات عديدة، منها رئاسة الحكومة، وإستقالتي، واتفاقية السلام، وأعتقد أن إبداء رأيي

الصريح. في هذا الجانب كلّفني ثمناً سياسياً باهظاً. فأنا صاحب موقف واضح وصريح. وفي نفس الوقت. لست متزمّتاً في أفكاري. وأفهم الواقع والصورة. والعلاقات بين الناس والحكم. وفي النتيجة فإنني لا أعمل أي صفقات على مواقف كثيرة. وأحترم الناس. وأؤمن إيماناً قطعياً بحرية الصحافة. وأعتبرها فعلاً السلطة الرابعة. وكل شيء بمقدوري أن أساعدها به. لا أتردّد عن عمله. سواء كنت رئيساً للحكومة أم لا .

س: هل هذا يفسر انتصار الصحافة لك إبان معركة الحصول على الثقة ؟

ج :طبعاً. لأنّنا كنّا حكومة وطنية. وقد ألغينا الأحكام العرفية. وقدّمنا قانون الأحزاب وقانون المطبوعات. وقانون محكمة أمن الدولة. ونحن الذين ألغينا صفقة الميراج. وخفّضنا ديون الأردن وهذه من بين أشياء كثيرة قمنا بها. الصحافة وقفت معي لأنّها عرفت أنّني على الطريق الصحيح.

س: ما الذي كنت تتمنى تحقيقه. وأنت في الحكومة. ولم تحقّقه ؟

ج : لقد تحدثت عن نشأتي ودراستي والظروف التي تعرضت لها. ولم نتحدّث عن (تثقيفي) الآخر. من ناحية معرفة العالم. والمطالعة. والجوانب الثقافية والإنفتاح على الآخر. فعبر 30 عاماً من الإقامة في أوروبا. كسفير ثمّ في مواقع مسؤولية كبيرة. فقد تكوّن لديّ نتيجة ذلك برنامج إجتماعي إقتصادي بأطر عريضة لتحديث المجتمع الأردني . وهذا برنامج مستمر. ولا ينقطع. وليس له نقطة واحدة. ولا أستطيع الزعم أن هنالك شيئاً محدداً كنت أعتزم فعله. هنالك رؤية عامة لم تستمر حكومتي لتنفيذه.

س: دائماً كنت تتحدّث عن الإفتقاد لمطبخ سياسي يصوغ السياسات. هل تعتقد بأن مبرّرات هذه الملاحظة ما زال قائماً؟

ج : أولا. المطبخ السياسي الذي أقصده هو داخل السلطة التنفيذية. لأنني أؤمن بأن الحكومة سلطة تدير شؤون البلد. ويجب أن يكون هناك تعدّد في الآراء والتشاور في السياسات. في هذا الوقت بالذات. وفي أي وقت آخر. وإذا لم يكن هنالك أناس لهم الصلاحيات. ولديهم البعد السياسي. ومشاركون في صياغة القرارات. فإنّ القرارات ستكون بلون واحد. وبعد واحد . أنا اعتقد أن المطبخ السياسي قوة للبلد. وأنا اعتقد أن هنالك تغييراً بدأنا نلمس نتائجه. يتمثّل في الإجتماعات التي يتم الدعوة إليها. سواء لمجلس السياسات. أو لغيره. يعني أن هنالك بداية تكوين لمطبخ سياسي. وأتمنّى أن يقوى ويتنوع أكثر وأكثر. ليصبح مؤثراً بصورة أكبر. وما كنا نتحدث عنه. ونطالب به. بدأ يأخذ وضعاً لا بأس به.

بالمقابل. يجب أن تأخذ المؤسسات الدستورية وضعها الحقيقي. والقانوني. بحيث تصبح مؤثّرة. وقويّة. وأنا أكرّر هذا الكلام أحياناً أكثر مما يجب. وذلك على إعتبار بأن في قوة المؤسسات قوة للأردن. وحماية البلد تكمن في تضافر وتنوع الآراء .

وفي هذا الظرف التاريخي. الذي يمرّ به الإقليم. إذا لم تكن جبهتنا متماسكة سيدخل علينا الأغراب. والأفكار الغريبة. والخطيرة. فالبلد لا يتم حماية الأمن داخله. ولن تحمينا جهات أخرى. وحتى نحمي أنفسنا يجب أن يكون هنالك قناعات عند المواطنين بأن ما يدور وما يسير هو صحيح .

س: هل تعتقد بأن هنالك إرادة سياسية للإصلاح السياسي. وما علاقة الأمني بالسياسي في الأردن؟

ج : مرة أخرى. أقول إنه وبسبب الوضع في فلسطين والعراق. ومناطق أخرى من العالم العربي. ودخول إعتبارات وظروف قوية. وتطرف. وإنغلاقات فكرية واسعة. يجب علينا في الأردن أن نوازن بين الإحتياجات الأمنية. وإحتياجات الإصلاح.

س : هذا كلام جديد ؟

ج : مع أنني إصلاحي. وأدعو للإصلاح. لا أستطيع أن أدعو وأن اجعل الأفكار الإصلاحية تكتسح كل شيء آخر. فينبغي الأخذ بالإعتبار الجوانب الأخرى. والأوضاع في المنطقة. ولا أريد أيضاً للفكر الأمني أن يكتسح الفكر الإقتصادي. ونصبح محكومين للتصوّر الأمني بشكل كامل.

لقد تمتّعنا لسنوات طويلة. بإستقرار تحدّث عنه كلّ الناس. والمجتمع الدولي يقدّر هذا الإستقرار والأمان. خصوصاً ونحن نرى ما يجري حولنا. ونحن لا نريد أن نضحي بهذا الأمر. لأيّ سبب كان سواء أكان إصلاحياً أو غير إصلاحي. لكن أيضاً لا نريد لعملية الإصلاح. أن تتوقف وان تغطى على كل اعتبار آخر .

والحقيقة أن جلالة الملك هو الذي يوازن بين هذين المتطلبين. ففي الوقت الذي نرى فيه إجراءات أمنية. فإنه يدفع بالإصلاح بشكل لا يتعارض مع الآخر. بل على العكس. فإنه يمكن أن تلتقي المصلحتان باتجاه خدمة الأردن. لإخراجه من عنق الزجاجة الذي تحدّثنا عنه سابقاً.

س : ولكن هنالك أجندة وطنية. كنتم طرفاً فاعلاً فيها. تحدّثت عن إصلاحات فيما يتعلق بقانون الانتخاب وغيره من الأسس ؟

ج : هذا تماما ما قصدته. إن هنالك وجهة نظر أو رأي قد لا تتّفق معه. بأن القانون الانتخابي الذي اقترحته كرئيس للجنة السياسية في الأجندة الوطنية. إذا طبّق الآن. قد يعرّض الأمن

للخطر. أو يُحدث إختلالات لا داعي لها الآن في هذا الظرف

وعندما أخذنا التفويض بالأجندة الوطنية. كان تفويضاً بوضع خطة بعيدة المدى لمدة عشر سنوات. بمعنى أن ما تمّ إقراره في الأجندة. قد لا يطبق هذه السنة. بسبب الظروف الإقليمية الراهنة. ولكن لدينا مدى طويل يطبق خلاله.

س :كنتم قد دعوتم الأردن في السابق إلى الانفتاح على حركة حماس .... ماذا تقولون الآن بعد ما جرى في غزة ؟

ج : لا أريد أن أتكلم في هذا الموضوع. ولكنني أُخطِّيء حماس كثيرا الآن بما فعلته في غزة. وكان يجب أن تتجنب ذلك بأي ثمن بالصبر. والعض على الأصابع .

كان يجب ان تكون نظرة حماس إستراتيجي أكثر في موضوع أحداث غزة. لأنه من الواضح إن ما حدث هناك. ليس له مستقبل. وهناك حائط سيواجهونه. تماماً مثلما أخطأوا إستراتيجياً عندما قرروا ان تبقى لهم صفة المقاومة ضد الاحتلال. وفي نفس الوقت. حكومة تحت الاحتلال. هنالك تناقض بين هذا وذاك. وقعوا فيه. وجرّونا إليه للأسف. كان من المتوقّع من حماس ان تتعلم من هذا الوضع الاستراتيجي الذي وضعت فيه في مسارها. لكن للآسف مرّة ثانية. فقد وقعت حماس في خطأ أخر.

س: هنالك بعض الملاحظات تسجل على قصر عمر بعض الحكومات. وعدم إتاحة الفرصة أمامها لتنفيذ برامج وسياسات طويلة المدى ما رأيكم؟

ج : منذ زمن بعيد. وعمر الحكومات قصير . منذ الإستقلال. وهو يعكس ضعفاً بالبنية السياسية. وأنا لا أؤيد ذلك. لكن دون أن يكون هناك حياة سياسية حقيقية. وحياة حزبية حقيقية. ويكون هناك تمثيل حقيقي في مجلس النواب. سيستمر هذا الوضع. لأنّ إختيار الرئيس يتم لإعتبارات معيّنة. ليست مبنية على قواعد اللعبة السياسية. وأعضاء مجلس النواب لا يعكسون وجود تكتلات سياسية. سواء حزبية. أو غير حزبية. فالإعتبارات الشخصية. والموقف الشخصي. والخلفيات المناطقية. كلّها إعتبارات قائمة في الإختيار. وداخل هذه المؤسسات. ومن الممكن أن يترك ذلك هوامش للخطأ في الإختيار والسياسات. وبالتالي تستقيل الحكومة. أو يطرأ عليها تعديل .

فإذا عدنا للأساس. الذي تحدّثنا عنه. والمتمثّل بقانون الإنتخاب وقانون الأحزاب وقوة المؤسسات. فإن الوضع يصعب تغييره. وسيبقى على ما هو عليه.

س: قرأنا لك بعض التصريحات التي تقول إن الحكومة الحالية لم تأخذ فرصتها الحقيقة للعمل. بسبب إعاقة بعض القوى لها... من تقصد بذلك ؟

ج : البعد الدستوري للولاية العامة لمجلس الوزراء ليس متوفراً. ومهما إختلف معي الآخرون بهذا الشأن. تبقى الحقيقة بأننا نؤمن بحكومات قوية فيها. وجوه سياسية تستطيع الناس أن تتطلع لها وان تأمل منها . أما حكومات تكنوقراط لوحدها في هذا الظرف الصعب في المنطقة. أنا اعتقد أن هذا الكلام يجب أن يتغير . وهذا لا يعني أنني أدعو لتغيير الحكومة. بل أشدّد على ضرورة قيام الحكومة بدورها بما يتيح لها الدستور . ما قصدته ليس هجوماً على أحد. ولا طموحاً بأي شيء على الإطلاق. وأنا أؤكد أن حكومة قوية تدير شؤون البلد. ويوجد إتّصال وثقة بينها وبين الناس. هو الحل الأمثل. وبعكس ذلك نخشى أن تحدث إختلالات متعدّدة في هذه الفترة بالذات. داخل النسيج الاجتماعي .

س: بحكم خبرتك الطويلة في العمل السياسي. هل توقفت أمام أي من "الظواهر السياسية" التي تتحرّك في فضاء العمل العام ؟

ج :هنالك كفاءات أردنية. سياسية وغير سياسية. لا يمكن إنكارها. وتبوأت مراكز مهمّة سواء في السلطة التنفيذية أو التشريعية. ولكنها كانت كفاءات مبنيّة على نشاط غير جماعي. لذلك بقيت أسماء مطروحة في الساحة. قد تصعد. أو تختفي. لإعتبارات غير موضوعية .

مرة أخرى. نعود لأساس المشكلة. التي تحدّثنا عنها سابقاً. لان النشاط المؤسسي هو الأساس. ولو أن الظواهر التي تحدثت عنها. وأفهم أنك تتحدث عن أشخاص محددين. لو أنها إنضوت في مؤسسات سواء دستورية مثل مجلس النواب. أو خارج نطاق المؤسسي الدستوري مثل الأحزاب السياسية أو التجمعات لبرزت ظواهر سياسية أقوى. وبقيت مدة أطول .

الآن. نسمع بفلان أنّه اختفى. وأن الرضي عنه ليس حاصلاً. فأصبح في الظل. ولكنّ فلاناً مرضي عنه. أصبح تحت الأضواء. وبالتالي يتبوأ مسؤولية. كل ذلك يمكن أن يكون جزءاً من طبيعة العمل السياسي. لكنّ كل هذه الظواهر السياسية. خارج إطار المؤسسات. لذلك فأن أثرها محدود .

لا أريد أن أتحدث عن أفراد محددين. حتى لا يصير كلامي شخصياً بهذا الصدد. وقد أكون أنا أيضا ضمن هذه الفئة. التي تعمل على أساس فردي. وأتمنى أن يتغير هذا الكلام. وهذه قضية يجب أن يتصدى لها المجتمع نفسه. وليس الدولة. وعندما نتحدّث عن تنمية سياسية. يجب أن لا تقوم على هذا الأمر وزارة ضمن هيئة الحكومة. بل يجب أن تكون حركة المجتمع هي التي تحدد ذلك.

س: نعود للتحدث عن البعد الاجتماعي الإنساني. لنسأل: بما أنكم عائلة على إشتباك تاريخي مع السياسة. هل إمتدّ ذلك إلى أبنائكم ؟

ج :رزقني الله بولد وبنت ... نشأت يعمل في مجالات مالية إقتصادية مستقلة. وفهمه السياسي لا بأس به. لكن ليس لديه أي إهتمامات سياسية. ولا أظنّ أن هذا الوضع سيتغير .

وابنتي نادين. متزوجة. وتعمل أيضاً. لكنها بعيدة تماماً عن الموضوع السياسي. ولا أتوقّع لأيّ منهما أن يتغيّر مجرى حياته. مع انه حدث معي نفس الشيء. كنت اعمل في البنك المركزي. لكن تغيّر مجرى حياتي. أيضا لدي أربعة أحفاد ونصف. أي أن هنالك واحداً على الطريق أن شاء الله .نشأت أب لولد وبنت طاهر وماسا. وهو بانتظار ثالثهم. وإبنتي لديها بنتان .

س: هل تعتزم فعلاً إصدار صحيفة ؟

ج : هذا كلام غير صحيح. ولا يوجد لي أي علاقة مع أي صحيفة!

س : وهل صحيح. في نهاية الأسئلة. انكم أول من أدخلتم (الشامبو) الى فلسطين ؟

ج: هذه مبالغ كبيرة. وقصة(الشامبو) هذه من نسج خيال أحد الأصدقاء. وحقيقتها أننا أول مرة رأينا فيها (الشامبو) كانت في نابلس عام 1950 . عندما ذهب والدي لزيارة "فوزي الملقي". رجع. ومعه زجاجة. وبداخلها مادة سائلة. وعندما سألنا: هل هذا"كالونيا" قال: لا سأريكم عندما يحين وقت الحمام!

لماذا اللويبدة؟

لهذا اللويبدة

الألف العدد الثالث من مجلة "اللويبدة" الشهرية، معكم اليوم، لتثبت أنّها المجلة الأردنية الملوّنة الشهرية الشاملة، التي جاءت لتغطي مساحة مغيّبة في صحافتنا.

اللام ليس لـ"اللويبدة" ظهر تستند إليه إلاّ القرّاء، ولا همّ لها سوى السعي لرضى القارئ الذي نتمنّى أن لا يندم على ثمن شرائها، ولا شيئ يمكن أن يشعرنا بالراحة أكثر من الوصول إلى قناعة الناس بموضوعيتنا، ومصداقيتنا، وحرصنا على مخاطبة العقل، والقلب أيضاً.

اللام لن تدخل "اللويبدة" منافسة مع أحد،وسوف يكتشف القارئ، عدداً بعد آخر، أنّ كتّابها يتوزّعون على كلّ المؤسسات الصحافية، فنحن أبناء المهنة، ونعرف حجم الطاقات الكامنة فيها.

الواو ولا تأتي "اللويبدة" من فراغ فهي تستند إلى تراث مستمرّ منذ ستين عاماً، بدأ في يافا، بعميدنا وشيخنا أستاذ الأجيال المرحوم إبراهيم سكجها في فلسطين" الصحيفة، وتواصل معه في القدس وعمّان ودبي، مؤسساً وعاملاً في كثير من الصحف منها "آخر خبر" و "الدستور" و"الشعب" و"الرأي" و"البيان"،وتستمر مع جيل ثان في "صوت وصورة" و "أخر خبر" و"المسائية" وغيرها، وها هي تقدّم خلاصة تجربة مع جيل ثالث يحمل إسم المؤسس" وشكله ومضمونه.

الياء يواجهنا تحد كبير، فـ"اللويبدة" تحمل منذ اليوم الأوّل، طموح التحوّل إلى مجلة أسبوعية شاملة، الأمر الذي لم تجرّبه صحافتنا حتى الآن، وفي هذه الأثناء ستقوم المجلة الشهرية بتغطية النشاطات المختلفة بأسلوب جديد يعتمد على الشمولية، والاستقصائية، والبحث، والصورة الخاصّة المعبّرة.

الباء بيتنا هو اللويبدة، وهو إسم نبتة إنقرضت مع العمران، وهو الجبل الذي ما زال يعكس صورة عمّان الأولى، وهو المكان الذي شكّل خلطة الأردن الحلوة، حيث جمع أهلّ الأردن بالفلسطينيين والشركس والشيشان والشوام والأكراد والأرمن وغيرهم، فكتبوا معاً رواية يحسدها عليهم الكثيرون ممّن لم يعرفوا أنّ الحبّ ممكن، وأنّ العشق أصل كلّ الأشياء.

الدال درب الحليب، التبّانة، لا يُرى إلاّ في ليل صاف،وسمّي كذلك لأنه يبيّض الفضاء في ما نظنّه ظلاماً، ولكنّ الظلام الذي يغيّب الحقيقة هو الظلام الحقيقي، وهذا هو خصمنا الطبيعي،هو خصم "اللويبدة".

تاء التأنيث الديمقراطية أنثى، والحرية والعدالة والمساواة والشفافية والنزاهة والمحبّة كذلك،كما كلّ القيم النبيلة، لا بدّ وأن تنتهي بتاء التأنيث، وكذلك اللويبدة بالضرورة.

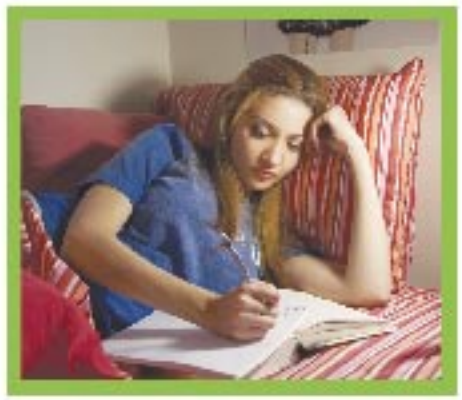

المحاوور

انتبه 2 فأنت متعثر

بقلم : حازم الكيلاني

تطرّقنا في العدد السابق إلى هذا الموضوع بشكل عام، وتحدّثنا عن الوضع العام للحسابات، وأسباب التعثّر بشكل بسيط. كما تطرّقنا إلى ما يجب فعله لحلّ هذه المشكلة، التي بدات تتفاقم يوماً بعد يوم، دون أن نجد لها حلاً.

على أنّنا سنناقش اليوم بشكل تفصيلي أكثر، ونقرأ ما قامت به مصر، على وجه الخصوص، لحلّ هذه المشكلة، لعلنا نستفيد، وبعدها ستقدّم بعض الإقتراحات، مستفيدين من التجربة المصرية.

مبادرة المتعثرين هل تتعثر؟

تحت هذا العنوان، إنطلقت إحدى الصحف المصرية، لتتحدّث عن المشكلة، وتفاقمها في العام 2003 حيث وصلت المشكلة لديهم إلى أرقام خيالية، شكّلت مليارات الجنيهات المصرية، (تقريباً 12 مليار جنيه بحسب إحصائيات حكومية) حوالي 1.5 مليار دينار أردني. وهناك إحصائيات من داخل البنوك تفيد بأنها وصلت إلى 50 مليار جنيه مصري (حوالي 6 مليار دينار أردني) وبالطبع هذه الارقام لبلد كمصر، لا تقارن بالأردن، ولكن أسباب ما حدث، ويحدث، في البلدين تقريباً واحدة، وبالتالي فإن الحل الناجح سيكون واحداً، أو متقارباً، على أبعد تقدير.

أطلق رئيس الوزراء المصري الأسبق ا لدكتور عاطف عبيد في العام 2003 مبادرة بشأن عملاء البنوك المتعثّرين. عقب إجتماعه برؤساء مجالس إدارات البنوك، ومحافظ البنك المركزي، حيث أعلن أنه تقرر قيام كل بنك بتوجيه دعوة إلى عملائه المتعثّرين للتقدّم خلال أسبوعين، بمقترحاتهم لتسوية مديونياتهم، وفقًا لرؤيتهم، على أن تكون التسوية مصحوبةً بجدول زمني مناسب للسداد، وعلى أن يتم الإلتزام بمبدأين أساسيين، هما: أنه لا إعفاء، ولا إسقاط لمسؤولية المدين عن سداد ديونه. ولكلّ بنك أن يحدد للعميل، الذي تقدم للتسوية مهلةً زمنيةً، قدرها أربعة أسابيع، يتمّ خلالها التفاوض حول عملية التسوية، وأوضح أنه بالنسبة للعميل غير الجاد، وهو الذي لن يتقدّم خلال أسبوعين إلى البنك لتحقيق تسوية لديونه، فقد تقرّر أن تُترك للبنك حرية إتّخاذ الإجراءات القانونية ضدّه، مؤكّدًا أن ذلك يمثل رسالةً واضحةً ونهائيةً لكل المتعثرين.

وقامت البنوك بتأجيل جزء كبير من الأقسام المستحقة، وخفضت كذلك الفوائد إلى أقل قدر ممكن، بل وفي بعض الأحيان إعفاء المتعثرين من الفوائد، كما أنها لم تمانع في ذلك الوقت من ضخ أموال جديدة إلى المتعثرين.

إذن، فما تتضمنه هذه الدعوة من تقديم الحكومة إستعدادها للتعاون مع المتعثرين لإخراجهم من أزمتهم ليس بالجديد، ولكن الجديد في هذه الدعوة أو المبادرة أنها جاءت علنية، كما أنها جاءت من رئيس الوزراء وبعد اجتماعه بقيادات القطاع المصرفي ومحافظ البنك المركزي، وهو ما يعني أن هذه المبادرة هي مبادرة جماعية من الحكومة والقطاع المصرفي، كما أنها تضمنت مهلةً محددةً، وليست مفتوحةً، من أجل تسوية هذه الديون. كما أنها جاءت تحمل معها تهديدًا إلى غير الجادين من المتعثرين بملاحقتهم قانونيًا، ويأخذ هذا التهديد جديته من كون أن تحريك الدعوة الجنائية ضد هؤلاء لا يستطيع البنك القيام بها إلا بعد موافقة كل من رئيس الوزراء ومحافظ البنك المركزي.

حجم المشكلة

بداية يجب وضع هذه المشكلة في سياقها الصحيح فهي انعكاس للخلل الموجود في البيئة الاقتصادية، والذي ينعكس بصورة كبيرة على القطاع المالي إجمالاً، والنظام المصرفي خصوصًا، فقد تفاقم الخلل والعجز في النظام المصرفي لدرجة جعلت البعض يقول بأن جوهر المشكلة الاقتصادية في الدولة هو الخلل في النظام المصرفي، وأن علاج هذا الخلل والسيطرة عليه هو أحد السبل للخروج من الأزمة الاقتصادية.

فالجهاز المصرفي له دور كبير في تعبئة موارد ومدخرات المجتمع، وتوجيهها إلى استثمارات حقيقية منتجة، تساهم في دفع عجلة التنمية، ولكن يلاحظ أن الجهاز المصرفي لم يكن يتمتع بالقدرة والكفاءة للقيام بهذا الدور حيث شاب عملية منح الائتمان، وهي جوهر العمل المصرفي، الاتجاه نحو مزيد من التركيز في القروض، فوفقًا لتصريحات

رئيس الحكومة فإن إجمالي عدد العملاء الحاصلين على قروض هو 200 ألف عميل.

كما أن الواقع العملي اليومي داخل البنوك يوضح أن عملية الحصول على قرض بمبلغ كبير تواجه بتسهيلات في الحصول عليه لا تتوافر للمستثمر الصغير الذي يريد الحصول على قرض صغير حيث توضع أمامه العديد من العراقيل والعقبات ويتم الحصول في بعض الأحيان على ضمانات مبالغ فيها.

وفي ضوء هذه الممارسات الخاطئة وعدم تطبيق البنوك للقواعد والأعراف المصرفية وجد الجهاز المصرفي نفسه في مواجهة مشكلة هي من صنعه في المقام الأول.

المعروف أن البنوك تتعامل مع الائتمان من خلال قواعد حاكمة فهي تتعامل مع الائتمان من خلال أولاً قاعدة اعرف عميلك، وذلك بمعرفة كل شئ عن العميل المرتقب، من تاريخه وسمعته التجارية والمالية وحجم وطبيعة أعماله في السوق ومدي جدارته الائتمانية السابقة، ثم بعد ذلك من خلال تحليلات ومؤشرات مالية معينة توضح عوامل نجاح النشاط وهل هي متوافرة أم لا، ومدي الموائمة بين عوامل النجاح والمخاطر المتوقعة.

ثم يتبع ذلك جمع المعلومات عن الميزانيات ونوع النشاط وطبيعة الإدارة والمنافسين ونوع الصناعة ونوع السوق وشكل الهيكل المالي ومساهمة الشركة في رأس المال ومدي قدرتها على السداد، وبعد ذلك يحدد البنك مواصفات التسهيل الائتماني التي تتناسب مع احتياجات العميل ولا ينتهي دور البنوك عند مرحلة ما قبل منح القرض بل إن البنك يقوم بمتابعة العمل في هذه المشروعات من خلال زيارات موظفيه الدورية الأسبوعية والشهرية أو حتى اليومية إذا اقتضت الحاجة، وذلك من أجل التأكد من أن الأموال توجه إلى ذات النشاط الذي تم الموافقة على منح القرض له وحسب دراسة الجدوى .

الحلول المطروحة في سياق المبادرة:

لقد ميزت المبادرة في التعامل بين صنفين من المتعثرين هما المتعثر الجاد والراغب في السداد، وفي هذه الحالة يقوم العميل بعرض مركزه المالي بمنتهى الوضوح والشفافية أمام البنك المقرض ولابد هنا أن تكون هناك أصول تم ضخ الأموال المقترضة فيها أو مخزون راكد بالمخازن أو عملاء للشركة، ففي هذه الحالة سوف يجد البنك الأموال المقترضة مستخدمةً في نشاط العميل، ولكنه واجه بعض المشاكل الاقتصادية المالية والتي سببت له التعثر في السداد والتي يمكن من خلال إعادة هيكلة الدين، ودراسة أسباب التعثر ووضع خطة لتعويمه قد تتضمن إمداده بقروض جديدة لشراء مستلزمات إنتاج وتغطية تكاليف التشغيل.

إلا أن المبادرة الحكومية واضحة في عدم التنازل عن أصل الدين وذلك لأنها حقوق المودعين، ونفس الأمر بالنسبة للفوائد على الدين، إلا أنه يمكن التصرف بالتنازل عن الفوائد المحسوبة على الفوائد على القرض، وإن كان يخشى من التجاء بعض البنوك إلى التنازل عن جزء من الفوائد مما سيكون له آثار محبطة بالنسبة لعملاء البنوك الجادين.

أما بالنسبة للعميل غير الجاد وسيئ النية وغير الراغب في السداد ، فعادةً ما تكون الأموال التي تم اقتراضها غير موجودة في نشاط العميل إلى جانب أن حجم أصوله في الغالب لا يفي بمديونياته أو أنه توجد صعوبة في بيع هذه الأصول وهو الأمر الذي يجب الالتفات إليه عند مناقشة إمكانية قيام البنوك بمبادلة ديونها بأصول فلو كانت هذه الأصول سهلة البيع فلماذا لم يقم العميل المتعثر ببيعها وسداد مديونياته كما أن القانون يحظر على البنوك الاحتفاظ بأصول ثابتة وإذا آلت إليها هذه الأصول عليها بيعها خلال مدة معينة والواقع العملي يشير إلى أن الكثير من الأصول التي آلت إلي البنوك لم تستطع التخلص منها في عشر سنوات أو حتى عشرين عاماً.

ولكن يمكن أخذ الأصول عند التفليسة وعدم وجود أي أمل في الحصول على أموال العميل، أما ما يراه البعض - ومنهم رجال أعمال - من قيام البنك الدائن بالحصول على حصة عينية من أصول المدين تتحول بعد ذلك إلى أسهم فيتحول البنك الدائن إلى مالك يشارك في إدارة الشركة ويشارك في الربح والخسارة،حيث يري أصحاب هذا الاقتراح أن مشاركه البنك في إدارة الشركات المتعثرة يمكن أن يؤدي إلى تحسن أوضاع الشركة وتحولها من الخسارة إلى الربح، ولكن النظرة المتأنية لهذا الاقتراح تشير إلى :

أولاً: البنوك التجارية لم توجد لتشارك بصورة مباشرة في رؤوس الأموال الشركات وفي إدراتها فهذه العملية تخرج عن نطاق خبرة البنوك.

ثانياً: إن العمل الرئيسي للبنوك التجارية هو جذب الودائع وتقديم القروض والاستثمار طويلة الأجل هو استثناء.

ثالثاً: إن البنوك التجارية لا تقوم باستثمارات ذات مخاطر عالية.

رابعاً: إن الغالبية العظمى من المدينين المتعثرين يديرون شركات خاسرةً قد يكون من الصعب إقالتها من عثرتها لأسباب قد تعود إلى الاختيار السيئ لطبيعة عمل المشروع أو عدم وجود أسواق أو انخفاض الجودة وغيرها من المشاكل التي يصعب مواجهتها في الأجل القصير وربما الطويل.

أما في حالة عدم التوصل إلى حل مع العميل المتعثر ففي هذه الحالة ليس أمام الحكومة والجهاز المصرفي سوى تحريك الدعوى الجنائية ضد هؤلاء مع ملاحقتهم أمنيًا داخليًا وخارجيًا من أجل استرداد أموال المودعين واسترداد ثقة المجتمع المصري في جهازه المصرفي مرة أخرى.

رأينا وحلول اخرى مقترحة :

اذن، هذا باختصار ما قامت به الحكومة المصرية قبل سنوات لمحاولة حل المشكلة، واعتقد ان هذا من ضمن الحلول المنطقية والجذرية للمشكلة لدينا حتى لا تتفاقم المشكلة اكثر فاكثر.

ومما تقدم نجد ان المسئولية في ايجاد حل لهذه الاشكالية تقع علي ثلاثة أطراف، علي الدولة ممثلة في الحكومة والبنك المركزي، وعلي البنوك، وبالطبع علي المقترض، وعلينا في البداية أن نقر رغم كل السلبيات فإن هذه التجربة ستكون مفيدة للجميع حيث ان على البنوك ان تعد خططا للتطوير والارتقاء بجودة الائتمان الممنوح، وبالتالي سيدرك قطاع الأعمال ان العمل الجاد وخفض التكلفة وتحسين الأداء وزيادة الانتاجية هم السبيل للاستمرار في السوق، وعليه فاننا نقترح ما يلي:

1- وقف أية اجراءات أمنية أو قضائية ضد المتعثرين لمدة زمنية محددة لحين مراجعة الحالات المختلفة، حيث إن جودة الائتمان تعتمد علي ضمانات المشروع نفسه، وليس ضمانات لا تتفق وأصول التعاملات المصرفية في العالم أجمعه

2- إنشاء ادارات متخصصة بالبنوك للتعامل مع المشروعات المتعثرة ودراسة وتصنيف واضح للقروض والمنشآت المقترضة من حيث نوع النشاط وحجم المديونية وتاريخ نشأة الدين واستخداماته، مع التفريق بين المنشآت المتعثرة في السداد منذ فترة طويلة أو تلك التي أساءت استخدام القروض وبين المنشآت الأخري التي تظهر حساباتها انتظاما في السداد حتي فترة قريبة، وتتطلب مصداقية الدراسة تحديد مجموعة من المعايير لعملية التسويات بالاتفاق مع البنك المركزي لتقييم قدرة هذه المنشآت في المستقبل وعدم الاعتماد علي المعايير التقليدية نظرا لعدم جدواها في مراحل التحولات الاقتصادية الحادة، علي أن تقوم دراسة التصنيف بكل بنك بتقسيم القروض إلي شرائح من حيث القيمة، بحيث يمكن معالجة كل شريحة بشكل منفصل دون أن تغطي الشرائح العالية علي الشرائح المتوسطة والصغيرة عند معالجة المشكلة، حيث يمكن أن تمتص الحلول لعدد محدود من العملاء الكبار القدرات المصرفية اللازمة لمعالجة تعثر مئات من أصحاب التسهيلات والقروض المتوسطة والصغيرة.

بناء علي دراسة وتصنيف القروض ، يتم اقتراح الحلول من خلال تغيير الهيكل التمويلي للاقراض وتخفيض أسعار الفائدة ونسب العمولات ووضع قواعد للسداد تتفق وقدرات المقترض مع التزامه بالعمل علي رفع كفاءة الأداء وخفض التكلفة وترشيد النفقات وتسييل بعض الأصول واجراء تغييرات في الادارة، وتقييم هذا الالتزام دوريا من قبل البنوك لامكان استمرارية البرنامج المتفق عليه بين الدائن والمدين.

دار يعيش

قصر الأحلام وليالي

بقلم: ناهض حتّر

أصابتني رجفة، حين أعلمتني السيدة رغدة يعيش بأن قصر الأحلام هو نسخة من ڤيلا أسمهان في جبل لبنان. أيكون هذا الذي يشدّ روحي إلى هذا الجسد الفخيم من الحجر الأحمر الوردي؟

لقد أحسستُ، دائماً، أن قوّةً غامضة تتملّكني، وتدفعني إلى تأملاتٍ غراميّة على سور القصر، أهي لمسة أسمهان التي طالما لوّنت عواطفي بأشجان فانتازيّة، لا بوصفها مطربة فقط، ولكن بوصفها امرأة بالأساس!؟

تقول السيدة رغدة يعيش، انها غادرت القصر، عام ١٩٦٣، حين تزوجت السيد ابراهيم ناجي الشامي؛ ولكنها ماتزال تحتفظ، حتى الآن، بأحاسيس قويّة من السعادة الصافية التي ظلّلت شبابها الأول في قصر الأحلام بجبل اللويبدة، بين يديّ والدٍ حنون، محبّ للحياة وللجمال.. وعاشق لأسمهان بالتأكيد.

في أمسيات الصيف، وفي نشوة نسائم اللويبدة الرقيقة المُشْبَعَة بروائح الفُلّ والياسمين، كان السيد بديع يعيش، يساهر أصدقاءه في مشربيّةٍ خشبيّةٍ تعلو كاراج القصر، وتطل على الشارع!

أين المشربيّة؟

طواها الزمن، مثلما طوى صاحبها؛ وظلّ الحجر الأحمر الوردي -كما يحدث دائماً- عنيداً! ومُوْحِشَاً!

السيد بديع يعيش، تاجر حبوب من نابلس، أحبّ جبل اللويبدة -وأنتَ، عندما تكون أسمهانيَّ الهوى، فستحبُّ، حتماً، جبل اللويبدة- واشترى على شارعه الرئيسيّ -شارع الشريعة الآن- دونماً واحداً؛ وبدأ يبني حلمه.. في الروح أولاً.

كلّف المهندس رفيق طوقان، إعدادَ التصاميم والمخططات، بناءً على إنموذج استقرّ في خياله: ڤيلا الفنانة الراحلة اسمهان في جبل لبنان! أكان يريد أن يعيش في ظلال «ليالي الأنس»؟ أو ربما سأل -بصورة عملية- مَنْ تُرى أكثر ذوقاً واحساساً بالجمال من أسمهان؟ مهما يكن.. فقد إصطحب المهندس طوقان إلى عاليه - بحمدون، لإستنساخ ڤيلاّ المرأة الساحرة. ولكني مطمئنّ إلى أن طوقان لم يستنسخ الڤيلا، بل أحبَّها، أحسّ بروحها، وبلمسة أسمهان فيها.. مثلما أحبّ جبل اللويبدة، وأحسّ بروحه، وبلمسة الياسمين التي يتفتح لها القلب في عمان القديمة! فقصر الأحلام.. ليس نسخة! انه أصلٌ.. تواصُلٌ.. انسجامٌ.. أغنيةٌ.. رغبةٌ.. طائرٌ يترنَّم في عشّه الشخصيّ!

عام 1952

والأردنّ الجديد، يولد من وحدة نضال شعبين؛ والمستقبل واعداً، ومفتوحاً على إحتمالات التحرير والوحدة والتقدم، وضع المهندس طوقان، اللمسات الأخيرة على بناء قصر الأحلام، وبدأت تحلو، في جنبات القصر، حياة رائعة، متحضّرة، رفيعة الذوق... عرفتها البورجوازية الأردنية - الفلسطينية الصاعدة في الخمسينات والستينات، قبل أن يُهيمن الإنموذج البائس السوقي لبورجوازية النفط وتجّارة الأراضي والبزنس.. تلك البورجوازيّة الفقيرة روحياً.. المنحطّة الذوق والرؤية.. البورجوازية التي لا تعرف الحبّ، ولا أسمهان.. ولا رعشةَ الروح في قصائد سعيد عقل.. البورجوازية التي شوّهت عمان

الأنس في "اللويبدة"

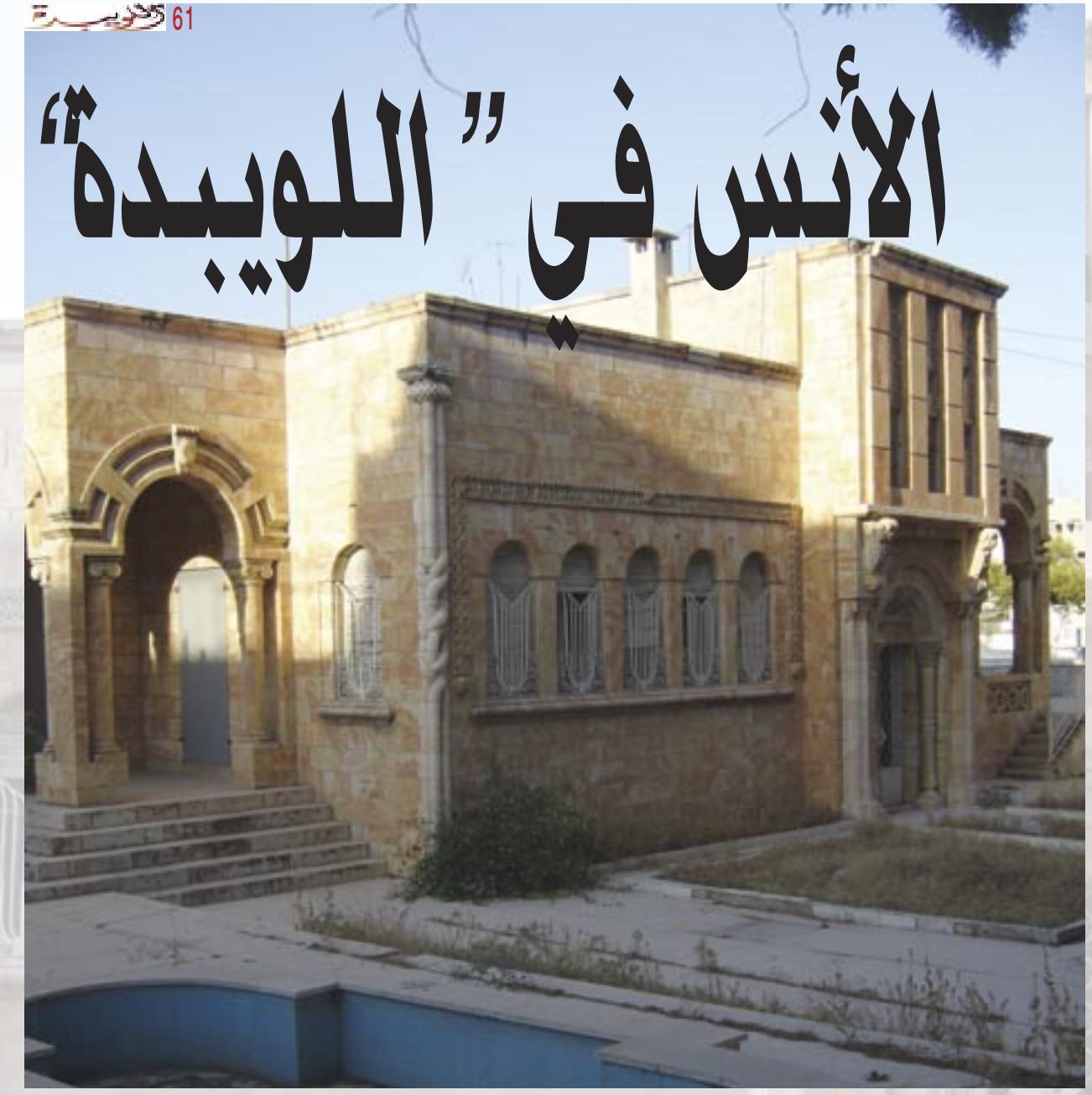

الحلوة الرقيقة عذبة الشذى، بالكتل الاسمنتية - الحجرية الصمّاء من الڤلل البشعة التي لا تعبّر إلا عن عُقَدٍ نفسيةٍ، ومن البنايات الشوهاء للبزنس الشره.

الحجر الوردي من بيت حنينا

تقول السيدة رغدة يعيش إن والدها، أحضر حجارة البناء من «بيت حنينا» بالضفة الغربية، ولا تعرف من أين أحضر الرخام الملائم، ولكنه، بالتأكيد، رخام أردني.

قصر الأحلام من الداخل، مجرد بيت عائلة: ثلاث غرف نوم ومرافق وصالونات، جَمَع لها صاحب القصر، «السجاد الحَلَو» وزهريّات الصيني والخزفيات.

العلاقة بين كتلة البناء والفضاء في قصر الأحلام، مثالية... فبين السور على الشارع والمبنى، تمتد ساحة/ حديقة تتوسَّطها بركة شاميّة. القصر يتنفّس، ويشغَلُ مكانَه المتناغم مع العناصر البنائية الأخرى، ومع الفراغ.. فيعطي للمشاهد إحساساً بالإتساع والفخامة والاطمئنان.. ومع الماء في البركة، وشذى الياسمين، تسترخي الجملة العصبيّة، وينتشي الناظر.

شارع أحمد بن حنبل

حين يقول الأردنيون: لا

متى يقول الأردنيون لا، وكيف يقولونها؟ سؤال قد يبدو مفروغاً منه، فحين يفيض الكيل بمجموعة ما يصرخون بهذة الكلمة، التي تمثّل خلاصة التعبير عن الغضب، ورفض الظلم...

على أنّ الأمر يختلف في الأردن، عن غيره من البلدان، ولو قليلاً، فالتعددية التي قام عليها مجتمعه حملت معها تنوّعاً فريداً في قولة لا، فهناك ما يوحّد "اللا" بينهم، وهي تحمل في ثناياها معنى "النعم" للحقّ، والعدل...

بقلم: مالك العثامنة، بكاميرا: خليل المزرعاوي

"لا"..حرف نفي، ونهي..حسب قواعد اللغة العربية.

لكن اللا تغدو صرخة إعتراض جازمة وحازمة، حسب قواعد المجتمعات، وحراكها.

وعمان، المدينة الوادعة، بتلالها السبعة التي يحلو للعمونيين أن يسموها جبالاً، كأوّل "لا" يعترضون بها على الجغرافيا، لها "لاءاتها" المتواترة عبر تاريخها وأناسها، وربما لا نغالي إذا قلنا أن لاءات عمان، بتراكميتها غير المترابطة، شكّلت نبضها العبثي.

وحين نقول إن لاءات عمان غير مترابطة، فهذا يتّسق مع تفاصيل الجسد في المدينة نفسها، فأي ترابط هذا الذي يمكن ادعاؤه بين "طلوع المصدار" بكل حدّيته القاسية على وجه الأزقة المترامية على الأطراف، وطلوع "عبدون" المعلق بجسر فخم، يفصل، بترفه المعماري، مشاهد الوادي عن عيون أهل دير غبار؟ الرابط الوحيد ربما هو عمدة عمان، وأمينها، وهو المتلقي لآخر لاءات عمان، ولا يزال، بدءا من "لا" أبو غزالة- العماني القديم والمعتّق- في منطقة العبدلي.

وليس نهاية بـ"لا" أميرية هاشمية مهذبة ومؤدبة، تعترض على ما يقترفه البعض بأفحوانة المدن.

لا غير مدمّرة

الـ"لا" العمانية، زلزالية متوسطة، قوّتها لا تتجاوز الحدّ المدمّر، لكنها لا تنزل عن مستوى التحذير شديد اللهجة، لذا، فهي لا حذرة ومحذّرة، سلمية بالتأكيد، لكنها قاسية قسوة العاشق إذا احترق بغيرة الشك، ولأن عمّان معشوقة ترخي جدائلها من شباك طائش في اللويبدة، فعشّاقها، قاطنوها، وساكنوها، والمسكونون بها، بفطرتهم شكاكون.

"ثورة الشك"، التي أورثتها "عمون" وربتها لكل من اختار الإنحياز للسكنى على ضفاف تلالها الممتدة، كانت تحصيل حاصل تاريخي لإرث عموني قديم، منذ أول "لا" عقر بها العمونيون أمن مملكة إسرائيل القديمة، والطامعة بالتوسّع، فتحالفوا مع المؤابيين جنوباً، واستحالت لأؤهم

حرباً، وخصومة.

لا للتطبيع

وبعد آلاف السنين، كانت عمّان تلهج بلاءاتها في الشوارع ضد التطبيع مع خصومها التاريخيين، فالسلام حالة ضرورة يُدركها أهل عمان الآمنة الوادعة، أما التطبيع فقصة أخرى، لها "لا" ذات خصوصية مهذبة، وتحافظ على خط الدفاع الأخير لعروبة تتكحل بها عيون المدينة.

ولأن الـ"لا" في عمان، حالة امتياز وطنية، تغدو فلسطين "لا" كبيرة يجهر بها العمانيون، عبر نقاباتهم، مرة، وعبر إسلاميهم مرة، وحتى "يسار" المدينة، باعتصام او بمظاهرة، وحين تخرج الـ"لا" عن سياق المعقول، ويضغط البعض على خاصرة المدينة الوادعة، يتوجع العمانيون بـ"لا" أكبر، تقف في وجه من يمسها.

لا في مقهى حمدان

عام 1928، وحين تسرّبت روائح المؤامرات الاستعمارية، وشاطت "الطبخة" الانجليزية - الفرنسية، إجتمعت عمان كلها في مقهى حمدان، لتقول أول "لا" عربية واعية عبر الميثاق الوطني الأول، كانت عمان كلها بكركيبها وسلطيتها وفلسطينييها وشركسها وإربدها وشوامها وأرمنها ومسلميها ومسيحييها في مقهى حمدان، يصرخون "لا" واحدة من أجل فلسطين، يردفون بها "وبوعي مبكر ونضج سياسي " المقر السامي لعبدالله الأول، فتقر عينه ويكون أول مشوار الدولة، (مقهى حمدان، وبضعة مقاه متناثرة حملت وعي الأمة آنذاك، وكان عمدة عمان آنذاك جزءا من الوعي والمقهى، والمدينة أيضاً).

لا لأبي حنيك

وهي عمان كذلك، بذات النكهة الأكثر نضوجا عام 1956، تخرج كلها في زفة عرس قومية، بمظاهرات تؤيد أحد أكبر اللاءات في وجه الإنجليز، يوم تعريب الجيش، ملك شجاع وقد اصطفى من حوله ضباطا أحرارا، يقذفون الـ"لا" بأقصاها في وجه "أبي حنيك" كلوب برقية طرد وتسفير، وعمان بأهلها الطيبين لا تنتظر إلا تلقف تداعيات "لا" لتحمل الرفض فرحا ولا أحلى...

...وفي 1990، حين تكالبت الدنيا على قصعة بغداد، "دقت" عمان وشمها الذي سامها بالشرف، بـ"لا" كبيرة، وكان رغدان " المجمع" يغني بأشرطة الكاسيت أن عمان وبغداد "بخندق واحد" ، فاطمأن الساكن الراحل في رغدان "القصر" أن المدينة بأهلها وناسها قلب واحد، وكان ما كان..!!

لا ل

عمان، تلك التي لم تقطع حبلها السري بالقدس، خرج أهلها بمسيرة العودة عام 2000، كرمز للعودة بعيدا عن كل تفاصيل الحل النهائي وزواريب المفاوضات، فزواريب عمان فيها آهلون لا زالوا يعلقون مفاتيح البيوت هناك، غرب النهر، من أتو شرق النهر، قاطعين جسرا هو سر الخيبة، وعمان حين

يجد الجد. فوق كل الخيبات.

لا لقوانين إضطهاد المرأة

وهي عمان، أقحوانة المدن، الربة التي منحت أنوثتها قسوة الجغرافيا بعضا من الحنان، لم تنس أنوثتها، فكانت الأبهى بمسيرة من طراز "لا" أمام البرلمان، ضد قوانين القتل باسم الشرف، فأعطت للشرف معناه، حين كان الشرفاء من سادة العرب بنو هاشم واسط العقد، على رأس المحتجين يصرخون باسم كل الضحايا أن" لا"!

لا لإبادة الشيشان

عمان، تلك القبلة الناعمة من التاريخ على جبهة جغرافيا قاسية، المدينة التي لم تكتف بإيواء من لجأ إليها، بل وضمته حتى شكلها كما شكلته، هي التي قالت "لا" حين تظاهر الأردنيون ضد حرب الإبادة في الشيشان، وفي حواري عمان، وأحيائها شوارع وأحياء نقلها الحب من غروزني ونالتشك، وبيادر عمان حرثها القوقازيون، فجبلوا عرقهم بقمحها، وطينها، وحين صرخت عمان أن"لا" لحرب الإبادة،لم تكن صرختها رفع عتب، بل كانت فرض عين، باسم كل ما هو مقدس.

ونعم للأفضل والأحسن

عمان، لا تنفك عن قول "لا"، وهي في لاءاتها تحمل بذور كل "نعم" للأفضل والأحسن، فالـ"لا" العمانية ليست عبثا ولا أيدولوجيا مبرمجة، بل هي أول الخطوات وأقصرها لـ"نعم" نحو كل جميل، وليس سوى عمان التي تعرف دقة التوقيت حين تقول "لا" ليتطابق التوقيت مع نبض القلب.

كل من يسكن عمان، وتسكنه، هو منها، وكل من يسكن عمان ولا تسكنه، فله من عمان وأهلها "لا" وألف "لا"..

عمان، خضراء بأهلها وأصص الزرع المتعربش على شبابيكها، أما "الأخضر" الدولاري القادم على شكل مشاريع تحمل بصمات مشوهة لمدن أخرى، تستحق من أهل عمان أكثر من "لا".

جاهة أردنية

بقلم: ريما أبو الهدى

قبضت سهام محمود انفاسها، وسط دقات قلب متسارعة، عندما صاح مناد، يطلب القهوة السادة في لحظة هدوء، عقب وصول جاهة طلب يدها.

وتعرف معظم المتزوجات تلك الحالة التي تمر بها العروس خلف الكواليس، لكن سهام تقول: حين دخل الرجال منزلها يتقدمهم كبير عائلتها، وهو شيخ مشايخ، شعرت برهبة كبيرة مع احساس بقيمتها لدى خطيبها، واهله مثلما الفخر في عيني اهلها واسرتها.

وتحظى الجاهة على الدوام في الاردن بدور مهم لما تمنحه من تقدير واحترام لاسرة المخطوبة، لكن تساءل مفترض وعما اذا كان دور الجاهة لا زال محورياً وحاسماً في تحديد قيمة المهر والامور المتعلقة باتمام الزواج.

جاهات الأتراح

وكما جاهة الافراح ثمة اخرى للاتراح واذا كانت القوانين السارية تلزم اللجوء الى المحاكم في حال وقوع جرائم على الاشخاص، فان المحاكم تأخذ بصكوك الصلح المبرمة شعبياً عند النظر في العقوبات.

ويرى عضو البرلمان عبدالجليل المعايطة ان الجاهة لم تعد تحمل المعنى القديم نفسه "قديماً كان الاتفاق الذي يتم بين العائلتين على الزواج يحمل طابعاً مبدئياً، ويأتي دور رئيس الجاهة في تحديد حيثيات ومتطلبات اهل العروس، واذا ما ظهرت اية مبالغة فان الاعتراض والنقاش يتم في المجلس نفسه".

ويؤكد المعايطة ان الجاهة فقدت بعضاً من دورها، لكن المحافظة عليها امر في غاية الاهمية، على الاقل بهدف اشهار الزواج والاعلان عنه في دائرة ابعد من محيط القريب.

وفي محاولة لافتة وتأكيداً للحمة الوطنية بين الاردنيين والفلسطينيين في البلاد يتم تبادل الادوار حيث يتولى شيخ فلسطيني طقوس اهل العروس الاردنية ومثله يفعل الشيخ الاردني حيث يبدأ بتلاوة بعض آيات القرآن الكريم ويتبعها بحديث نبوي، ويطلب علناً يد البنت، وفي حال الموافقة يشرب القهوة السادة لتنطلق زغاريد النسوة.

والجاهة كما تصفها سهام تمثل أهميّة إحساس الفتاة بقيمتها، وسط كل الاحداث المصاحبة للعرس، حيث الخجل والرهبة والخوف والحزن والفرح يجتمعوا في آن واحد.

عادة الجاهة ليست اردنية خالصة بقدر ما هي عربية فهي متوفرة في السعودية وبلاد الشام، إلا أن إحتفاظها بدورها، وأهمّيتها تفاوت مع مرور الوقت من بلد لآخر.

التباهي

ويرى أستاذ علم الاجتماع عيسى مصاروة أن أشهار الزواج لا يعتمد على حجم الجاهة ليصبح مظهراً اجتماعياً متعلقاً بالتباهي اكثر من شيء اخر حتى باتت عبئاً اجتماعياً مع كل المبالغة التي ترتبط بها لجهة تحديد المراتب والطبقات الاجتماعية.

وبسبب كثرة التعديلات الحكومية فان العديد من رؤساء الوزراء في الاردن يمضون وقتاً اضافياً يتنقلون بين المدن كوجهاء لجاهات افراح او اتراح. واذا كانت الجاهات صفة غالبة بين الاردنيين، الا ان هناك حالات قليلة يتم فيها الزواج دون جاهة او بوجود الاقرباء من الدرجة الاولى فقط. هذه كانت جاهة ياسمين عبدالخالق التي ارتبطت باحد اقارب جيرانها المغترب، وكان من الصعوبة ان تشترط عليه الجاهة لاتمام الزواج كون عائلة الشاب متواجدة في الخارج، لكن والدها عبدالخالق يقول من المفرح ان تدخل الجاهة المنزل وهو ما جربته حين زوجت اختيها، لكنه يقر بان لكل زيجة ظروفها ولا يمكن وقف نصيب الفتاة بانتظار جاهة كبيرة.

ووجهة نظر عبدالخالق تأتي كمثال على ما يدعو له النائب في البرلمان هاشم القيسي: "الجاهة مهمة في جزئية الاشهار واعلان الارتباط الرسمي، لكن المغالاة غير المبررة والمنافية للمنطق غير مبررة بأي شكل من الاشكال".

ويدعو القيسي العائلات الكبيرة والصغيرة على حد سواء الى الاقناع بفكرة الجاهة دون استغلال باشكال من المباهاة الاجتماعية التي تشكل ارهاقاً مادياً للشاب والذي يكون محتاجاً لكل ما يملك وهو في بداية حياته الاسرية.

ومن خلال مشاهداته كثيراً من الجاهات التي حضرها المئات من وجوه العشائر، يبين القيسي ان بعضها لم تدم الخطبة فيها عقب الجاهة اكثر من ايام، وفي سياق حديثه عنالمبالغة يذكر ايضاً انه حضر جاهة ضمت اكثر من الف شخص.

زفاف أردني

بقلم: ريما أبو الهدى

تشهد صالات الأفراح والفنادق في عمان، والمدن الأردنية الأخرى، ازدحاماً شديداً في حفلات الزواج والخطوبة، مع حلول إجازة فصل الصيف، الأمر الذي يجبر الكثيرين إلى ضرورة حجز الصالة قبل موعد العرس بأشهر أحيانا، خصوصا وأن العديد من المقبلين على الزواج يفضلون الصيف دون غيره موعدا لإتمام الزفاف، مثلما هو الأمر بالنسبة لـ "مي"، فإقامة حفل زفافها في الصيف ضروري جدا، لأنه الوقت الوحيد في السنة الذي تتمكن فيه من دعوة جميع من ترغب بأن يشاركوها فرحتها بالحضور: "قررت أن أقيم حفل زفافي في الصيف مع انتهاء الامتحانات المدرسية والجامعية وعودة أقربائي المغتربين من الخارج".

وتضيف: "أعلم ان إقامة الحفل في الشتاء أقل تكلفة، ولكن أنا وخطيبي نفضل الصيف، فهذه ليلة العمر ويجب حضور الجميع للحفل سواء أقربائي أو أقرباء خطيبي".

الظرف المادي

ومع ذلك فهي تؤكد بأنها لا تنوي إقامة حفلة كبيرة، بسبب الظرف المادي الذي تمر به مع خطيبها، والذي استدعى منهما الصرف على العديد من التفاصيل لعش الزوجية: "سنكتفي بإقامة حفلة صغيرة، بأقل التكاليف الممكنة، رغم أن أقل التكاليف بالنسبة للغالبية هي تكاليف باهضة الثمن".

وتوافق دينا أحمد على نكهة فصل الصيف الخاصة لإقامة الأفراح: "العرس في الشتاء ليس جميلا، أقمت عرسي العام الماضي في الصيف، ولم نهتم أنا وزوجي بالتكاليف، بالنسبة لنا كانت ليلة العمر".

وتبين دينا بأنها وزوجها جمعا المال على مدار خمسة أعوام ليقيما "حفلة راقية في أفخم فنادق عمان"، حسب تعبيرها، وتؤكد: "لست نادمة على المبلغ الكبير الذي أنفقناه أنا وزوجي على الزفاف، فالمال يأتي ويذهب، ولكن الذكرى تبقى"، وتبرق عيناها بالسعادة وهي تقول: "ما أزال حتى اليوم أشاهد شريط فيديو العرس، لقد كان كاملا بنظري وانا سعيدة جدا".

ولكن رانيا تخالف دينا في الرأي، إذ تؤكد: "لن أكلف زوجي مبالغ طائلة من أجل ليلة واحدة، سأكتفي بإقامة حفلة بسيطة في صالة في أي وقت من السنة"، وتزيد: "الحياة الزوجية تتطلب مصاريف كثيرة، سواء من ناحية شراء المنزل وتأثيثه، أو قضاء شهر العسل الذي يعتبره زوجي أهم من حفل الزفاف، وأنا أشاركه الرأي".

ولرامي رأي مغاير فهو مضطر إلى أن يقيم حفل زفافه في أفخم فنادق عمان، خوفا من اتهامه بالبخل، ويشير الى أن والده سيساعده في تكاليف العرس: "لو كان الأمر بيدي أنا وزوجتي المستقبلية، فإننا لن نقيم أكثر من حفلة بسيطة، يحضرها بعض الأصدقاء المقربين، ولكن الأمر ليس بأيدينا"، مؤكدا في الوقت نفسه بأن الزواج مكلف من جميع النواحي: "لولا المساعدة التي أتلقاها من عائلتي، ما كنت قد قررت الزواج في الأصل، بل كنت سأعزف عن الفكرة كليا".

بانتظار اليانصيب!

وتزداد مشكلة الزواج تعقيدا بازدياد التكاليف التي أصبحت خارج إمكانات العديد من الشباب، خصوصا حديثي التوظيف منهم، فمتطلبات الزواج تستوجب ان يمتلك الشاب إمكانات مادية جيدة ليحقق أمنيته بالزواج وباستقرار عائلي، ورامي الذي

تخرج قبل زهاء ثلاث سنوات من الجامعة، ويعمل محاسبا في شركة خاصة براتب شهري مقداره 250 دينارا، يعتبر محظوظا في نظر العديد من الشبان: "صحيح أن هناك من يعتبرني محظوظا كوني وجدت وظيفة، ولكن ما الذي يمكنني عمله بهذا الراتب!!"، يبتسم ابتسامة باهتة، وهو يقول بسخرية: "أكيد لن أستطيع تكوين نفسي بهذا الراتب، لا بأس إذا من انتظار اليانصيب، لعلي أفوز معه بشيء".

ويتطلب حجز صالة أفراح مبلغا كبيرا لا يتوفر لدى العديد من الشباب، إذ يؤكد بهاء أبو خلف الذي يعمل في إحدى صالات الأفراح في عمان بأن تكاليف حفل الزفاف في الصالات تتراوح ما بين (300 - 3000) آلاف دينار، حسب ما يختاره العروسان من برامج أثناء الحفل، سواء كان ذلك في الزفة، او عدد المدعوين، أو نوعية الكيك والطعام، أو وقت إحياء الحفل، "فالحفل قبل مغيب الشمس أقل تكلفة من الحفل الذي يقام في الليل.

والسعر الخاص بالصالات يتضاعف كثيرا بالنسبة إلى الفنادق، إذ يبين منظم الحفلات سمير أبوطه ان أسعار حفلات الزفاف في الفنادق في الغالب تبدأ من 1500 دينار، ويمكن لهذا السعر أن يتضاعف مرات عديدة، بالنظر إلى نوعية برنامج الحفل، فمثلا سعر الحفل الذي يضم في برنامجه عشاء بوفيه يختلف كثيرا عن الحفل الذي يقتصر على الكيك، ويشير أبوطه إلى أن السعر يتغير بتغير أي أمر في قائمة العروسين، مثل نوعية الطعام التي يختارها العروسان، ونوعية الورود وعدد المدعوين، إضافة الى تصوير الفيديو والـ(دي جي) او الفرقة، والأهم من ذلك كله هو تصنيف الفندق، فكلما زاد نجمة تضاعف السعر، فضلا عن أن تكلفة حفل الزفاف صيفا يزيد أضعاف إقامته في الشتاء.

وبالنظر إلى أسعار كهذه، يمكن التخمين بأنها لا تناسب شريحة كبيرة في المجتمع الأردني، وخصوصا وأن العرس لا يقتصر فقط على الحفل، بل هناك البيت وأثاثه وشهر العسل وغيره من المصاريف التي تهلك كاهل العروسين.

جمعية العفاف

وفي هذا السياق فقد أوجدت جمعية العفاف الخيرية التي تأسست في العام 1993 ، ومنذ سنوات قليلة، أسلوبا جديدا لحفلات الزفاف، إذ كرست مفهوم (العرس الجماعي)، والذي تستضيف فيه الجمعية عشرات العرسان، وتقوم بتغطية كامل نفقات الحفل، إضافة إلى العديد من الهدايا التي يحصل عليها المتزوجون بهذه الطريقة، وقد أقامت الجمعية حتى الآن 11 عرسا جماعيا، بدأتها في العام 1995، ساهمت من خلالها في رفع جزء كبير من العبء المالي عن كاهل المتزوجين.

زواج أول
ثمّ تكرّر المسبحة

الحاج متولي، نموذج يُقتدى!

صبي، هو "نور الشريف" يعمل شبه خادم لدى تاجر كبير، يحمل في داخله انتهازية كبيرة، يتزوّج من أرملة التاجر، فيتولى إدارة اموالها ليصل إلى حالة نسبية من الثراء، ويرثها بعد وفاتها، ثم يبدأ رحلة لا تكلّ ولا تملّ من الزيجات المتكررة، لأسباب انتهازية لا تخلو منها رغبات وشهوات محدث النعمة..

وقد تزوّج الحاج متولي أربع مرات، ولكنّ المسلسل عُرض عشرات المرات على المشاهدين العرب، الأمر الذي يؤشّر على حجم المشاهدة، وكتبت عنه آلاف المقالات، ورسمت حوله مئات الكاريكاتورات، وحاولت مسلسلات أخرى تقليده، ومنها ما كان للممثل نفسه.

وقليلة، في الواقع، هي الزيجات المتكرّرة لأكثر من مرّتين، ولكنّها موجودة، وقال الزميلة كوكب حناحنة في متابعة صحافية مميّزة لها في "الغد" إنّ الاحصائيات الصادرة عن دائرة قاضي القضاه للعام 2006 أشارت إلى أن نسبة الزواج المكرر بلغت 6,9% من مجموع العقود المسجلة، أي بواقع 4374 حالة.

وبحسب الاحصائيات فإن عدد حالات الزواج المكرر للعام 2005 كانت 4023 أي أن هناك زيادة قدرها 8 بالمئة في عدد حالات الزواج الثاني في العام الماضي، النسبة الأعظم منها تتبع الطلاق، أو تقع في فئة تعدد الزوجات.

وأضافت أنّ الاحصائيات المبدئية، والتي ستصدر في تقرير رسمي قريباً، إلى أن إجمالي أنواع الزواج التي سجلت لدى المحاكم الشرعية بلغت 63379 عام 2006، حيث بلغت عدد حالات الزواج العادي منها 58238 في حين وصل عدد حالات زواج التصادق وهو العقد الشرعي الذي يتم خارج الأردن ويتم توثيقه بالمحاكم الشرعية الأردنية 404 عقود، أما عدد حالات زواج الرجعة فبلغت 363 حالة.

وضمن متابعتها جاء رأي أستاذ علم الاجتماع في جامعة البلقاء التطبيقية د. حسين الخزاعي ومفاده أنّ شيوع ظاهرة الزواج الثاني في المجتمع الأردني بخاصة في السنوات الأخيرة.

نسبة الطلاق: عشرون بالمائة

وأشار د. الخزاعي إلى أن ما يعزز هذه الظاهرة هو ارتفاع نسبة العنوسة في المجتمع الأردني لدى الإناث والذكور.

وقال: "ارتفاع نسبة الطلاق من الأسباب التي تقود إلى الزواج الثاني، وبحسب الدراسات فإن نسبة الطلاق في المجتمع الأردني بلغت 20%، وتؤكد الدراسات أيضا أن كل خمس حالات زواج تفشل منها حالة، إلى جانب الظروف الاقتصادية التي تدفع الرجل للزواج الثاني في حال وفرت له الزوجة الثانية كل الإحتياجات والمتطلبات المادية".

واعتبر أنّ الزواج الثاني إذا لم يرافقه سبب قاهر، مسيئاً للقيم والأخلاق والمعايير الاجتماعية للأسر والأبناء والأهل، كونه يؤدي إلى تفسخ المجتمع وإلى المشاجرات والتفكك الأسري في الوقت الذي نطالب

فيه بالاستقرار الأسري.

ويشير إلى أن خطورة الزواج الثاني تكمن إذا ما تم بعد سن الخمسين، ففي هذه الفترة يكون الأبناء بأشد الحاجة إلى الرعاية من قبل والدهم وإلى الاستقرار الأسري.

لا شروط تمنع التعدد

من جانبه يشير المحامي الشرعي عبدالرحيم الغباري إلى أن الحكم الشرعي ينص على تعدد الزوجات ولا يوجد شروط تحكم هذا التعدد أو تمنع الزواج الثاني.

ويقول" وينص القانون على أنه وفي حال رغب الزوج بالزواج الثاني يستوجب عليه تبليغ الزوجة الأولى عن طريق المحكمة حتى تكون على علم".

ويشير الغباري إلى أنه في السابق كان الزوج يرتبط بأخرى دون تبليغ زوجته الأولى ويستمر الزواج عشرات الأعوام إلى أن تعلم وهذا يؤثر بشكل مباشر على الأولاد وتنشأ عنه مشاكل اجتماعية هم في غنى عنها.

المكالمة

بقلم: أحمد النعيمي

رن الهاتف.رنيناً طويلاً. الرنين يشي بالبعد. بالمسافة الطويلة التي قطعها. رنين مشبع برطوبة البحار والمحيطات التي عبرها.رنين يلهث كي يوصل تلك الرسالة. وهو. على الضفة الأخرى من الأرض. تردد في التقاط سماعة الهاتف. توجس من ذاك الرنين. فالوقت غير مناسب لاستقبال أي مكالمة. ومن أي شخص... حتى من الحبيبة. والحبيبة التي تقطن على بعد شهقتين وتقاطعين وإشارة ضوئية. قدَّر أنها تشتبك مع الملائكة بأحلامها الوردية التي طالما حدثته عنها. تراه دائما بنفس الصورة والهيئة. يأتيها وبيديه جرة من النبيذ كما صوره الخيام.

لكن الرنين الملحاح لم يتوقف. إقترب من الهاتف بيد ترجّف... فانقطع الرنين.. تنفس الصعداء .عاد الى سريره. يضرب أخماسا بأسداس..

من يكون المتصل؟ هل حدث مكروه لعزيز خلف بحر الظلمات؟ تُرى من هو ذلك الذي اصطفاه ملك الموت ؟

وقبل أن يستسلم لتلك التوجسات والافكار المؤرقة. عاد الرنين من جديد. هذه المرة أشد بأساً وإصراراً.. رنين عنيد...

وبيد ترجّف أكثر من ذي قبل التقط سماعة الهاتف... سمع صوتاً. كاد يسقط على وجهه. أي خبر يحمل؟ أي موت يعلن؟ انه يعرف صاحب الصوت. من كلمة واحدة يعرفه. صوت كانت ترتعد له فرائصه. إنه الصوت الذي يأمر فيطاع. وينهي فينصاع له الجميع. صوت له وقع السياط..صوت لا تخطئه الأذن... إنه أبوه. وليس من عادة أبيه أن يتصل هو الذي. غالبا. يفعل ذلك.

بعد السلام والمقدمة الطللية المعهودة في السؤال عن الصحة (رأس المال) والاحوال. والده يسأل. وهو يجيب بجمل جعلها قصيرة. مستكشفة كي يصل الى مغزى المكالمة في هذا الوقت (الرابع والنصف صباحاً). أدرك والده أنه أخطأ في معرفة فرق التوقيت (سبع ساعات تفصل بين ليلهما) ... بدا الصوت غير الصوت..والنبرة غير النبرة.. صوت فيه من الضعف أكثر مما فيه من القوة. والنبرة الآمرة إياها بدت هشة .. مرتبكة .

أعاد والده المقدمة الطللية ذاتها ولكنها بدت. هذه المرة. غير مقصودة. كأنها كلمات آلية. أو كأنه ينتظر اللحظة المناسبة ليقول شيئا آخر غير السلام والكلام. أخذ هو يسأل والده عن الأهل والديرة. وبلهجة بدوية سأل: يوبا عسى لا حر ولا شر؟

والده: الحمد لله الكل بخير ويسلمون عليك. ويدعون لك بالخير...

هو: يوبا ماذا هناك؟ تدري ان الوقت عندي غيرالوقت عندكم ..

والده: ... بعد أن اعتذر عن سوء تقديره فرق التوقيت. وبصوت بدا أكثر ضعفاً من ذي قبل .. قال: يوبا..وصمت وقتاً طويلاً... كأن الخط انقطع. يوبا.. كرر الأب نفس الكلمة وبنبرة فيها من التوسل أكثر مما فيها من الضعف..

هو: (محدثاً نفسه)... ماذا وراء تردد أبي؟ لا الموت ولا ملائكته خلف تردد أبي... التردد بالتصريح. والحشرجة في الصوت مردهما شيء آخر..

والده: يوبا الموضوع ..إنو..ثم أطبق صمت ثقيل..عاد صوت والده يقول كتلميذ يطلب إذناً من معلمة: يوبا.. أريد الزواج.....

صعقه ما سمع. شرد ذهنه مستذكراً قبر أمه. حتى الورود التي غرسها والده بيديه لم تزهر بعد. وطين القبر مازال عالقاً تحت أظافره. أقل من عام على انتصاب شاهدة الرخام التي تعلن نهاية الرحلة: هنا ترقد المرحومة بإذن الله الحاجة فضة شحادة.... إسترجع حديثاً على طريقة ألـ (فلاش باك) جرى بينه وبين أخيه . قال أخوه بنبؤة شاعر جاهلي. سوف يتزوج أبونا قريباً. أفزعته تلك النبوءة. قال رداً على أخيه من دون تفكير: أنت لاتعرف أباك جيداً.. لن يفعل ذلك! لكن أخوه قال: هنالك رنة غريبة تميز صوت أبيك. نبرة لم نسمعها من قبل. نبرة حرة. نبرة الخارج من سجن. لكنه. هو. لم يسمع تلك النبرة. او ربما لم ينتبه اليها. سوى انه يعرف اكثر من أخيه المهاجر عمق العلاقة التي تربط بين أبيه وأمه في رحلتهما الملحمية الطويلة. هو. وليس أخوه. من ظل قريبا من هذين اللذين كانا يتنفسان الهواء نفسه ويشربان من الكأس نفسها.

انتبه إنه مازال يمسك بسماعة الهاتف ... وبدون أن يجيب أو يعقب على أي شيء.. أعاد سماعة الهاتف الى موضعها. وسالت دمعة على خده حفرت مجرى ربما لدموع لاحقة.

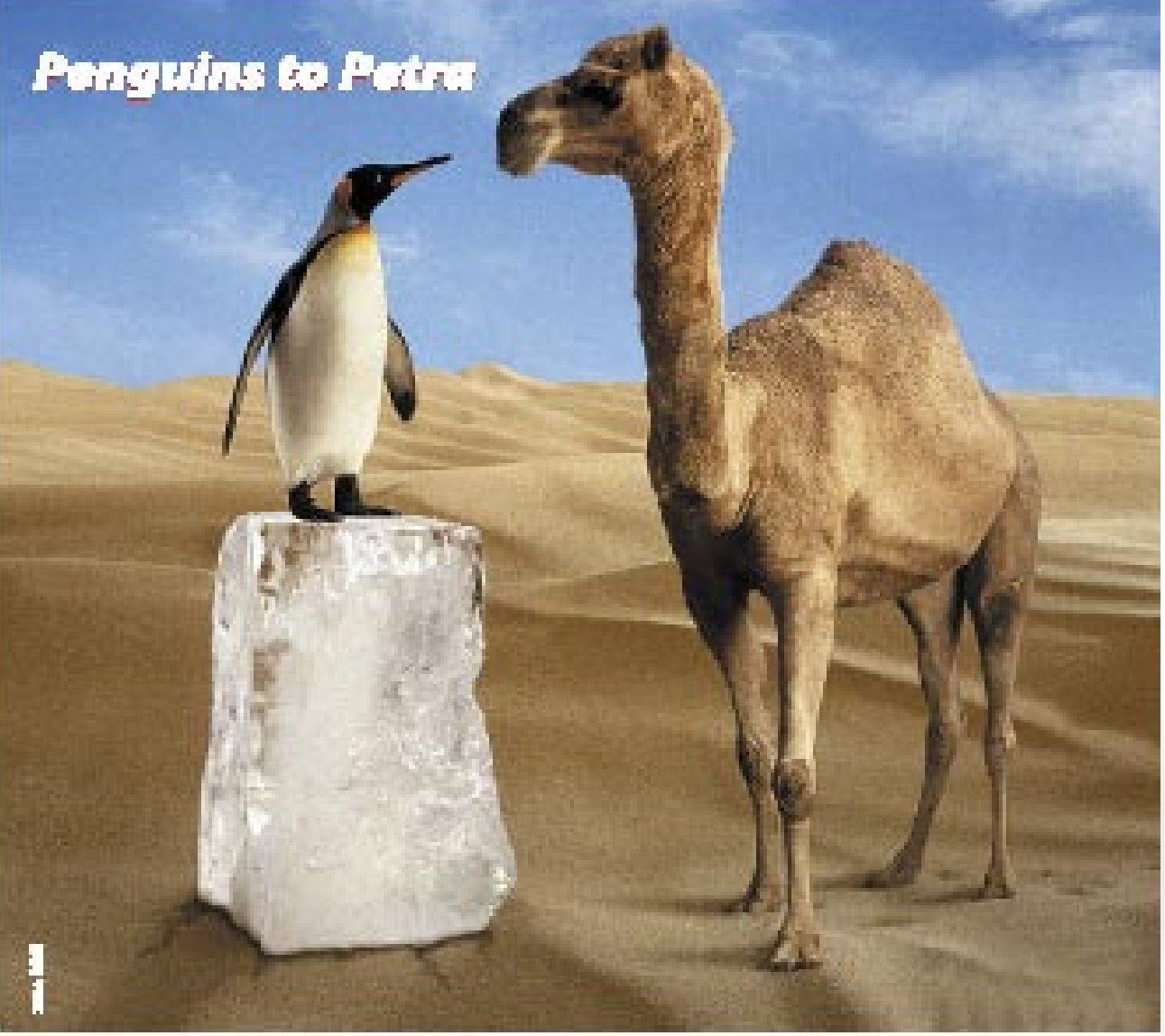

شارع الباعونية

أسأل:
لو كان الجهل رجلاً..فهل نقتله؟

محرمات، بقلم: ريما إيراني

حجاب العقل

النظرة السطحية ، والمبنية على الخوف ، وليس الفهم المخلص، لجوهر الإسلام، هي التي قادتنا، مكبّلي العقل إلى ما نحن فيه، فالإسلام ، كنظام ، ينشد تحقيق العدالة والمساواة بين الناس، وفي السياق التاريخي الذي إنبثقت الدعوة ضمنه، تمت المخاطبة بما يُمكِن الُفهم في ذلك الحين، واضعاً أسساً ومبادىء، يحتكم لها العقل الفاعل، المجتهد، لما يجدّ في الزمان الآتي، فالإسلام حركة تغييرية، لا تقبل الجمود، وتخاطب العقل، والعقل الذي هو بطبيعته متحرك، وحراكه التفكير، أي الإجتهاد، وهذا الرعب الذي يحيط ويهدّد كل من أراد إستعمال العقل، وهذا هو الكفر بنعمة العقل، وبواهبه، وعودة للصنمية .

من هنا أفهم أن الحجاب، في السياق التاريخي، وُجد ليفصل حياة المشرّع، وهو هنا، النبي، الرسول، محمد، صاحب النبوّة والرسالة، عن حياته الخاصة كرجل عائلة، فلنا أن نتخيّل ما كان عليه الأمر، فنحن اليوم نعيش بعيداً عن أماكن عملنا، بما يحقق هذا الفصل، وكذا الأمر فيما يتعلق بعائلة النبي، ليدفع به الأذى عن النساء المسلمات، لما كان لدورهن ومكانتهن، بانتسابهن للدور السياسي والإجتماعي للإسلام، و المُحارب في ذلك الحين .

..."أنا لا أرتدي الحجاب خارج المملكة، لأنني مؤمنة أن أساس الحجاب هو دفع الأذى، فإذا كان الحجاب مصدر أذى، فلست مجبرة على إرتدائه".. هذا ما قالته الكاتبة الشابة، والتي للأسف لم أقرأ كتابها بعد، آلاء الهذول، منطلقة من أبجديات الخطاب، بمنطق عقلي أهنئها عليه، ويحضرني هنا ما قاله أحد صحابة الرسول، عدا عمّا فعله صحابي آخر من حيث تعامله مع الحدود في عام المجاعة، قال أبو بكر في خطبته بعد موت الرسول: " من آمن بمحمد، فإن محمداً قد مات، ومن آمن بالله، فان الله حي لا يموت".

فصاحب الرسالة، قد مات، أما الرسالة، فتبقى ببقاء الحياة، غاية الرسالة، ووسيلتها.

والحياة هي الحيوية، أي الحراك الدائم، تجاوز الموت في كل لحظة، وإن كنّا نرى اليوم مظاهر للحياة، تفتقد صفتها وجوهرها، المُعمِل للعقل، والساعي للحق، فقد أصاب الشلل هذه الحيوية، شلل الرعب والحرام، لا الموت، والذي هو عرض من أعراض هذه الحيوية.

وما موضوع الحجاب، وكما نراه اليوم، بعد مسيرة طويلة، إلا كاشف لنا، أننا ما زلنا حبيسي رعبنا من أنفسنا، وأجسادنا، ورغائبنا، فارتباط الحجاب اليوم بالفتنة والجسد، يفرض علينا أن نكون في حالة إعتذار دائم عن وجودنا، وعمّا نحن عليه، ويدلّل على مدى رعبنا وخوفنا من أنفسنا وأجسادنا ورغائبنا، بدل الغوص في عمق هذا الوجود والتصالح معه، للمضيّ في حياة تحقّق صفتها وجوهرها.

ندينه ونسعى إليه

إن هذا الرعب من الفتنة، مُحرك الجسد، يُخبّىء ويَكشف في نفس الوقت، عن سعي محموم باتجاهها، يكاد يفوّت علينا كل ما عدا هذه الفتنة والشهوة، هذا ما يجب الكشف عنه، لا تحجيبه، هذا الفصل التعسفي للروح والجسد، شرّد الجسد في أزقة معتمة حيناً، وفي غلاف برّاق أحياناً، نُدينه، ونسعى بكل ما فينا باتجاهه .

فاذا كانت الفضيلة هي محاربة رغبتنا في الجسد، والشرف هو إحتفاظنا بهدية الجسد مغلفة، مغلقة، نتأملها ونتشّهاها، ونجلد أنفسنا لما نفعل، ونعجز عن قبول تشهينا، ونعرف أن هذا التشهّي، هو مفتاح بقائنا، واستمرارنا، فنظل مضيعين داخل أنفسنا، مكبّلين بجسد نلعنه، فتفرّغ الفضيلة من معناها، ويقع الشرف خارج أي معنى أخلاقي.

كيف إستفحل هذا الرعب، كيف إنفصل الإله عنا وابتعد كل هذا البعد، بحيث أصبحنا قرابين لقائه، أية سادية هذه؟ والجملة التي أسمعها، وتتكرّر، بصيغة التهديد:((سوف نلاقي الله في أية لحظة))، وكأن الله بركان أو زلزال، سيأتي على حين غرة، فيضبطنا متلبسين بالحياة، ليأخذنا حيث نعاقب على هذا التلبّس، أي تجديف هذا، لمن لا يعلم: الله لا يغادر لنلتقيه، الله كما أراه، كل مظهر وعمق للحياة، هو في الشك والحيرة والطمأنينة، هو في كل شيء، وهو كل شيء، هو العقل في تجلّيه وبحثه، وهو الحياة في تفتّحها وحركتها، وكل محاولة لتحويل الله لهذا الرعب المقيّد للحياة، والمهدّد لتجلّياتها، لهو الكفر به، وإحلال الخوف والرعب مكانه، وهو كفر بهيبته الأعز، العقل .

نجوم مقبولون إجتماعياً مدانون فنياً

لست ممّن يتابعون أخبار النجوم ، فنجومي أقرأ أخبارها في سماوات عالية، والنجوم الأرضية، لا تعنيني حركتها الشخصية كثيراً، ولكنّي اليوم، أرى كيف أن إنعكاس "بروجيكترات-مضخّمات" إضاءة التصوير، وبريقها، تتفوّق على شعاع الشمس ووضوحه، ليس فيما يتوقع من الفن من إضاءات وتنويرات لما يحكم مجتمعاتنا من قيم لم تناقش، فللأسف، أرى أن الفنّ، يكاد يفشل في ذلك، أو أنه إستكان وإستسلم للسوق ومقتضياته، إلا أن (النجوم) بما يثيروه من إعجاب، (كونهم نجوماً)، يشكّلون بؤرة إهتمام، ومتابعة في سلوكهم الشخصي.

" فأهل الفن عموماً مدانون"، إنما يُقبلون إجتماعياً بما يتحقّق لهم، ولمن حولهم، من بريق إنعكاس النجومية ، فهم في نهاية الأمر ، حسب تقييم مجتمعاتنا ، مشخصاتية ، يسلوننا ، فيقتصر الفن على دور ترفيهي " إنترتينينغ " لا نقدي تغييري ، فغالبا ما تخاطب الحواس بما يغيب العقل ، ليمضي الوقت بنا هينا ، خاصة أثناء الصيام ، فلا نعود نحس بجوع المعدة ، (هذا حسب النظرة الضيقة للفن وأهله) أما من أرّقنا منهم ، فله ولها الشكر ، فهنا تكون الإضاءة ، وهنا يكون التنوير ، وهنا يتحقق بعد من أبعاد الفن كما أراه .

السلوك الشخصي الحياتي لهؤلاء الفنانين يتحول إلى ما عجز عنه الفن .

فنرى تفاصيل هذا السلوك الإنساني والعادي واليومي ، ببريق وأهمية ، وتسامح أو تشدد ،يختلف عن محاكمتنا لسلوك الأفراد خارج دائرة الضوء ، المدفوع للعتمة والمحكوم بتشريعاتها ، ليصبح سلوك الفنانين الشخصي، موضوع نقاش ، بانتسابه للنجوم، وليس لما يسببه ذات التصرف أو السلوك ، من إشكالية إجتماعية وفكرية .. وهذا لحسن حظنا ، فما عجز عنه الفن ، أتتنا بها جزئية الحياة اليومية لأهله .

تتحجّب ولا تحتجب

فمثلا نجد أن تحجب ممثلة ، دون إحتجابها (الأمر الطريف الذي يفقدها صفتها كممثلة حقيقية ، فهي لن تستطيع أن تؤدي دور غانية مثلا " رابعة العدوية " ، وإن كان العمل الفني سيهدف إلى تحقيق غاية نبيلة !!) يعتبر خبرا مهما ، ومسألة تتابع ، ليصبح هذا التحجب مكسبا ، ولمن ؟؟ لاحد أهم حركات الفكر عبر التاريخ ، الإسلام ، لينتصر بها ، وبحجابها !!!

ليست لدي إحصائية عن عدد النساء اللواتي يتحجبن يوميا ، ولا عن عدد النساء اللواتي يخلعن الحجب ، ولا عن من يحتار في مناطق الوسط ، فحجاب الرأس وحجاب العقل ، ليسا مقصورين على النساء ، فالرجل الذي لا يزال حبيس شهوته وغموض مشاعره ، حاسر الرأس ، محجوب العقل ، فكيف يكون في تحجب فنانة ، مكسب أو دليل ، أغار على تلك النساء خارج دائرة الضوء ، وعلى حيرتهن ومعاركهن مع أنفسهن ، ومن حولهن ، وأغار أكثر على الإسلام ، أغار حد الغضب ، وأتساءل ، أي مكسب في تحجب فنانة ، ولمن ؟؟

وفي واحدة من تفاصيل حياة الفنانين ، نجد أن هناك نقاشا حول الحق المقدس في الحياة ، ففي

قضيّة الفيشاوي

قضية زواج عرفي لفنان ، إبن فنانة وفنان ، ومولود تناقش شرعيته ، (قضية الحناوي /الفيشاوي) و شرع يتنازل عن عرش تحريم الإجهاض إلا بشروط ترجح الحياة على الموت ، كما أن يكون باستمرار الحمل خطر على حياة الأم ، فيبيح الداعية باسم فهم سطحي للإسلام ، نجم غرف جلوس النساء الباحثات عن الحقيقة ، الخائفات حتى الشلل منها ، يبيح إجهاض جنين ، يبعد عن باب الحياة أشهر،لا ليحمي حياة الأم أو الجنين ، بل ليحمي (سمعة زان في جوهره ، مختبىء وراء القانون ، متهربا منه ، ومحتمي بالشريعة ، بما يحقق ستر فعل لا يملك إرادة ومسؤولية تبنيه أو تحمل نتائجه ، ويئد" من الوأد " الداعي والزاني المحتمي بفتواه ، وجود إجتماعي لإمراة مقاتلة ، جريئة ، تتحمل عبء الحياة ومسؤوليتها)) .

والطريف، أن ذات الشخص الذي إحتمى بالشرع، ووظّفه للهروب من مسؤوليته تجاه فعلته ، محتمياً بمجتمع يتسامح مع شهواته ويبررها، الطريف، أن ذات الشخص، يسعى لعودة أبويه، اللذين ساعداه في حربه ضدّ ضحية شهوته، يسعى لعودتهما للإطار الشرعي الذي يُرضي بنوته، هو العاجز عن الأبوة، المتهالك وراء الشهوة، فحينما حاول سلب ثمرة علاقته بضحيته الأنثى، من حقّها في الحياة، إحتمى بنفس الشرع الذي يشحذ منه اليوم شرعية لعودة والديه لإطارها، ويتم الإحتيال على الشرع هنا، كما كان هناك، لتحقيق مصلحة شخصية، فحتى لو تطلبت عودة المطلقين محللاً، يصار إلى تجاوز هذا التحليل، بتجاوز المحلل، لوضع حلال، إنما يفتقد عنصر التحليل ؟! فالمعيار الإجتماعي هنا يتفوق على الشرع ، على العكس من قضية الإبن ، فهناك إجتمع الشرع والمعادلات الإجتماعية ، على حياة جنين، وحياة حامية لثمرة الحياة وبذرتها !! فالحرام والحلال، معيارهما يختلف، فحتى لو تطلب الشرع محللاً، لعودة هذين الزوجين، إلا أن شرعا آخر إجرائياً، يحلّ محلّ المحلل، وكذلك المحرم، ليصار إلى شرع لا شرعي في إطار لا شرعية شرعية، تنتقى الحلال والحرام، حسب مصالحها، دون فهم أو وعي لأيهما .

لا أفهم كيف، و باسم الشرع، يُفتى في إجهاض طفل، لا تريد أمه له سوى بقاء يحفظ كرامته الإنسانية، ولا تستند في شرعية وجوده إلا على نبض الحياة في عروقه، فأي شرعية أقوى وأهم ؟؟

في مجتمع ، لا تتحقق لطفل شرعية وجود إجتماعي إلا ((بشرعية نسبه)) ، تجيء فتوى شرعية ، من قبل الداعية النجم ، تبيح قتل حق الجنين بالحياة ، على أن يصوم الوالد والوالدة ، ويضحى بعشرة من الإبل ؟؟!! إذن الوالد جاهز للصيام ، وجاهز للزنى ، ولكنه ليس جاهزا للإعتراف بنتائج رغباته الجسدية ، ثم كيف تطبق الفتوى ؟؟ أتسائل ؟؟ أيرجم الزاني إذن بعد الصوم وقتل الطفل ؟؟

هل يكون العلم، نتاج نشاط العقل الحر، أرحم على الطفل ووالدته من فتوى المفتي؟ ففحص الحمض النووي الـ(دي إن إيه)، أنقذ الطفل. وإرادة الأم، أفشلت نية الفتوى . والإحتفال لا يزال قائماً ، بمكسب جديد للإسلام، ولا محتفل بعلم وعقل، منح شرعية للحياة، عجزت عن منحها أخلاقيات تحتمي بالفتاوى المصممة حسب الطلب، فألا نرفع الحجاب عن العقل ، أرفع وأسمى هبات الله ؟!

وأسأل ، لو كان الجهل رجلا .. فهل نقتله؟

بدء الحملة التوعوية البيئية

بدأت قبل أسبوعين الحملة التوعوية البيئية الثانية لهذا العام تحت عنوان ما تخالف.. ما بتتخالف.

وتأتي الحملة التي تنظمها وزارة البيئة الثانية لهذا العام بالتعاون مع بنك (HSBC) إلى توعية المواطنين بمختلف شرائحهم للحفاظ على عناصر البيئة وعدم المساس بمكوناتها بصورة تؤدي إلى الإضرار بها وحرمان الأجيال المقبلة من حق الاستفادة منها.

وتهدف الحملة الجديدة إلى التعريف بالقوانين والتشريعات التي تساهم في حماية البيئة وصون الموارد الوطنية والحفاظ عليها من التلوث.

وتشتمل عناصر الحملة التي تستمر حتى منتصف هذا الشهر، على نشر إعلانات توعوية في الصحف اليومية والمجلات والتلفزيون، إضافة إلى طباعة وتوزيع مئة ألف كتيب يحتوي على رسومات كاريكاتورية توضح طبيعة المخالفات البيئية وأنواعها.

وتتركز على موضوعات مثل الضجيج ورمي النفايات والتلوث الناتج عن المصانع والمنشآت الخدمية والحرفية

ومن ناحية ثانية، ناقشت وزارة البيئة الخطة التنفيذية للأهداف الإستراتيجية التي تهدف إلى المساهمة في تحقيق التنمية المستدامة وتطوير السياسات والتشريعات للمحافظة على البيئة وتعزيز الرقابة والتفتيش وتطبيق التشريعات.

وقال وزير البيئة المهندس خالد الإيراني :"أن الوزارة تعتبر شريكا متعاونا مع كل المؤسسات الوطنية للعمل على تحقيق الهدف المشترك في حماية البيئة والإدارة المستدامة للموارد الطبيعية".

ودعا الإيراني القطاع الزراعي للاستثمار في الممارسات الزراعية الرفيقة بالبيئة مثل الزراعة العضوية وتقديم الحوافز الاقتصادية والضريبية الملائمة للزراعة والتأكيد على البعد البيئي في سلسلة الإنتاج الزراعي وحول قطاع الطاقة أشار إلى أن الأجندة الوطنية تعمل على زيادة الطاقة من 3% إلى 9% كما أن هناك اهتماما كبيرا بدعم تكنولوجيا الطاقة المتجددة والتي يتميز فيها الأردن خاصة بموجود مورد طاقة لا ينضب وهو الشمس إضافة إلى أخذ إجراءات تشريعية واقتصادية وتكنولوجية تساهم في التحول نحو الطاقة المتجددة. وأكد على أن قطاع النقل من أولوياته الرئيسية التحول إلى استخدام البنزين الخالي من الرصاص وتوفير مادة الديزل بمواصفات أوروبية وبين أن العمل مستمر في قطاع السياحة لتطوير خطة استعمالات الأراضي التي تركز على المعايير البيئية في الاستثمار في المناطق ذات التميز الطبيعي والبيئي تسهيلا لعمل المستثمرين من خلال المعرفة المسبقة بتفاصيل الإستثماروأكد الإيراني على قطاع الصحة لكي تبقى تحديات إدارة النفايات الطبية من أهم الأبعاد التي تلتقي فيها الرعاية الصحية مع حماية البيئة وبين أن الوزارة تركز على الأولويات الرئيسية لحماية وإدارة الموارد الطبيعية مثل حماية الهواء والمياه والتربة والتنوع الحيوي ومكافحة التصحر إضافة إلى إدارة النفايات الصلبة والخطرة والمواد الكيماوية.

أمانبور وكلوفر إرتديا زيّ الجنود وشهدا المذابح

ملائكة الموت، صحافيون غربيون

يعيش الإعلام الغربي أزمة أخلاقية، قد تظلّ وصمة عار على جبينه إلى سنوات طويلة، ويمكن تفسير الهجمة الإعلامية التي يتعرّض لها الرئيس الأميركي جورج بوش باعتبارها محاولة لاستعادة الصورة التي فقدها هذا الإعلام خلال الحرب على العراق.

ولعلّ أسوأ صورة طبعت في أذهان الناس هي ذلك الصحافي الذي يلبس زيّ الجنود الأميركيين، ويتنقّل معهم، ويرى الفظاعات التي ارتكبوها، ولكنّه لا يستطيع أن ينشر شيئاً، بدعوى التأثير على سير المعارك. وقد قبلت غالبية المؤسسات الصحافية الكبيرة، ما عدا بعض المؤسسات الفرنسية والألمانية، الخوض في هذه التجربة وكان غريباً على صحافيين كبار أن يتلقوا تعليمات النشر من ضباط في الجيش، وحين يظهرون على الشاشة يبدون وكأنّهم من رجال الدعاية عند غوبلز النازي الشهير.

وفي المؤتمر الصحافي الأخير للرئيس الأميركي جورج بوش أمطره المراسلون بالأسئلة المحرجة، ولم يبق سوى القول له: إرحل عن البيت الأبيض، ولكنّ الغرب أنّ كلّ الموجودين كانوا من رجال دعاية الحرب، والترويج لها، ويحاولون الآن نزع تلك الصورة عنهم.

الصحافي الأميركي تشارلز كلوفر كان من مراسلي الفاينانشال تايمز اللندنية خلال الحرب، ولبس الزيّ العسكري، وتعاونت معه "السي إن إن" كمراسل على القطعة، وفي يوم شهد حادث إلقاء قنبلة في معسكر أميركي في الكويت، وكان يعرف أنّ جندياً أميركياً هو الذي قام بالهجوم، لأنّه رآه بأم عينه، ولكنّه وحين سأله المذيع على الهواء مباشرة، أجاب: لا أستطيع أن أقول شيئاً. أنتم تعرفون القواعد التي أتينا هنا على أساسها. المراسل نفسه شهد أبشع المجازر ولكنّه لم يعلن عنها إلاّ بعد إنتهاء الحرب.

والمنطقة على كفّ عفريت، وحين تكون أية منطقة كذلك، تطلّ علينا كريستيان أمانبور، من السي إن إن، وكأنّها "ملاك الموت" وهو إسم صارت تشتهر به لكثرة ما غطّت من حروب أميركية، وكانت تعلن أخبار الموت كمن يشرب الماء، وقد لبست بدورها زيّ الجنود، ونخشى أن تطلّ علينا هذه قريباً، باعتبار أنّ هناك دولاً في المنطقة مرشحة لدمار آت.

والغريب أنّ هناك لدينا من ما زال يعطينا دروساً حول حرية الإعلام على الطريقة الغربية، وخصوصاً الأميركية، والغريب أنّ هناك من يستمع لهم، ويساعدهم في نشر أفكار السكوت على القتل بدعوى تحقيق الديمقراطية والحرية.

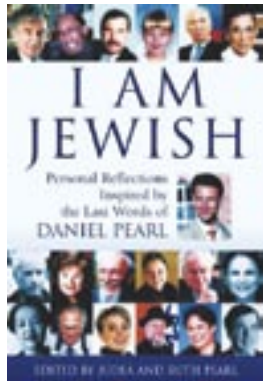

أنا يهودي

كان يهدي صديقاته وأصدقاءه العرق اللبناني، ويحبّ فيروز، وظلّ يدّعي المسيحيّة، وأعيد تصوير قطع رأسه بعد موته لسبب تعطّل الكاميرا، وفشل فيلم عن حياته مثّلته أنجيلينا جولي...

فشل الفيلم الأمريكي "القلب الكبير" للنجمة أنجلينا جولي فشلاً زريعاً حيث إنه لم يحقق سوي أربعة ملايين دولار فقط، مما أدى الي حصوله علي المركز العاشر بقائمة إيرادات الأسبوع. وتدور أحداث "القلب الكبير" في الهند حول حياة الصحفي الامريكي دانيال بيرل الذي كان يقوم بتحقيقات حول تنظيم القاعدة وانتهى الأمر باختطافه وإعدامه، وقد حكم بالإعدام على المواطن البريطاني عمر شيخ بباكستان في شباط فبراير عام 2002 لدوره في هذه العملية.

تجدر الإشارة الي أن فيلم "القلب الكبير" الذي أنتجته شركة "بلان بي" التي يملكها براد بيت، عرض مؤخرا خارج المسابقة الرسمية لمهرجان كان السينمائي الدولي.

. وفي هذا الفيلم، تلعب جولي دور ماريان بيرل، زوجة الصحافي الاميركي، التي تبدأ بالبحث عن زوجها، ومن ثم تتلقى خبر وفاته وهي حامل في شهرها الخامس. تقول جولي (اعتقد ان ماريان شخصية فريدة من نوعها، تفكر بعمق، وتسعى الى الحوار مع الآخرين لتحسين علاقتها بالبيئة المحيطة، وهو ما اعتقد انه افضل درس لنا جميعا). واكدت جولي ان تمثيلها الدور خلال فترة حملها الاولى ساعدها كثيرا في تفهم الشخصية وما تمر به. وقد قام بإخراج هذا الفيلم مايكل وينتربوتوم، كما قام براد بيت، بالتعاون في انتاج الفيلم، الذي يرتكز في فكرته على مذكرات ماريان. ويقوم الممثل دان فوترمان بلعب شخصية دانيال بيرل في الفيلم الذي انتجته شركة (باراماونت فينتاج). من ناحية اخرى، تقول ماريان بيرل، الشخصية الحقيقية في الفيلم، ان صداقتها مع انجلينا جولي اصبحت اقوى بعد تنفيذ هذا الفيلم. وتضيف (قد يتمكن ابني من مشاهدة هذا الفيلم في يوم من الايام، وهو ما سيذكرني بأمور محزنة جدا، الا ان ما يخفف عني هو ان انجلينا جولي هي من لعبت دوري في الفيلم). يذكر انه تم اختطاف دانيال بيرل من قبل الجماعات المسلحة في باكستان في يناير/كانون الثاني 2002، وقتل بعد ذلك بتسعة ايام بقطع رأسه رغم المطالبات العالمية باطلاق سراحه.

بيرل كان يتردد على الأردن، وله هنا بعض الأصدقاء والصديقات، وكان يخفي عنهم كونه يهودياً، ويقولون إنّه كان يحبّ شرب العرق، ونشرت الصنداي تايمز أنّ الكاميرا التي صوّرت عملية قتله تعطّلت فأعيد تمثيل المشهد.

سيجارة ونارجيلة

قتلت سيجارة أبي.. وواحدة مثلها تقتلني الآن.. وأخشى أن تكون النارجيلة هي السبب في قتل إبني، فهذه صارت تنافس السيجارة في فعلها، مع إنتشارها في كلّ أرجاء البلاد.

وأحب أن أقول للدكتور زيد حمزة، المحارب المر ضد التدخين، انني اقف وراءه في هذه الحرب الطويلة، التي قد يكون من نتائجها اطالة اعمار اطفالنا، باعتبارنا نحن نعيش حسن الختام...

ونتجول في انحاء اوروبا، حاملين السيجارة القاتلة، لنكتشف بأننا منبوذون في كل مكان، وقد وصل الامر الى وضع غرف في الفنادق للمدخنين، وأخرى لغيرهم، وحصل في غرفة فندق في برلين ان الادارة علمت بقيامي بالتدخين في واحدة من الغرف الحرة، فقامت القيامة، وكاد الامر يصل الى الشرطة وادارة الهجرة لأخرج من المانيا مطروداً بسبب سيجارة!

لكن الله سلم..

وتبدو هذه الحرب العالمية الجديدة ضد التدخين في كل مكان، من أميركا الى اوروبا الى جنوب افريقيا، الى الخليج العربي، لكنها لم تصل بعد الى الأردن، فواحد مثل زيد حمزة لا يستطيع ان يصفق وحده، ووزارة الصحة لا تأخذ المسألة على محمل الجد، والجمهور يتعامل معها بلا مبالاة واضحة، وفي حقيقة الامر، فان الصرامة في تطبيق التعليمات، التي تمنع التدخين في الاماكن العامة باتت مطلوبة، وحملات التوعية المدروسة ينبغي أن تبدأ لتحل مكان تلك الساذجة التي تنصح المدرس بعدم التدخين امام طلابه، فنحن المدخنين نقتل أنفسنا، وهذا ليس من حقنا، ونقتل الآخرين أيضاً، وهذا بالضرورة جناية من نوع خاص لا بد من التعامل معها بجدية..

وليس هناك دولة، على ما نظن في العالم المتقدم كله، تباع فيها السجائر باسعار رخيصة كبلادنا، وإذا كنا نطالب بفرض رسوم أعلى على هذه البضاعة القاتلة، فليس لأننا نريد زيادة الاعباء على الناس، ولكن للضغط عليهم، بشكل أو بآخر، للتخلي عن هذه السموم التي نشتريها عن طيب خاطر، لتأتينا بتصلبات الشرايين والجلطات والسرطان بأنواعه...

ونعود فنعلن وقوفنا وراء الدكتور زيد حمزة، لنصفق معه في حربه ضد السيجارة، ونتمنى عليه تأطير العمل في جمعية نشطة نكون جميعاً اعضاء فيها، فإذا لم نستطع ترك العادة القبيحة، فلنتق الله بحق الآخرين...

"التدخين حرام شرعاً"

أصدرت دار الإفتاء المصرية حكماً شرعياً بالحرمة القطعية للتدخين وذلك في فتواها الصادرة في ٢٥ جمادى الأولى ١٤٢٠ الموافق ٥ سبتمبر ١٩٩٩، جاء فيها "أن العلم قد قطع في عصرنا الحالي بأضرار استخدامات التبغ على النفس، لما في التدخين من أضرار تصيب المدخن وغيره ممن يخالطونه، ولما فيه من إسراف وتبذير نهى الله عنهما.

والله تعالى يقول: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما﴾ ويقول عزّ وعلا: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾.

وعليه فإن التدخين حرام بكل المقاييس الشرعية.

الدكتور نصر فريد واصل

شارع مؤسس الرزاز

نبيل الشريف، إرتحالات عُمْر من الصحافة

يسعدني أن أقدّم الدكتور نبيل الشريف. زميلي. وصديقي. ورفيق تجربة لصيقة دخلت هذه السنة عامها العاشر. قبلها. كانت علاقتنا عادية. أعرفه. ويعرفني. أقرأ له. ولعلّه كان يقرأ لي. ولو أنّ ما بين والدي ووالده علاقة مهنيّة بدأت بحياة صحافية حافلة. لم ينهها سوى الموت. موت الرجلين. لا موت الصحافة بالطبع. بما لمثل هذه العلاقات من تباينات وتناقضات.

وفي صباح يوم توقظني إبنتي: رئيس تحرير "الدستور" يطلبك. ماذا أقول له؟ سارعت إلى الهاتف سائلاً الله لطفه أن لا يكون هناك شرّ. تبادلنا العبارات المعتادة. والمجاملات. ليبدأ بعدها كلاماً دافئاً عن تجربتي. ثمّ يصعقني: نريدك في "الدستور"؟ كان ردّي عفوياً. مستريباً: وماذا تريد منّي في "الدستور"؟. قال: مقال يوميّ.

طلبه كان صاعقاً لأسباب كثيرة. أهمّها أنّ ما كنت أكتبه في الأسبوعيات. تلك الأيام. لا يلائم صحيفة يومية. بل يليق بالمنشورات التي كنّا نتوازعها في السبعينيات والثمانينيات. وأكثر من ذلك. فقد كنتُ متّهماً في أوساط الحكومة أنّني وراء كلّ ما ينشر فيها من عناوين مثيرة. وقصص تفضح المساتير. وأكثر من ذلك ممّا كان سيودعني السجن عشرات المرات. لكنّ الله كان يسلّم في كلّ مرّة.

ودون تفاصيل. فقد كرّمتني "الدستور" بأكثر ممّا أستحق. مادياً ومعنوياً. ولكنّ إجابة نبيل حول إشتراطي بسقف غير محدود للكتابة: أكتب ما شئت! كانت تنتظر الإختبار على أرض الواقع.

في مقالتي الأولى كنت ألامس الحرام السياسي. نُشرت المقالة كما هي. في الثانية. لامسته فعلاً. نُشرت المقالة. في الثالثة. كنت أخترقه بدعوة صريحة لإقالة الحكومة التي والتي والتي والتي...

لم تُنشر المقالة فحسب. بل أتى آخر النهار ليعلن عن إستقالة الحكومة. وتشكيل حكومة جديدة. وظنّ الناس أنّني كنت أعرف. وهذا ما لم يكن صحيحاً أبداً. وبدوري ظننتُ أنّ نبيل يعرف. ولهذا سمح بالنشر. فبالغت في إختباره.

واصلت تخطّي السقوف. وتحدّي الحكومة الجديدة. يوماً بعد يوم. لأكتشف هذا الحسّ الصحافي الجريء. عند صديقي الجديد. ولتأخذنا الأيام والسنوات من الزمالة إلى الصداقة. وحتى لا ننهي القصّة دون خواتيمها. فقد فُصّل قانون مطبوعات خصّيصاً لإقصاء الدكتور نبيل الشريف عن منصب رئيس التحرير المسؤول. وهذا ما حصل. وأضطرّ زميلي وحبيبي راكان المجالي. وأنا معه. لقضاء إجازة إضطرارية لمدة شهر. حتّى تنتهي الانتخابات النيابية. التي كان لا بدّ لها أن تأتي بالموافقين على كلّ شيئ. بالطول أو بالعرض. إختصاراً. سأقول: ليس هناك شجاعة للكاتب. إنّها شجاعة الناشر. شجاعة رئيس التحرير. وهذا ما كان. وما زال. نبيل عليه.

قصّة نبيل الشريف لا تُختزل بكلام سريع. ولكنّني هنا أردّ بعضاً من فضله على المهنة. لا عليّ شخصياً فحسب. فقد إنتقلت "الدستور" معه إلى فضاء جديد. ولا أنهي قبل أن أقول إنّه وعد بأن يكون آخر وزير إعلام فصدق. وفي ليلة عند نهر بورقرق الرباطي المغربي قال لي: لا أطيق البعد عن المهنة. كان أيامها سفيراً في المغرب. وها هو الآن في مهنته الحبيبة: الصحافة.

باسم سكجها

إرتحالات العائلة، وذكريات الطفولة

عند الحديث عن النشأة والطفولة ينبغي العودة قليلاً للحديث عن أصل العائلة ونقطة تشكلها: فنحن ننحدر من الأشراف الحجازيين ونسبنا ثابت بموجب الوثائق وشجرة النسب والعضوية في نقابة الأشراف التي تتحقق من النسب ويعود فرع العائلة إلى الحسين بن علي كرم الله وجهه، وعائلتي تزهد عادة في الحديث عن هذا الموضوع، خشية التأويل وسوء الفهم.

ولكن القصة لم تنته هنا: فكعادة البدو الرحل في ذاك الزمان الذين لم يعترفوا بالحدود ومقتضيات سيادة الدول فقد جسدت عائلتي وحدة تراب الأوطان العربية، فانطلقت منذ مطلع القرن الماضي تقطع المسافات عبر الوطن العربي، وتستقر حيثما يحلو لها المقام، فقد إنطلقت أولاً من الحجاز إلى أربيل، في شمال العراق، ثم إلى حلب في سوريا، وبعد ذلك واصل جزء من العائلة الرحيل فوصل إلى الخليل في فلسطين، ثم العريش في شمال سيناء، حيث إستقر بهم المقام مع بقاء صلات قوية بين فرع العريش، وفرع العائلة في فلسطين، وكان جدي إسماعيل قاضياً بين البدو، فكان يتنقل بين سيناء وفلسطين والعقبة، حيث كان يملك بعض الأراضي في صحراء النقب جنوب فلسطين. أعتقد أن إدراك قصة العائلة بهذا الشكل مهم لمعرفة الطبيعة الوحدوية لوالدي وأعمامي.

وقد ولدت عام 1952 ، في مدينة العريش بشمال سيناء، حيث درست المرحلة الإبتدائية في مدارسها، ثم إلتحقت بالمراحل الأخرى في المدارس الأردنية، بدءاً بمدرسة الأردن ثم الكلية العلمية الإسلامية، ثم بعد ذلك إنتقلت مع والدي إلى قطر، حيث عمل هناك بعض الوقت أسس فيها الإعلام القطري، وهناك حصلت على شهادة الثانوية من مدرسة الدوحة الثانوية، ثم إنتقلت بعد ذلك إلى جامعة الكويت، حيث درست الأدب الإنجليزي، وبعد تخرجي من الجامعة عملت مدرساً للغة الإنجليزية في المنطقة المحايدة بين الكويت والسعودية لمدة ثلاث سنوات، وكنت أعيش في بيت متواضع في تلك المنطقة كشاب أعزب، أطبخ بنفسي، وأعتني بشؤون حياتي وحدي، وكانت حياتي صعبة للغاية، ويبدو أنني كنت قد عقدت العزم على أن أبتعد عن الصحافة، وأن أشق لنفسي طريقاً في مجال الآداب وخصوصاً أدب اللغة الإنجليزية، قراري بالإبتعاد عن الصحافة يعود إلى ما كنت ألمسه، وأشاهده، من عناء وتعب شديدين يحسّ بهما والدي جراء عمله بالصحافة بما في ذلك السهر، والتوتّر، والعصبية، فقلت في قرارة نفسي: إذا أردت أن أعيش سعيداً، فعليّ أن أبتعد عن هذه المهنة.

حصلت على البعثة بالصدفة

ومن هنا فقد واصلت دراسة الماجستير والدكتوراة في الولايات المتحدة الأميركية، حيث حصلت على منحة من جامعة اليرموك، ولطريقة معرفتي بهذه البعثة قصة طريفة: فقد كانت تأتيني الصحف الأردنية متأخرة أسبوعاً كاملاً، وكنت لا أجد الوقت لأقرأها، فقد كنت مشغولاً بالتدريس، وبالدروس الخصوصية، ولكني في المساء كنت أفترش الصحف، وأتناول الطعام في نفس الوقت، وأذكر أنني كنت أتناول طعامي وأنظر إلى الصحيفة، فوقعت عيناي على إعلان من جامعة اليرموك، تطلب فيه مبعوثين لدراسة الدكتوارة في أميركا في مختلف التخصّصات، وخاطبت الجامعة، وحصلت على القبول، وكنت أتساءل دائماً: ماذا لو أنني لم أنظر إلى هذه الصفحة في الجريدة، بل نظرت إلى صفحة أخرى، كيف سيكون شكل حياتي؟

أنا أؤمن بالصدفة، وكل أحداث حياتي الرئيسية وقعت بالصدفة، فلم أخطّط أن أصبح وزيراً، ولا سفيراً، بل جاءت الأمور كلها دونما تخطيط، أو قرار مسبق، ولكن عملي في الصحافة يعود بالدرجة الأولى إلى قرار من والدي، لم يفصح لي عنه حتى نهاية حياته، وإلا كيف أفسّر حرصه الدائم على أن يشركني في العملية الصحفية، حتى وأنا أستاذ في الجامعة، ففي أيام عطلة الأسبوع، كان يحرص على أن أداوم في الجريدة، بدلاً من مدير التحرير المرحوم محمود الحوساني، الذي كان يعطل يوم الخميس، وكنت أكتب الافتتاحية، وأعطيها إما للمرحوم والدي، أو لعمي كامل أو للمرحوم الأستاذ إبراهيم سكجها، وقد تعلّمت منهم جميعاً، وعلى يديهم، دروساً قيمة في الصحافة، وكيف أفسر حرصه أيضاً على تعييني محرراً ثقافياً لـ"الدستور" بعد أن شغر ذلك الموقع، وأستطيع أن أعد عشرات الأمثلة، على أنه اتخذ قراراً صامتاً بأن يدخلني في عالم الصحافة، وأعترف أيضاً أن الأمر لاقى ترحاباً منّي، وارتياحاً أيضاً، فلم أكن أمانع باستلام أي دور جديد، أو أية مهمة جديدة، وقد حدثت (الورطة الكبرى) لي في العمل الصحفي في عام 1993 عندما كنت أدرس الآداب في الجامعة الأردنية، بعد أن كنت قد عملت لما يقرب من ثمانية سنوات في جامعة اليرموك، في تلك الفترة، كان والدي قد عين وزيراً للإعلام، وترك موقعه في "الدستور"، وكنت أداوم في فترة العصر وحتى ساعات متأخرة من المساء في الجريدة، وكنت أيضاً أعمل بشكل كامل في الجامعة، وكانت سنة من أصعب سنوات حياتي، وأحسست أن علي أن أختار إما العمل الجامعي، وإما الصحافة، فهما لا يجتمعان، وقد إخترت الصحافة منذ عام 1993 حتى هذا اليوم، ولا أستطيع القول أنني ندمت على هذا الاختيار.

تجربة التدريس الجامعي

أما عن تجربتي في التدريس، في جامعة اليرموك والجامعة الأردنية، فأستطيع أن أقول إنّها كانت تجربة ثرية وغنية، ولكني عانيت معاناة شديدة في اليرموك إذ كنت أعيش في عمان، وأنتقل يومياً بسيارتي إلى جامعة اليرموك في اربد، وقد كان مشواراً شاقاً، جامعة اليرموك، في تلك الفترة، كانت جامعة نشيطة ومليئة بالحياة، ولكني كنت دائماً أعتقد ان أسوار الجامعة هي سياج يفصلها عن المجتمع، وهذا ما جعلني لا أتردد في الإنتقال من عالم الجامعة، إلى عالم الصحافة، أنا لا أحب النظريات، وأحبّ أن أرى معالجة لقضايا الإنسان بشكل مباشر، دونما توهان في عالم النظريات، وفي الجامعة الأردنية، أيضاً، قضيت ما يقرب من أربع سنوات، كانت أيضاً مليئة بالتجارب والخبرات، ولكني أعترف أن تجربتي في العمل الجامعي إصطدمت بمعوقات بيروقراطية، وأيضاً بنظرة الطلبة إلى العملية الجامعية، فقد كنت أحاول دائماً أن أشرك الطلبة في النقاش، وألا أفرض عليهم رأيهم، ولكنّهم كانوا معتادين على عملية حفظ المواد، دونما تفكير، وكانوا ينزعجون من كثرة أسئلتي، ومحاورتي لهم، بل قال لي بعضهم: أعطنا ما تريد منا أن نحفظه، ولك علينا أن نعيده عليك بالتمام والكمال في الامتحانات النهائية، وقد أحبطني ذلك جداً، فقد كنت أسعى لخلق حوار فعال مع الطلبة، وأن أستفيد من أفكارهم، كما قد يفيدون

هم من أفكاري، فالنص الأدبي ليس مقدساً، وما يقوله ناقد، أو محلّل للنص الأدبي، هو مجرّد رأي يحتمل الخطأ والصواب، ولكن أحسست أني لا أستطيع أن أغير نظاماً كاملاً، وأنّ عليّ أن أتكيّف معه، كما أزعجني أيضاً موضوع الترقيات الأكاديمية، فقد كان حديث الأساتذة هو حول نشر الأبحاث التي لا تعالج قضايا ذات أهمية، في جامعات مغمورة، ولكنّ هذه الأبحاث، تعد بالنسبة لمتطلبات الجامعات عملاً أساسياً للترقية، وقد كنت أرى هذا الجهد كله مضيعة للوقت، ولا قيمة حقيقية له، ولا يسهم في التغيير في مجتمعنا، أو في نقل خبرات أو تجارب جديدة، وقد ساهمت كلّ هذه الظروف في جعلي أزهد في الحياة الجامعية، وأقرر الاستجابة لرغبة والدي بالتفرغ للصحافة، مع ذلك، فقد كانت تجربة العمل الجامعي مفيدة، وأعطتني طريقة في التحليل، وفي إدارة شؤون حياتي، وحتى في عملي الصحفي أعتقد أنها أفادتني جداً.

تلامذتي وزملائي

تلامذتي في الجامعة كثيرون، ومنهم بالفعل من أصبحوا زملاء، ومنهم أخي الأستاذ أيمن الصفدي، وأخي الأستاذ رمضان الرواشدة، والسيدة مجد شويكه الرئيس التنفيذي لموبايلكم، والسيدة سوزان عفانة مديرة الإعلام في فاست لينك، وغيرهم كثيرون، ومن المفاجآت السارة، أنني عندما أذهب إلى أي مؤسسة أو أي مكان عام أجد عدداً من الطلاب الذين درستهم، وقد شغلوا مواقع قيادية، وبالطبع فالطالب يتذكر أستاذه دائماً، ولكن أحياناً تضيع بعض التفاصيل عن الأستاذ، وعندما يقول لي طالب أو طالبة من طلابي: إنك درستني يا دكتور، أقول له: أين في الجامعة الأردنية، أو في جامعة اليرموك؟ ثم احاول أن أستعيد بعض الذكريات، وأحياناً أنجح، وكثيراً ما لا أستطيع أن أحدد التفاصيل.

أغواني والدي بالصحافة عبر الثقافة

أما عن الملحق الثقافي لـ"لدستور"، فقد كان تعييني مسؤولاً عنه جزءاً من خطة الوالد لإغوائي بدخول عالم الصحافة، ولكنّي

أعترف أنني كنت مستعداً لهذه الغواية، ومهيئاً لها، وقد عملت بكل جدية وإهتمام، لكي يكون ملحقاً مميزاً، وأعتقد أن كثيراً من المثقفين الأردنيين أنصفوا تجربتي في هذا المجال، وقالوا إنّ الملحق كان، في تلك الفترة، خليّة نحل، ومرآة تعكس تطلّعات المثقفين الأردنيين، ولم أكتف بتحرير الملحق، بل كنت أعقد صالوناً ثقافياً كل يوم أحد، في دار "الدستور"، حيث يشترك معي عدد كبير من الأدباء الأردنيين في تحديد مواضيع وملفات ملحق الأسبوع.

أما كيف أصبحت رئيساً للتحرير، أول مرة، فقد حدث فراغ في هذا الموقع، بعد دخول الوالد إلى الوزارة، واستقالة الأستاذ موسى الكيلاني، الذي كان رئيساً للتحرير في تلك الفترة، أي أنني لم أحصل على وقت كاف للتفكير، فقد وجدت نفسي غارقاً حتى أذني، ولم أعط وقتاً للتأمل في القرار، بمعنى آخر، فإن الفراغ موجود، وقرار الوالد موجود، وما علي إلا أن أستجيب.

فصّلوا القانون لإقصائي عن "الدستور"

وهذا ما حدث، فقد باشرت عملي كرئيس تحرير متفرغ منذ عام 1993 وحتى عام 1997 عندما إتّخذت الحكومة، في ذلك الوقت، قراراً بإبعادي عن رئاسة التحرير، لأنني كنت مشاغباً عليها حسب قولهم، وأذكر أن رئيس الوزراء في ذلك الوقت كان دائم العتب عليّ، لأنني لا أمدح الحكومة بشكل كافٍ، وأنتقد بعض قراراتها، وكان يقول لي: أحذّرك يا نبيل أن الطريق الذي تسير عليه لن يكون في صالحك، وإذا استمر الأمر بهذا الشكل، فلن تبقى في موقعك.

وبالطبع، كانت الحكومة تملك جزءاً من أسهم الصحيفة، وقد حذرني، أيضاً في ذلك الوقت، نائب رئيس الوزراء ووزير الإعلام عدة مرّات، ولكني كنت أرى أن دور الصحافة هو أن تنقل هموم الناس وتطلّعاتهم، ولكني دفعت ثمناً باهظاً لذلك ففي عام 1997 عدّلت الحكومة قانون المطبوعات لإبعادي عن رئاسة التحرير.

فقد أدخلت الحكومة تعديلاً على القانون يشترط توفر عشر سنوات عضوية في نقابة الصحفيين لمن يريد أن يشغل موقع رئيس التحرير، ووقتها لم تكن قد مضت على عضويتي في النقابة أكثر من خمس سنوات، ولم تكتف الحكومة، بذلك بل حاولت الضغط على بعض أعضاء مجلس الإدارة، ليتخذوا قراراً بالاستغناء عن خدماتي، أي أنها عملت على محورين، لإبعادي عن رئاسة التحرير، وقد نجحت الحكومة في هدفها، وتم إقصائي عن رئاسة تحرير الدستور عام 1997 ، وعين المرحوم والدي في ذلك الموقع، ولكني بقيت في "الدستور"، أعمل من وراء ستار، تحت توجيهات والدي، وإستمر الوضع على هذه الحال، حتى وفاة والدي في عام 2003 حيث كانت الأمور قد تغيّرت، واستعدت موقعي على الفور رئيساً للتحرير، إلا أن هذا الأمر لم يعمّر طويلاً، حيث عيّنت وزيراً للإعلام، بعد ذلك بأربعة شهور فقط، وتركت موقعي في "الدستور"، وإنضممت إلى الحكومة، وهناك من أصدقائي من يقول إن هذا الموقع، رغم محبّتي له، إلا أنّه لا يدوم طويلاً لي، وسرعان ما تحدث تطورات، وأمور تبعدني عنه، وآمل أن يكون هذا النحس قد إنتهى وأن، أواصل عملي الصحفي من خلال موقعي في "الدستور".

أتمنى أن يظلّ لقبي آخر وزير للإعلام

لا أعتقد أن توزيري كان سبباً لإبعادي عن "الدستور"، وأعتقد أن توزيري جاء من منطلق أنني ممن يؤمنون بضرورة إلغاء وزارة الإعلام، وكان جلالة الملك يطالب بإلغاء تلك الوزارة، ولكنّ الأمر تأخّر كثيراً، وقد باشرت عملي في الوزارة، وأنا أؤمن تماماً بضرورة إلغائها، حيث أن هذا موقف آمنت به منذ فترة طويلة، وأعتقد أنه لا وجود لوزارات الإعلام في هذا الزمن، فهي من مخلّفات الماضي، ويجب علينا أن نسير على طريق تحرير وسائل الإعلام، وإخراجها من قبضة الحكومة، وإذا كنّا الآن نشعر بأن الوضع الإعلامي مرتبك، والمؤسسات الإعلامية مشتّتة، فإن الحل لا يكمن في عودة وزارة الإعلام، بل يكمن في تعزيز إستقلالية المؤسسات الإعلامية، فلا حلّ لمشاكل الديمقراطية، إلا بالمزيد من الديمقراطية.

تجربة الوزارة كانت قصيرة الزمن، وأعتقد أنني خرجت منها، وأنا أشعر بأنني لم آخذ الوقت الكافي لتنفيذ أي أهداف، أو أية برامج، فالحكومة التي إنضممت إليها لم تعمّر أكثر من ثلاثة شهور، وأنا أعتقد أن التغيير السريع للحكومات، وللوزارات، من أحد أسباب الإرتباك الذي نعيشه، فماذا يستطيع وزير أن يقدم خلال ثلاثة شهور، وهو بالكاد يستطيع أن يتعرّف على موظفي وزارته، ولكني سعيد بأنني كنت آخر وزير للإعلام، ورغم أن هذا اللقب يشعرني بأنني كائن متحفي، أو كائن منقرض مثل الديناصور، إلا أنني سعيد بهذا اللقب، وأتمنى أن أحافظ عليه إلى الأبد، إذ أن محافظتي عليه تعني عدم عودة وزارة الإعلام.

أما عن تجربة السفارة في المغرب، فقد كانت تجربة غنية، وتعلّمت منها الكثير، وأعتقد أن سرّ نجاح السفارة أثناء وجودي هناك، يكمن في أنني أدرت شؤون السفارة بعقلية الصحفي، ولم أتقيّد بحرفية التعليمات والأنظمة، فقد جئت إلى العمل الحكومي بعقلية لا تؤمن بالبيروقراطية، ومتحرّرة من الروتين، وقد إنعكس هذا على أداء السفارة، فكانت النشاطات الثقافية والفنية والإحتفالات بأعياد الاستقلال، حديث الناس في المغرب والأردن، وقد عجبت أن السفارة لم تقم حفلاً بمناسبة عيد الاستقلال قبل مجيئي، إلا مرة واحدة، طوال الثلاثين سنة الماضية، بينما حرصت أثناء وجودي هناك على إقامة حفل كبير، شارك فيه ما لا يقل

عن مائة فنان ومثقف من الأردن، دون أن أكلف الحكومة فلساً واحداً خارج المخصصات، وأعتقد أن هذا ما نحتاجه في سفاراتنا، أي أن يبادر السفراء للعمل بحرية، بالتعاون مع الجاليات، ومع القطاع الخاص، ومع المؤسسات غير الرسمية، أمّا التقيد بحرفية النظام والتعليمات، فإنه لا يحقق شيئاً.

فيروس الصحافة ظلّ يلاحقني

أعتقد أن كل مرحلة من مراحل الحياة أثرت الأخرى، فقد أثرى عملي الصحفي ما خضته من تجارب في العمل الجامعي، وقد أثرى عملي في السفارة، ما حصلت عليه من خبرات في العمل الصحفي، وكثيراً ما أحسد الناس الذين يعملون عملاً واحداً في حياتهم، أما أنا فأغيّر مهنتي بالكامل كل عشر سنوات، ففي السنوات العشر الأولى من حياتي العملية كنت أكاديمياً، وفي السنوات العشر الثانية كنت صحفياً، وبدأت السنوات العشر الثالثة، بتجربة الوزارة والسفارة، ولكنني لم أستطع الإبتعاد عن الصحافة، فعدت لها في عام 2006 ، وأعترف أنني لم أجد نفسي في العمل الدبلوماسي، رغم أنني عملت الكثير، وأنجزت الكثير، إلا أن فيروس الصحافة ظلّ يطاردني، ولم أشعر بالراحة والسعادة الحقيقية طوال عملي في السلك الدبلوماسي، وظلّ في داخلي حنين كبير لعالم الصحافة، وأكثر ما كان يزعجني، هو منعي من الكتابة، فأنا كموظف رسمي، لم يكن مسموحاً لي الكتابة في الصحافة، وقد خاطبت أربعة وزراء خارجية تعاقبوا على المنصب أثناء وجودي في السفارة، إلا أن أحداً منهم لم يستجب لطلبي للكتابة في الصحافة، وقد كان هذا الأمر ثقيلاً على نفسي، فقد تعودت على الكتابة الأسبوعية، منذ عام 1982 أي وأنا أعمل في الجامعة، وفي يوم كتابة المقال الأسبوعي، أثناء عملي الدبلوماسي، كنتُ أتوجه إلى السفارة ليلاً، وأجلس إلى مكتبي، وأكتب تعليقاً على حدث ذلك اليوم، وبعد أن أفرغ هذه الشحنات على الورق، كنت أمزّق المقال، وأطفئ الأنوار، وأعود إلى بيتي، هادئاً مرتاحاً.

أداء "الدستور"

أنا راض إلى حد كبير عن أداء "الدستور" في هذه الفترة، فقد إستطاعت أن تحقق مؤشرات إيجابية للغاية منذ عودتي، فالأرباح تضاعفت، والتوزيع والإعلان حققا زيادة ملموسة، كما أن سعر سهم "الدستور" قد شهد ارتفاعاً غير مسبوق، أنا لا أعزي هذه الأمور لي شخصياً، وهناك فريق مميّز يعمل معي من زملائي، والنجاح ينسب لهم جميعاً، وبدونهم لا أستطيع أن أفعل شيئاً، فنحن فريق واحد يستند إلى إرث عظيم هو إرث "الدستور" وسمعتها الكبيرة بين الناس، فلهذه الصحفية العريقة إسم كبير في العالم العربي كله، وكلّ ما هو مطلوب أن يستثمر هذا الإسم، وأن يلتزم الإنسان بتقاليد هذه المؤسسة، التي تقوم على الوسطية، فهي صحيفة للناس، ولكنها غير معادية للحكومات، وهي تحاول أن تبحث دائماً عن الخبر الصادق، وعن المعلومة التي تفيد الناس.

أما عن الخطط المستقبلية، فأنا آمل أن يكون مع "الدستور" ملحق متخصص كل يوم، وقد أصدرنا حتى الآن منذ عودتي ملحقين أسبوعيين، واحد للمرأة وآخر للشباب، وقد حقّقا نجاحاً كبيراً، كما أني معني بتطوير الموقع الإلكتروني، وآمل أن يتم ذلك قريباً، لأن الصحافة الإلكترونية هي صحافة المستقبل، ويجب على الصحافة المطبوعة أن تعمل على أن تكون مواقعها الإلكترونية متطورة للغاية.

الصحافة ضرّة زوجتي

ما قالته زوجتي صحيح مائة بالمائة، فالصحافة ضُرّتها، إذ أنني أقضي معظم أوقات النهار والليل في "الدستور"، أتابع كل التفاصيل، وأقف على كل المواضيع التي تنشر، ولا أغادر الصحيفة قبل أن أقرأ كلّ صفحاتها من الألف إلى الياء، وكثيراً ما أبقى في مكتبي حتى الثانية عشر ليلاً، ولا تنقطع المكالمات بيني وبين الصحيفة حتى الواحدة صباحاً، في بعض الأحيان، والغريب أنني أجد سعادة في ذلك، فهل أنا مدمن على العمل؟ ربما، ولكنه إدمان جميل.

عائلتي تتكون من: زوجتي منال، وهي امرأة عاملة أيضاً، فقد شغلت عدة مواقع في مؤسسات المجتمع المدني، ولدي ثلاث بنات: شدى وفرح وجود، وقد أنهت شدى دراسة الماجستير في جامعة كورنيل الأميركية، وهي تعمل الآن في منظمة الصحة العالمية، وفرح تدرس في جامعة جورج تاون، أما جود فهي في مدرسة البكالوريا، وستنهي الدراسة الثانوية العام القادم، أما طارق وهاشم فهما توأم عمرهما الآن ثمان سنوات، وقد رزقنا بهما بعد ثلاث بنات، وأجد الإشارة إلى أنني أصدرت مجموعتين قصصيتين للأطفال، بعنوان: (مغامرات طارق) قبل أن يولد طارق وهاشم، ولكن بعد أن ولدا توقفت عن الكتابة للأطفال، وإذا عدت للكتابة القصصية للأطفال، فسيكون عنوان المجموعة الجديدة (مغامرات هاشم) من قبيل العدالة والمساواة.

حتى الآن، إبنتي فرح هي التي تُبدي بعض الإهتمام بالإعلام والصحافة، وأنا لن أقف أمام أي من أبنائي، إذا ما اراد أن يمتهن الصحافة، فبالنسبة لي الصحافة عالم جميل، وسيكون من غير المنطق أن أحرم أولادي منها.

شارع محمد علي العجلوني

"مول" في كل شارع

كان هناك السردي والكلحة، مطعمان عمّانيان يقدّمان الفول والحمّص والفلافل، وتطوّرت الأمور مع العمران الذي إمتد أكثر فأكثر إلى الجبال إلى مطاعم صغيرة صارت تكبر، ومنها أبو محجوب في اللويبدة الذي أصبح علامة تجارية لا يشقّ لها غبار. بين هذا وذلك إنتشرت في عمّان العربات التي تحمل قدراً مملوءاً بالزيت الحامي، ورائحة الفلافل الشهية تملأ الأجواء، لكنّها لم تستطع أن مطاعم الفلافل التي إنتشرت في كلّ زاوية من شوارع عمّان، وكلّها كانت تقلّد أبا محجوب، وتقلد نفسها أيضاً.

العمّانيون يحافظون على عاداتهم في تقليد بعضهم البعض الآخر، فلو فتح فلان دكاناً لبيع الخضروات، لوجد فوراً من يقلّده، وكذلك الأمر بالنسبة لكلّ أنواع المحلات، حتى وصل الأمر إلى ما يسمّى بـ"المولات"، المراكز التجارية الكبيرة، التي بدأت مع السيفواي، ولا نعرف أين ستنتهي؟!

بقلم: ريما أبو الهدى

يخوض السوق التجاري في العاصمة وعدد من مراكز المحافظات جدلاً واسعاً مع تزايد الانتشار السريع لمراكز التسوق العملاقة وما يعرف بـ "المولات" وسط تباين في المواقف حيال مصلحة الاقتصاد والحاجة لتنسيق السوق. فيما يرى صغار التجار ان المراكز باتت موئلاً لحيتان السوق تبتلع اسماكه.

وعملياً انتشرت وتوسعت المراكز التجارية متخطية العاصمة للمحافظات الاخرى وتعددت اصناف معروضاتها وانشطتها، فيما تثار الشكوك حول منافستها لمحال تجارية تقليدية لا زالت تحتفظ باسمائها التجارية بعيداً عن ماركات بضائعها.

واذا كان الاعتقاد السائد يفيد بان المولات تعزز مظاهر العولمة التي اثارت معها انماط التجارة الصغيرة او المتفرقة او المبعثرة حتى وصلت الى ابتلاعها فثمة مناصرين للمولات لانشاء المراكز التسويقية العملاقة ابرزها اختصار الوقت على المستهلكين في عمليات التنقل.

وسرقت المراكز ذاتها البريق من الاسواق القديمة والمحال التجارية وخلال السنوات الماضية هجر العديد من التجار محلاتهم للضواحي والجبال.

ويشكو محال قاع العاصمة من ازمة المرور وسط قرارات تحظر توقف سيارات المتسوقين، لكن خطط البلدية فشلت حتى الان من اخلاء اي من الشوارع من السيارات لجهة تحديدها لغايات مرورية.

ووفق عضو مجلس ادارة غرفة تجارة عمان رياض الصيفي فان كل مركز للتسوق بمقدوره الغاء اكثر من 300 محل تجاري صغير لكنه يجد في تلك المراكز ما يزيد الكلفة ويضاعف حجم الاستهلاك جراء حالة الابهار التي تعتمدها للزبائن.

وقال ان الانماط الجديدة التي تقدمها وتعرضها المولات تجذب الشباب للكماليات وتؤثر سلباً على النمط الاستهلاكي في الاردن.

ووفق استاذ التسويق في الجامعة الاردنية هاني الضمور فان معادلات السوق واستحقاقات مواكبة العولمة باتت تفرض ايقاعها وعلى التجار والاسواق تطوير برامجها بما يناسب الجمهور.

رئيس الوزراء يفتتح "مول" الاستقلال في عمان

واذا كانت جمعية حماية المستهلك تحجم عن انتقادات للمراكز التجارية الكبيرة فانها تجد فيها وسيلة تخفيف اسعار السلع في ظل المنافسة، الى جانب امكانية تشغيل ايدي عاملة .

ويرى نقيب تجار المواد الغذائية طارق خوري ان المولات ظاهرة حضارية وتتيح مجالات واسعة للمستهلك للاختيار والمقارنة مع توفير الراحة الى جانب مقدرتها على التفاعل مع السوق والمنافسة، مشككاً في الوقت ذاته من قدرتها على الاحتكار او ضبط ايقاع الاسعار او زيادة نسبة الاستهلاك حيث الرواد يحددون مشترياتهم سلفاً ويبحثون عن اسعار مناسبة.

وخلال السنوات الخمس الماضية انشيء اكثر من 20 مركزاً تجارياً عملاقاً في البلاد جلها في العاصمة، لكن اكثر من مركز وفي اطار المنافسة عمد الى فتح فروع له في مختلف الضواحي وفي المحافظات.

وفي محاولة لافتة عمدت الى استقطاب البنوك والمقاهي وملاهي الاطفال ودور السينما ومحال غسل وكي الملابس لاستغلال تجمع الزبائن.

المولات وفق التسمية الشائعة للمراكز التجارية الكبيرة باتت نمط تسويقي جديد ومؤخراً استقطبت العديد من الوكالات العالمية بماركاتها الشهيرة.

وبحسب الاقتصادي منير حمارنة فان الحملات الكبيرة اقدر على المنافسة حيث هامشها لتخفيض الاسعار اكبر وكلفة التشغيل اقل جراء ربطها بسلسلة كبيرة من السلع.

كما ان شكل الخدمة ساعد في ايجاد هذا النوع من التجارة الضخمة خصوصاً انها تقوم من وقت لاخر بعروض وتنزيلات لجذب المستهلكين.

ويؤكد حمارنة ان نمو تلك المحال سيؤدي الى خروج عدد كبير من التجار الصغار بسبب تراكم خسائرهم، لكن نظيره الخبير الاقتصادي ابراهيم سيف يرى بان الوكالات العالمية تستهدف شريحة معينة من المستهلكين هم ذوي الدخول المرتفعة، فيما يقلل من تأثيراتها على الاقتصاد المحلي.

قلق تجار قاع العاصمة الذي يحتفظ بالعديد من الاسواق التقليدية والشعبية يتزايد مع بدء العد التنازلي لتطبيق قانون المالكين والمستأجرين الجديد، وبموجبه يجيز للمالكين ابرام عقود جديدة للمستأجرين بما يعني ضمناً هجر العديد من التجار لمحالهم والاتجاه صعوداً الى الضواحي الاقل كلفة.

ربى البطاينة، رائدة في عالم الإعلان

أتمنى لو يُصبح اليوم 48 ساعة

كبيرة هي الآمال التي تعمل لتحقيقها. وكبير جداً ذاك الجهد الذي تبذله من أجل الوصول إلى الغايات. ولكن الوقت قصير. هاتفها لا يهدأ، وجوّالها لا يُغلق 7/24، ومكتبها لا يفرغ. ولسانها يصول ويجول بثقة بين إجابة على إستفسار من زميل، أو من عميل من العملاء، وبين حل لقضيّة عابرة، حتى تمنّت أن يُصبح اليوم 48 ساعة بدلاً من 24.

السيدة ربى البطاينة من النساء الأردنيات اللواتي، يُشار إليها بالبنان. ثابرت منذ البداية، انهت دراستها الثانوية وتغرّبت، وتلّقت الدرجات العليا من التعليم في مجالات متعدّدة، ولكنّها تصب جميعها في وعاء الخدمة العامة، وأساليب التعامل مع الفئات المختلفة. تنقلت في عدة وظائف قيادية، لعلّ أهمّها تلك المواقع الريادية في مهرجان جرش، حيث شغلت ولعدة سنوات منصب مسؤولة العلاقات العامة، ثم مساعدة المدير العام للمهرجان، في الوقت الذي لم تكن قد وصلت إلى الخامسة والعشرين من عمرها.

ومع ذلك، كانت وما زالت طموحاتها بلا حدود. فقرّرت، وفي عمر مبكر، خوض سوق العمل الحر في مجال درسته، وتعاملت معه حتى أصبح هوسها رغم محدودية إمكانياته في الأردن في ذلك الوقت. إنه سوق الإعلان الذي كان ولا يزال يخطو بخطوات متزنة أحياناً، ومترنّحة أحياناً أخرى.

اللوبيدة التقت مع ربى البطاينة في مكتبها، فكان هذا الحديث الذي لا ينقصه التفاؤل لتغيير الحال إلى الأفضل في مجال سوق الإعلان وفي كافة المجالات:

ـ ما هو مصدر تفاؤلك؟

* ثقتي دائما كبيرة في الإنسان الأردني في كافة مواقعه، وقد ترسخت هذه الثقة في داخلي منذ صغري، وما كنا نراه ونتعلمه من رحمة والدي طارق البطاينة، الذي ما انقطع أبداً طوال حياته عن ترسيخ كافة الأفكار والمباديء الإيجابية المتعلقة بمواطنتنا. ووالدتي التي كانت وما زالت تشجّعني وتشحنني بالروح الإيجابية. وأعتقد أن الإنسان الأردني قد أثبت، بالقول والفعل، إستحقاقه لهذه الثقة حتى أصبح اسم الأردن مطروحاً وبقوة في المحافل المحلية والإقليمية وحتى العالمية. إن الإنجاز العالمي الكبير الذي حققه الإنسان الأردني مؤخراً في جعل البتراء إحدى عجائب الدنيا السبع برهان واضح للجميع على كفاءة الأردني في كافة المجالات.

- رغم كثرة السلبيات التي تغطي مجال عملك في الدعاية والإعلان، فهل هذا التفاؤل ينطبق أيضا على هذا المجال؟

* تعلمون أني دخلت هذا المجا ل منذ ما يزيد عن 16 عاماً، وفي الوقت الذي كان العمل فيه يعدّ من المخاطر. كان سوق الإعلان في الأردن في أوائل التسعينات سوقا يميل الى العشوائية أكثر مما يميل الى التنظيم، والأساليب المتطورة، أو الى الدراسة والفهم الجيد لهذا السوق. الآن لا يزال هذا السوق يترنّح بين متوازن وغير متوازن بسبب سلبياته التي ما زالت تعيش فيه، إلا أن الوضع مختلف. فرغم إستمرار بعض السلبيات، إلا أن الإيجابيات الآن أكثر، وتفاؤلي يزيد يوماً بعد يوم أن هذا المجال سيصل الى مستويات عالية جدا تضاهي المستويات العالمية. وليس لدي أدنى شك في ذلك. يعود هذا التفاؤل إلى العديد من العوامل التي نتعايش معها يومياً ومنها مستويات الإزدهار التي يتمتع بها الإقتصاد الأردني، وإنفتاحه على الأسواق العالمية مما شجع الإستثمارات الخارجية من كافة المجالات للقدوم الى الأردن. هذا التواصل مع العالم الخارجي كان له أثره الإيجابي في تتطور صناعة الإعلان. تأمين التعليم وإنتشاره بين كافة فئات الشعب الأردني خلق شرائح جديدة، وكفاءات تحمل مفاهيم جديدة مبنية على أسس علمية، ساهمت هي الأخرى في تطوير صناعة الإعلان. توسع الأسواق نتيجة الطلب المتزايد على ما تقدمه من منتجات أو خدمات زاد أيضاً من الطلب على الخدمات الإعلانية المدروسة، والتي تؤدي دوراً إيجابياً في تطوير المجالات الأخرى من ناحية، وفي تقديم الخدمة التي يحتاجها المستهلك بالشكل المناسب، وذلك من خلال تطوير أساليب الإعلان محلياً، واستيراد أفكار جديدة من الأسواق العالمية تتناسب مع عاداتنا وقيمنا وأخلاقنا وحضارتنا. باختصار وللإجابة على سؤالك فإن تفاؤلي ينطبق أيضا على مجال صناعة الإعلان في الأردن وبأن هذه الصناعة ستصل وفي وقت قياسي إلى المستويات العالمية.

- في سياق حديثك ذكرت أن هناك سلبيات كانت ولا زالت موجودة في صناعة الإعلان في الأردن. ما هي أهم هذه السلبيات التي تحتاج إلى العمل الدؤوب للتخلص منها؟

* تحدثنا عن بعض وليس كل الإيجابيات في مجال عملنا. لأن الحديث عن كل الإيجابيات له فروع وتفاصيل لن يسمح المجال في هذا اللقاء للحديث عنها. هذا الكلام ينطبق أيضاً على السلبيات وإن كانت السلبيات، كما ذكرنا سابقا، أقل بكثير مما كانت عليه في السابق. منها قيام الكثير من الوسائل الإعلانية بأعمال تعتبر منافسة لأعمال شركات الدعاية والإعلان، في الوقت الذي نعتبر فيه أنفسنا فريقاً واحد مع هذه الوسائل. ومنها أيضاً بعض العملاء المصرّين على إتباع الأساليب القديمة والبالية في التعامل مما يعيق حركة التطور والإرتقاء بالمهنة.

أما من المعوّقات التي تواجهنا أحياناً فهي عدم توفّر أو ندرة الكوادر المؤهلة للعمل في بعض قطاعات صناعة الإعلان.

- للحديث عن سوق الإعلان الكثير من التشعبات لن يتّسع المجال لها جميعها ولكننا، وبحكم أنك إمرأة في موقع قيادي في هذا المجال، فماذا تقولين عن عمل المرأة في صناعة الإعلان في الأردن.

* يؤسفني القول أن عدد النساء القياديات في هذا المجال في الأردن قليل جداً لا يتعدى عدد أصابع اليد الواحدة. أما عدد النساء العاملات فيه فهو كبير جداً، وأستطيع التأكيد على أن الكثير من شركات الدعاية والإعلان، ليس فقط في الأردن وانما عالميا، تميل الى تشغيل المرأة لأنها أثبتت كفاءة عالية في إدارة عملها، وفي تحقيق انجازات كبيرة. والمرأة الأردنية لا تقل في كفاءتها عن أي إمرأة في أي مكان وهي قادرة على العمل في كافة المجالات وقد أثبتت ذلك بالفعل.

- سؤالنا الأخير عن سمات وحجم سوق الإعلان الحالي والتوقعات المستقبلية لهذا السوق.

* إجابتي على هذا السؤال ستكون مبنية على أرقام وإحصائيات مثبتة، وليس فقط على الآمال والتقديرات. تقول الأرقام أن حجم سوق الإعلان في الأردن في الربع الأول من هذا العام بلغت 34 مليون دينار أردني بزيادة بلغت 17% عن نفس الفترة من العام الماضي. توقعاتنا أن تستمر هذه الزيادة بنسبة تتراوح بين 17-20% في السنوات الخمس القادمة، ولا بد من أن نذكر هنا أن تطور سوق الإعلان في الأردن مرتبط بشكل مباشر بتطور القطاعات الأخرى وبالأوضاع الاقتصادية والسياسية بشكل عام كما هو الحال عالميا.

أما عن سمات سوق الإعلان الحالية في الأردن، فقد شهد عام 2007 تغيرا غير مسبوق، إذ جاء قطاع البنوك والقطاعات المصرفية في المقام الأول بين المعلنين متخطيّة بذلك قطاع الاتصالات الذي تربع على رأس القائمة لعدة سنوات مضت. الحديث عن السمات متغير وغير ثابت، وذلك مع تغير الظروف في السوق، وحسب المعطيات المتوفرة. فمثلا نجد أن قطاع الاستثمار العقاري قد قفز قفزة نوعية في حجمه وأسلوبه في السنوات القليلة الماضية، ولا ندري أي قطاع في المستقبل القريب سيكون محور الحديث.

بستان طاش/ المنتزه

أرقام تثمّن بملايين أضعافها

كانت سيارة الكرايسلر تتهادى في شوارع اللويبدة في بدايات الستينيات. وهي تحمل صاحبها نعيم عرفان. ولا تختال بكونها من أجمل سيارات عمّان فحسب. ولكن لأنّها تحمل الرقم واحد. لتؤكد تميّزها عن غيرها. مهما كان نوعها. أو شكلها. عرفان كان اشترى الرقم من ورثة رئيس الوزراء الراحل توفيق أبو الهدى. ولكنّه لم يستطع الحفاظ عليه فقد كان صديقه الشاب نعمان عصفور ينتظر أية فرصة ليشتري السيارة والرقم. وهكذا كان. فعرض الأول على الثاني الرقم. دون السيارة. ولم يوفّر صاحبنا فُرصة. والرقم معه منذ تلك اللحظة.

متنقلاً بين سيارات الفولفو التي مرّت عليه. فالفولفو سيارة سويدية. ولكنّها في الأردن ترتبط بآل عصفور.

كان ذلك في العام 1964. أمّا الآن وقد صار الشاب نعمان حاجاً. فهو يرفض أن يقول لنا عن سعر شرائه الرقم. ويرفض أيضاً أن يتحدث عن العروض التي وصلته إذا فكّر بالبيع. مع أنّ خبراء تعاملوا مع بيع وشراء أرقام أقلّ حظاً بالضرورة من الرقم واحد يقولون إنّ هناك من هو مستعد للشراء برقم تصل أصفاره إلى الستة. إلى جانب الرقم واحد الذي هو رقم السيارة.

هذا الإمتياز سيفقد شيئاً من بريقه. مع نظام لوحات السيارات الجديد. وسوف يوضع الرقم 10 قبل الواحد. ولكن في نهاية الأمر. سيعود الامتياز إلى حاله حين تتكرّس الأرقام الجديدة. وسيظل الناس يعرفون أنّ هذه هي السيارة التي تحمل رقم واحد في الأردن.

وتحمل الأرقام في الأردن نكهة تميّزها عن باقي الدول. ويعشق الأردنيون مسألة التميّز بالأرقام. في السيارات والهواتف الأرضية والنقالة وصناديق البريد وغيرها. ويملك الأستاذ فؤاد البخاري صاحب المكتبة في منطقة الدوار الرابع نسخة من أوّل دليل للهاتف في الأردن. ويعيدك الدليل بورقه الاصفر العتيق إلى 61 عاما مضت من تاريخ الوطن. تجدها بين ثنايا صفحاته التي يفوح منها عبق الماضي العريق. فتنثر تلك الارقام القديمة للهواتف الرسمية والمنازل والمحلات التجارية بين يديك بعضاً من الارث التاريخي للوطن.

ففي الصفحة الثامنة من الدليل الصادر عام 1946 التي يزين أعلاها رسم للتاج الملكي تقرأ عبارة "القصور الملكية العامرة :" من يود التشرف بمحادثة حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم عليه ان يطلب احد ارقام مقسم المقر الملكي العالي وهي "1 , 2, 143, 306, 314".

ويحتوي الدليل الذي يقع في 78 صفحة من القطع المتوسط على 1053 رقما هاتفيا من بينها "24 رقما" لديوان جلالة الملك والقصور الملكية العامرة و"118 رقما" للدوائر الرسمية. ومناطق المملكة آنذاك.

واشتمل الدليل على معلومات حول اجور المكالمات التي حددت تسعيرة المكالمة مع فلسطين بـ 200 مليم. القاهرة 440 مليما. والاسكندرية 480 مليما.

واشارت المعلومات الارشادية للدليل الذي اعتمد اسم الشخص اولا وليس العائلة الى مضاعفة اجور المكالمات المستعجلة علما ان اوقات العمل على المقسم كانت ليلا ونهارا في عمان واربد. اما باقي المناطق فكانت اوقات دوام مقاسمها بين الساعة الثامنة صباحا والثانية من بعد الظهر. ومن الرابعة من بعد الظهر وحتى السادسة مساء.

وأوضح الدليل رسوم تأسيس الهواتف وكيفية دفعها حيث كانت تدفع على اربعة اقساط سنوية في اشهر نيسان وتموز وتشرين الاول وكانون الثاني وتبلغ "6 جنيهات فلسطينية" للخط

الاصلي وثلاثة جنيهات للخط الثاني و750 مليما عن كل خط بعد ذلك.

ويتبين لمتصفح دليل هاتف المملكة عند استقلالها ان ارقام هواتف عمان كانت تتكون من خانة وخانتين وثلاث خانات رقمية.. اما باقي المحافظات فكانت تتكون من خانة او خانتين رقميتين فقط.

واشار الدليل الى ان الرقم واحد في عمان يعود لهاتف القصور الملكية العامرة كما ان الرقم واحد في اربد يعود لعبد المهدي ومحمد الموسى وفي صويلح لمحافظ الخطوط وفي الرمثا لمراقب السير ومأمور الجوازات وفي جسر المجامع لمزرعة العدسية وفي السلط لسامي نصراوين وفي المفرق لمدير البريد وفي مادبا لمخفر ذيبان.

وفي الكرك يعود الرقم واحد الى مركز الفرسان وفي القطرانة لمخفر القطرانة وفي معان لمنزل مذكور الكباريتي وفي العقبة لمدير الناحية.

وبين الدليل ان طالب الاشتراك الذي يزيد طول خط هاتفه على كيلو متر واحد مساحة هوائية او خارج منطقة مكتب البريد يتحمل تكلفة التأسيس كاملة.

وتضمن الدليل " 23 اعلانا تجاريا " تدلك على انواع التجارة الرائجة في ذلك الوقت مثل محلات شفيق الحايك لبيع الاقمشة والنفوتيه بفرعيه في عمان ومصر ومحلات اديب ابو قورة للمطرزات وادوات التجميل ومطعم اكسبرس حداد للمأكولات الافرنجية والعربية مع خدمة الطلبات الداخلية والخارجية ومعكرونة بدير وعزيزية للعائلات ومحلات باتا للاحذية ومحلات شهرزاد لصنع الروائح وادوات التجميل في عمان ويافا ومحلات جميل الصالح حتر للبقالة والمخازن الشرقية لحكمت شريم للوازم السيارات ومواد البناء اضافة الى اعلان لوكلاء الروائح ومستحضرات التجميل لسكر وعنداري ومحلات سليمان الخليل وخليل الموسى لبيع الزيت الحلو الممتاز في عجلون والشركة العربية للمقاولات والتجارة.

وامتازت الاعلانات بالبساطة حيث تقرأ في اعلان شركة التكسي ونقليات الاندلس لرجب الخشمان "الاسعار تلائم جميع الطبقات وكلفة الراكب الواحد للقدس 550 مليما و1000 مليم ذهابا وايابا بنفس اليوم .. تكسيات في كل لحظة تحت امرك وطلبك .. " وحمل اعلان مكتبة الشباب شعار "رفع مستوى الثقافة والقناعة في الربح" الوكلاء لمكاتب ومطابع المصرية في الاردن.

PEPSI
DARE FOR MORE

المتحف الوطني

اللويبدة .. أسوار الياسمين

بقلم يوسف الحوراني، صورة خلفية: رانيا الجعبري

كانت " مدينة " الزرقاء، في أواخر الأربعينيات، مجرد قرية صحراوية لا يرتادها سوى العسكر، أو أولئك الذين كان السكن في عمّان صعباً على عائلة كبيرة، ومعاش أب لا تتجاوز دنانيره أصابع اليد الواحدة، كان " بيتنا " المأجور عبارة عن جدران مجبولة من الطين، وبقايا قش (التبن)، وسقفه من " القصيب " يحملها جسر خشبي، كانت مرتعا لجحافل " البق "، وبقينا كذلك إلى أن شاءت الأيام أن يتحول الوالد من عسكري في "قوة الحدود"، إلى صانع للألبان ومشتقاتها في عمّان.

الرحيل

كان هذا يعني الرحيل إلى هناك، مستقرنا الأول كان في بيت من غرفة واحدة وحمام على بعد منها في "حوش " لا يلوي الا على شجرة توت " جبل الجوفة "، يتربع على قمة تلة مشرفة على واد يسترخي في حضنه " بستان " كرمة وينساب إلى جانبه طريقا يفضي إلى قلب العاصمة التي يحدد معالمها المدرج الروماني وشارع " الهاشمي " الذي ينتهي غربا بجسر المهاجرين وشمالا باتجاه شارع السلط وشرقا يقودك إلى المحطة ثم ماركا فالرصيفة ثم مدينة الزرقاء ، وإذا طالت بك الطريق تأخذك إلى الرمثا ثم دمشق.

في خطوة وصفت بأنها " في الطريق إلى الرقي الطبقي " انتقلنا إلى قلب العاصمة في شارع الهاشمي بغرفتين وساحة مفتوحة على السماء قبالة أضخم فندق، حينذاك، في عمّان.

كان فندق " فيلادلفيا " يقع عند نهاية المدرج الروماني ، وكان ذو مهابة وفخامة لا يضاهيه أي مبنى في الأردن ، كان نزلاءه الأجانب والأثرياء العرب، وإذا ما أرخى الليل سدوله حتى تنبعث الألوان من الأضواء فوق سوره المطل على شارع الهاشمي، في حديقته، الغنية بالأشجار والورود، مطعم كأنه " هنجر " سقفه متحرك ينفتح على الهواء، يحتوي على صالة للرقص، كانت كل سهراتنا عند نهاية " الدرج " أقصد درج البيت ، الذي لا يشاركنا فيه أحد ، نستمتع بالرقص الشرقي وأصوات المطربين القادمين من دمشق والقاهرة ، وأحيانا ، دون شغف ، نستمع إلى أنغام الفرق الموسيقية الغربية (والحقيقة كان لهذا الفندق الفضل في تشذيب أسماعنا وتثقيف الأذن على موسيقى وأنغام كانت غير مألوفة لدينا فنحن جيل عبد الوهاب وحليم وأم كلثوم وكارم محمود وفايزه أحمد ..) لم تكن الموسيقى والأغنية الغربية في ذلك الوقت تشدنا أو تطربنا.

أوّل بيت حجر في الشابسوغ

كبرت العائلة وتفرعت وأصبح كبير الأخوة على أعتاب الزواج، وسوف يستقر معنا ويضاف إلى العائلة فرد آخر .. بلا طول سيرة ، رحلنا إلى بيت يتسع لهذا العدد الغفير (كان تعداد سكان البيت حتى قبل الرحيل ثلاثة عشر نفرا بما فيهم سيدة البيت ورب الأسرة) يقال أنه أول بناء حجر في عمّان، في شارع الشابسوغ ..

كبرنا .. تزوجت الأخوات وبعض الأخوة وأخذت العائلة في الانتشار والتفرع وأصبح هناك بيوت جديدة وأحفاد .. كان موعدي مع نصف الدين فاخترت شريكتي واختارتني ، وأخذنا نبحث عن " عش " يأوينا .. كان هدفنا بلا تردد " جبل اللويبدة".

و رغم أننا في أول الطريق حيث كان قاطني هذا الجبل من البرجوازية الأردنية ، ولكن كحال معظم الأحياء الراقية ثمة متسع للفقراء في أحدى زواياه، فوجدنا تلك الزاوية القابعة خلف دور متراصة في " نزلة " مستشفى لوزميلا القريب من " دوار الحاووز " .

نحن والجبل

عشرون عاما .. عشنا أنا وزوجتي ومن بعد "سيف"، أبني " البكر " ثم لاحقا "عمرو "، كنا و" الجبل " في علاقة حميمة، عشرون عاما سكناه وسكن فينا .. كان " حاووزه " مكان يجمع العشاق والخلان لهدوءه وغياب الفضوليين وكتمه للأسرار .. متنزه تفترشه البساطة والجمال لمن يبحث عن السكينة في الليالي المقمرة تخرج من بين حشاتشه ورود برية وفي فيء أشجاره، التي تشهد وتعرف أول ساكينه وأخرهم، تنام وتصحو العصافير .. " اللويبدة " الذي يسترخي على أسوار بيوته الياسمين ، هو أصغر التلال السبع التي تحمل عمّان ، و الأكثر هدوءا، كان منذ بداية السبعينيات من القرن الماضي غير شاغر .. يحظى بعشق ما للناس ويترك لديهم حيرة لتكوينه وتشعب طرقاته كأنها أغصان شجرة بلوط ، و ليس غريبا هذا الازدحام المقصود بالمؤسسات التعليمية والثقافية والرياضية، بدءا من مدرسة التراسنطة القديمة وعالية وضرار بن الأزور وبلال بن رباح والباعونية وأبن طفيل وكلية الشريعة ومعهد الواصيفية وحتى محترف الرمال حديثا، مرورا برابطة الفنانين التشكيليين ورابطة الكتاب الأردنيين ونقابة الفنانين الأردنيين ودارة الفنون ومسرح عمون ومسرح اسامة المشيني والمركز الثقافي الفرنسي ، وكانت مؤسسة نهر الأردن، والإنشاء والتعمير ومديريات للتربية والتعليم والأراضي والمساحة والتنمية والتشغيل ومؤسسات أمنية عديدة والسفارة الإيطالية ومركز الأميرة هيا الثقافي ومركز اللغات ونادي الأردن الرياضي الثقافي والنادي الأولمبي الرياضي وجمعية أصدقاء الشرطة وعشرات العيادات الطبية ومستشفى لوزميلا وجناح فراس وفندق سيلكت وفندق هالتون وفندق كناري ومطعم وملهى سيزار ومطعم الأمانة ومكتب تكسي المهد ومكتب تكسي النهضة، طبعا، بالاضافة إلى عشرات الكتاب والمثقفين والفنانين الذين سكنوا هذا الجبل، وربما إلى فترة ليست بعيدة لم يكن " اللويبدة " يتميز أنه غير مزدحم بالمحلات التجارية أو التجمعات التجارية فغالبا كان هناك عدد محدود من محلات البقالة والجزارين وربما كوّى أو أثنين ومكتبة، وكانت قليلة فيه حركة المركبات فأطلق عليه " الجبل الهادي " فهو بعيد عن ضوضاء المدينة، وصخبها فلجأ إليه الفنانين والأدباء والموسيقيين والكتّاب.

اللويبدة، كما البحر

الدخول إليه أو الخروج منه كما البحر تستطيع أن تأتيه من كل الشواطىء ، فهو متعدد المداخل وفي كل الاتجاهات..

لم يكن ، بالنسبة لي، الخروج منه أمرا سهلا، فنحن أيضا زاد حملنا وأصبح البحث عن المساحات أمرا اضطراريا، فلا القوانين ولا الإمكانيات تسمح بالاحتفاظ بالمنزل والمكان وترحل إلى مكان .. لقد كان صعبا أن تبرح اللويبدة وأن تنتزع منه بعد أن أصبح جزء من عالمك وفصلا في حياتك وسلوكك وحتى ثقافتك ولا زلنا ، والأصدقاء، نذكر هذا الجبل الثقافي الذي يبثك الحنين كلما دخلت إليه، ودعناه ودمعة حرى تستقر هناك عند شاطىء العين، فلا زال يعيش في ذاكرتنا كما الوطن.

الرعيل الأول

في بداية الستينات، من القرن الماضي، دخل رجل إلى إحدى وكالات السيارات في شارع المحطة في عمان، وطلب مقابلة صاحب الوكالة، وكان له ذلك. أخذ يخاطبه معرفاً على نفسه، قائلاً: أنا فلان، ولقد تقاعدت للتوّ من الخدمة بالجيش العربي، ولديّ عائلة مكونة من تسعة أفراد، وكما تعلم فراتب التقاعد لا يكفي لمصاريف عائلة بهذا الحجم، ولقد قصدتك كي أشتري سيارة من عندك بالتقسيط المريح، وبدون دفعة أولى، أو كفلاء، غرضي من شراء السيارة هو العمل على ترخيصها لتعمل كسيارة نقل بالأجرة، وان شاء الله سأقوم بتسديد ثمن ا لسيارة من ناتج تشغيلها، وسأتمكن أيضاً من توفير دخل إضافي لعائلتي، وهذا كل ما عندي من كلام لك، فهل بأمكانك مساعدتي بطلبي هذا؟

نظر صاحب الوكالة لهذا الشخص بإعجاب على ما أبداه من جرأة وصراحة، وشعر بإنه صادق، وبعد أن تحقّق منه عن بعض المعلومات، من خلال عدة اسئلة، وجهها للرجل، أمر على الفور العاملين لديه بتجهيز سيارة، وتسليمها له في اليوم التالي، وبدون تحديد لقيمة الدفعة الشهرية، وقال للرجل: إدفع شهرياً ما يتوفر لديك من ناتج تشغيل السيارة، بعد أن تقوم بتوفير متطلبات عائلتك. وهذا ما حصل فعلاً، حيث بدأ الرجل يعمل، ويسدّد شهرياً ما تيسر. وفي نهاية أحد الشهور، ذهب للدفع كالمعتاد، فقابله صاحب الوكالة، واطمأن منه عن أحواله، وأحوال عائلته، و بعدها طلب منه أن يقوم بإيصاله إلى منزله، في جبل عمان ففعل، وعندما وصلوا للمنزل، أخرج صاحب الوكالة مبلغاً من المال، ليدفع له أجرة التوصيل، فرفض الرجل ذلك، وإنطلق يسعى لرزقه، وعندما ذهب في الشهر التالي ليدفع قسطا آخر، إكتشف أن صاحب الوكالة قام بخصم مبلغ 50 ديناراً من ثمن السيارة، جراء رفضه أخذ أجرة توصيله قبل شهر. وإستمر الرجل بدفع اقساط السيارة حتى أتم ثمنها بالكامل.

هذه قصة حقيقية، وليست من نسج الخيال، ولقد استمعت إليها منذ فترة وجيزة، من الرجل صاحب العلاقة، وورد بخاطري بعد الإنتهاء من سماعها كيف كان رجال الاقتصاد الرواد في هذا البلد، يتعاملون بمسؤولية عالية مع أبناء وطنهم، لمساعدتهم على تأمين متطلبات عيشهم، دون جشع غير مبرر، مثلما يحدث في هذه الأيام، حيث أصبح المواطن، ومن خلال تعامله مع محدثي النعمة من أصحاب رؤوس الأموال، من تجار وبنوك وأطباء ومستشفيات ومدارس خاصة و جامعات، يشعر بأنه صيد ثمين لهؤلاء الجشعين، الذين يتفنّنون ويبتدعون الأساليب "الشيطانية" لعصر المواطن، لآخر قطرة، دون مرعاة أي حسّ إنساني أو مسؤولية اجتماعية، ولا نريد ان نقول وطنية .

رحم الله شحادة الطوال، حيث كان المقصود بالقصة السابقة، كصاحب لأحدى وكالات السيارات، ورحم الله الرعيل الأول من رجال الاقتصاد الأردني، الذين كانوا يتّقون الله في تعاملاتهم.

سميح جبرين

شارع أحمد شوقي

ورد وحبّ ورؤوس مقطوعة

لو كان اليوم يوم الحبّ، لكان سعر الوردة دنانير، ولكنّ اليوم عاديّ، فتستطيع أن تشتري الضمّة بدينار واحد، تهديه إلى حبيبتك، إذا أردت أن تكون السنة كلّها سنة حبّ، أو على الأقل: إذا كان يومك العادي، وليس الرابع عشر من شباط فقط، هو يوم حبّك.

والجديد في شوارع عمّان أنّها صارت تشهد بائعي الورد عند الإشارات، والجديد أنّ أسعار الورد رخصت لأنّ زراعته في بلادنا صارت مألوفة، وصار في مقدور أيّ حبيب أن يقدّم الورد للحبيبة.

فكان المحبّون يتبادلون الهدايا والورود، فترتفع اسعار هذه كلها يوماً واحداً، لكن سعر الحب نفسه يبقى كما هو، كأي معدن نفيس، فوق متناول الاغلبية من الناس، نادراً، عصياً على السكنى في أي قلب، إلا إذا لبى شروطه القاسية...

وفي المعتقدات الاوروبية القديمة، فان الطيور بدأت تتزاوج في مثل هذا اليوم، وهذا سبب كاف، لكنه ليس السبب الوحيد، فقد اتخذ الرابع عشر من شباط اسم يوم الحب، لأنه في مثل هذا اليوم من العام 269م، ايضا، استشهد القديس فالنتاين في روما، وفي اليوم نفسه استشهد فالنتاين آخر، هو مطران تيرني، وقتل الاثنان على الطريقة الرومانية بقطع الرأس، فصار اليوم يسمى: يوم فالنتاين...

فالغدر والقتل هما بداية قصة الحب الذي نحتفل به اليوم، ولعل الرمز اكثر من واضح، فالمحبون الحقيقيون هم الثوار الحقيقيون، وهم المرفوضون المقتولون، المقطوعو الرؤوس، فيوحنا كان محباً للبشرية، والحسين بن علي كان يحب دينه الى درجة إعادته الى اصوله الحقيقية، وكذلك قيس ليلى الذي لم يقطع رأسه لكن الجنون مسه ثم سكنه، اما روميو وجولييت فقد مثّلا فعلاً معادلة الحب الحقيقية، حين ذهب الاثنان بالسم الى خلود العلاقة..

فقصص الحب، دوماً، لا تنتهي بشكل عادي، ولا بد أن تكون تراجيدية حتى تسجل بصمتها وتبقى، وفيلم "قصة حب" الذي جسد رواية اريك سيغال الشهيرة، ما زال نموذجاً للمسألة، فزواج ريان اونيل وآلي ماكغرو الذي اكمل قصة حبهما لم يستمر، لا لسبب منهما، ولكن لأن السرطان اللعين سرق الحبيبة من الحبيب، وفي مشهد حزين في المستشفى تقول له: هل تحبني؟ فيجيب: "لا" ويصمت، فتصمت هي ايضاً، لكنه يستدرك: "بل أعبدك!".

وروبرت ردفورد، الذي أحب ميا فارو الى درجة العبادة تركته من اجل المال، في فيلم "غاتسبي العظيم"، لكنه يعود مليونيراً بعد سنوات، لتعود الى حبه ناسية عشقها لزوجها، أما الملياردير روبرت ردفورد نفسه، في فيلم "عرض بذيء"، فيهب مليون دولار الى زوج مجهولة من اجل ليلة معها، ويحبها، فتترك زوجها لتظن ان حباً حقيقياً قد تشكل، لكنها تعود الى الزوج الحبيب، بعد أن يتخلى عن المليون دولار...

وليس ثمة أصعب من الكتابة عن الحب، ويتمنى كبار الكتّاب ان ينهوا حياتهم بكتابة قصة حب حقيقية، وهذا ما قاله لي أليكس هيلي مؤلف "الجذور"، وهذا ما يواصل اعلانه غابرييل غارثيا ماركيز، وقد خلد أراغون حبيبته إلسا بمجموعة قصائده "مجنون إلسا"، على ان جان بول سارتر منظر الوجودية كان حبيباً لسيمون دوبوفوار، لكن وجوده كحبيب معها صار عدماً حتى قبل وفاته، فصارت تحب سكرتيره الشخصي...

فأين هو الحب الذي سجل نفسه، في تاريخ البشرية، نمطاً مستمراً قابلاً للبقاء، وأين هي قصة الحب التي لم تشهد بتراً، فاستمرت، وسجلها التاريخ نموذجاً يحتذى؟ لن نجد واحدة مقنعة، لكن القول ان تاريخنا الانساني عبارة عن قصة كره طويلة لا يمكن أن يكون صحيحاً، ويبدو ان البشرية مغرمة بجلد ذاتها، باعتبارها مغرمة بالدماء والسم والجنون والقتل وقطع الرؤوس، ناسية ان هناك، بالضرورة قصص حب كتب لها النجاح..

وفي كل الاحوال، وحتى لو كان للحب يوم واحد فقط، من سنة كاملة، فإننا نغتنمه ونعلن حبنا مع وردة حمراء، اتخذتها البشرية رمزاً لرأس القديس فالنتاين المحب المقطوع...

هذا صباح للحبّ، وسوف يتبادل المحبّون الهدايا والورود، فترتفع أسعار هذه كلها يوماً واحداً، لكن سعر الحب نفسه سيبقى كما هو، كأي معدن نفيس، فوق متناول الغالبية من الناس، نادراً، عصياً

شارع أحمد شوقي

كمّ مرّة في العُمر يأتي العُمر

شعر : مازن شديد

كمّ مرّة في العُمر يأتي العُمر
كي تأتي إليّ لأفقدك
كم مرّة،
يا سيّد الأيام في نبضي
نهضتُ إليكَ من جمري
لألمس ضفّتك
كي أسألكْ:
من أيّ حُزنٍ أنتْ؟
من أيّ وهمٍ جئت
كيف إحتشدت عليّ من ليلِ الليالي
وتركت وردك في سلالي
وتركت رعدك تحت غيمك
ثمّ غبت...
يا آخر الأحلام في عمري
لماذا كلّما جئت إختفيت!

***

إنّي إفتقدتكَ،
أين أنت؟
أجراس خطوت هاجرت
مجدولة بالصمت
إنّي إفتقدتك
أين أنت
كلّ المدائن والموانئ والسواحل
غادرت أزمانها ومكانها
حتّي تعود
لأقول لك:
كم مرّة في العمر يأتي العمر
كي تأتي إليّ،
لأفقدك...؟!

قصّة قصيدة

كامل الشناوي

لا تكذبي

كان ذلك في أحد أعياد ميلاد حبيبته المطربة نجاة الصغيرة. وإشترى لها بما يزيد على المائة وخمسين جنيها من الجاتوه والتورتة. وذهب إلى شقتها وأثناء تقطيع التورتة وأمام الحضور أمسكت بيد كاتب القصة القصيرة ذي العينين الزرقاوين ليساعدها في تقطيع التورتة.. ولم يستطع كامل أن يكمل الليل. ارتسمت الأحزان على وجهه وحاول ألا يظهر ذلك فلم يستطع .. بكى قلبه بصوت مرتفع فخرج إلى الفضاء الرحب وذهب ليكمل السهرة مع أصدقائه عبد الرحمن الخميسي وسعيد أبو بكر وفاتن الشوباشي ويوسف الشريف. وبعد ساعة استأذن منهم وذهب إلى منزل المطربة التى أحضر لها التورتة.. طرق الباب.. فتحت الخادمة.. ولم يستأذن كعادته ودخل و«عيناك في عينيه.. في كفيه.. في شفتيه.. وبداك ضارعتان تتلهفان في شغف عليه».

وكتب إحسان عبد القدوس قصة الشاعر والمطربة في جريدة الأهرام تحت عنوان «وعاشت بين أصابعه» كتب: «أنها تحتل قلبى. وتتصرف فيه كما لو كان بيتها.. تكنسه. وتمسحه وتعيد ترتيب الأثاث.. وتقابل فيه كل الناس .شخص واحد تهرب من لقائه.. صاحب البيت».. والغريب أنها حين سمعت القصيدة منه طلبت أن تغنيها وكلما تذكر كامل الواقعة انتحب وكتب «كان من المفروض أن أكون معهم. أشاركهم الاحتفال بعيد ميلادها.. فهي صديقة وهم أصدقائى ولكنهم نسوا أن يدعوني إلى الاحتفال. وتداركوا نسيانهم فذكروني في سهرتهم.. وقدموا إليها هداياهم وكان سيرتي أبرز ما في الهدايا .. وضعوا أمامهم التورتة.. ومع التورتة مزقوها بالسكين ثم أكلوا .. أكلوا التورتة .. وأكلوا سيرتى!!».

الليل كان يأخذ الكثير من حياته وكذلك المقالب التى كان يفعلها.. فقد كان نجما من نجوم الليل وكان يحبه «أعشق الليل وأتمنى أن تصبح الحياة ليلا متصلا بلا نهار» فقد كان يخاف أن يأتيه الموت بالليل وهو وحيد.. وفي إحدى سهراته وكانت في شقته أقفل النوافذ وأسدل عليها الستائر .. ولاحظ الدهشة على وجوه أصدقائه وسألوه: لماذا والفجر على وشك أن يأتى الضياء؟. دعوني أستبق الليل.

لا تكذبي..
لا تكذبي ..
إني رايتكما معا !
ودعي البكاء فقد كرهت الأدمعا ..
ما أهون الدمع الجسور إذا جرى
من عين كاذبة
فأنكر وادَّعى !
إني رايتكما ..
إني سمعتكما ..
عيناك في عينيهِ
في شفتيهِ
في كفيهِ
في قدميهِ
ويداكِ ضارعتان
ترتعشان من لهفٍ عليهِ !

***

تتحديان الشوقَ بالقبلاتِ
تلذعني بسوطٍ من لهيبِ !
بالهمسِ، بالآهاتِ، بالنظراتِ
باللفتاتِ، بالصمتِ الرهيبِ !!
ويشبُ في قلبي حريقٌ
ويضيعُ من قدمي الطريقْ
وتطلُ من رأسي الظنونُ تلومني
وتشدُ أذني !!
.. فلطالما باركت كذبك كله
ولعنتُ ظني !!

***

ماذا أقول لأدمعٍ سفحتها أشواقي إليك ؟
ماذا اقول لأضلعٍ مزقتها خوفا عليكِ ؟
أأقول هانت؟
أأقول خانت؟
أأقولها ؟
لوقلتها أشفي غليلي !
يا ويلتي
لا . لن أقولَ أنا . فقولي ..

***

لا تخجلي
لا تفزعي مني
فلستُ بثائرٍ ..!
انقذتني
من زيفِ احلامي وغدرِ مشاعري...!

***

فرأيت أنكِ كنتِ لي قيداً حرصتُ العمرَ ألا أكسره
فكسرتهِ !
ورأيتُ أنكِ كنتِ لي ذنباً سألتُ اللهَ ألا يغفره
فغفرتهِ !

***

كوني كما تبغينَ
لكن لن تكوني ..!
فأنا صنعتك من هوايَ . ومن جنوني !
ولقد برئتُ من الهوى ومن الجنونِ ..!

البحث الجنائي

الجاعوني وقصص صحافية تقترب من الخيال

ما بين أروقة المحاكم، وجدران السجون، والمخافر، كانت خلود الجاعوني تحتلّ صدر الصفحات الأولى، وتشغل الرأي العام بالقضايا التي تتابعها لعدّة أيام ...

وفي يوم وصلت خلود الى مسرح جريمة مع وصول الشرطة حيث علق احدهم عليها، مداعباً: ما هذا ... أتدرين بوقوع الجريمة قبل حدوثها؟

"اللوبدة" تحوّل اليوم خلود من صحافية تستنطق الآخرين، إلى موضوع صحافيّ، وتنعش ذاكرتها بالأسئلة حول تجربتها الطويلة التي سيكتشف القارئ أنّها قد تصلح لفيلم سينمائي، لما تتضمنّه من مفارقات وغرائب والعيش في دائرة الخطر أيضاً.

تابع فيلماً إباحياً فنسي المتفجرات

وفي يوم، كشفت عن رجل كان ينتحل صفة رجل أمن، فيتّصل بالعائلات الغنية، ويطلب منهم مساعدات لأناس فقراء، أو لمواطنين تعرضوا لحوادث، ولكنها بفطنتها الصحفية، فقد كشفت الملعوب ووقع بقبضة الشرطة.

وعندما حدثت تفجيرات في سينما بالزرقاء، وبُترت قدم أحدهم.. فقد سارعت، والمصوّر، إلى المستشفى على أساس أنه الضحية، وسمح لها الإطباء بالتحدث معه، لكنّها فوجئت بأنه يصرخ بأعلى صوته في وجهها قائلاً: أخرجي، وأغربي عن وجهي. لدرجة أنّها إستغربت ...وبعد فترة، سمعت انه هو الفاعل حيث دخل إلى السينما، ووضع المتفجرات تحت الكرسي الذي يجلس عليه، على أساس أنّ مؤقت التفجير سوف يبدأ مفعوله بوقت محدّد. إلا أنه كان يشاهد فيلماً إباحياً، ونسي المتفجرات، والمهمة، وانسجم مع أحداث الفيلم، وإنفجرت به، وطارت قدماه.

تشهد إعدام ثلاثة أشخاص

طبيعة عمل خلود كانت شاقة وصعبة، ولم تكن بعيدة عن الإشتباك مع المواقف العصيبة.. إلا أنّ حماسها للمغامرة قد مكنّها من تحمّل رؤية المشاهد المخيفة، بهدف الإنفراد، والتميز لصحيفتها.. مع أن قلبها ينفطر ألما لو رأت عصفوراً يذبح، كما تقول، ومع هذا كانت على موعد مع مشهد لن تنساه أبداً طيلة حياتها، وهو مشهد تنفيذ حكم الإعدام بحق ثلاثة متهمين بجرائم قتل من الدرجة الاولى في السجن .

تقول إنّها، ليلة تنفيذ الحكم، لم تستطع النوم. وفي الرابعة فجراً، هيّأت نفسها للخروج، وكانت تشعر بخوف. كانت تقدم رجلاً وتؤخّر الثانية، ولكنّ عزيمتها لتحقيق سبق صحفي كان الأقوى. وصلت السجن، وعادة تنفذ الأحكام الساعة الخامسة فجراً، وقُبيل عملية الإعدام، كان الشيخ الذي سيلقنهم الشهادة موجوداً، بالاضافة إلى مندوبين عن الجهات المعنية، والطب الشرعي، وكان وقتها المستشار الدكتور مؤمن الحديدي رئيس المركز الوطني للطب الشرعي. لقّن الشيخ الأول، وكان أجرأهم، وطلب أن يدخن مالبورو، وبالفعل أحضر له الضابط سيجارة. وكانت وصيته الأخيرة أن يبلّغوا سلامه إلى فتاة يعرفها، وعندما سألته عن شعوره في هذه اللحظات، فاجأها بقوله: (شعور ناسيت)، وقال إنه

عاش حياته بطولها، وعرضها، وإنه غير نادم على شيء، وكان هادئاً هدوء ما قبل العاصفة. والتقت خلود كل واحد على حدة، حيث عادة ما ينفّذ الحكم بواحد، دون أن يراه الثاني.. أمّا الثاني، وهو أصغرهم، فكان يرتجف خوفاً، وقال لها: شو ...أنت تلاحقينني من المحكمة حتى القبر. وكان يستعجل تنفيذ الحكم حتى يرتاح، وكان بدون شعور، حيث فقد الإحساس لحظتها بأي شيء. أمّا الثالث، فكان نادماً، ومتأثراً لدرجة كبيرة ، وقال لها: أتمنّى لو يعدموني أمام المسجد الحسيني، بوسط البلد، لأكون عبرة لكلّ الناس، وأخذ يقرأ القرآن، ويبكي .

فيلم بوليسي

ومن بين القصص المثيرة، التي تعتقد خلود أنها تصلح لفيلم بوليسي، ما نشرته حول تفاصيل حادثة إستحوذت على مساحات واسعة من الجدل، بسبب بشاعة تفاصيلها، وغرابتها، وبُعدها عن قيم وتقاليد مجتمعنا الأردني، وهي قصّة شخص أخذ يضمر لصديقه البغض، وخطط لجريمته بإحكام... بدأت فصول الفيلم الحقيقي، عندما طلب الجاني من الضحية أن يصطحبه إلى مكان بعيد، حيث أوهمه بوجود كنز من الذهب ...وأخذ معه المعول، وطلب من الضحية أن يحفر، ويحفر، وفي النهاية كان الضحية بداخل الحفرة، التي كانت له الموت المحتم والقبر، حيث ضربه بالمعول وبقي في الحفرة، وعندما مات نثر عليه التراب، وكأنه قبر حقيقي دفنه فيه، وعاد ادراجه. وفي الحقيقة، فقد إستخدمت الدراما السورية هذا المشهد في أحد المسلسلات التي بثّت في رمضان الماضي.

وتقول إنها كتبت عن قضية مماثلة بغرابتها، وتتلخّص تفاصيلها بأن شخصاً كان لديه عمّال، وفي يوم فقد مسدساً من سيارته، عندما قام المجني عليه بتنظيفها، وواجهه، لكنّه لم يعترف بالسرقة، ممّا ولد لديه الحقد، وقرر ان يقتله بطريقة لن تكتشف أبداً، وبالفعل، واثناء متابعة العامل التلفزيون في غرفته، نادى عليه صاحب العمل، وطلب منه أن يرافقه في مشوار، وبعدها قتله، وألقى بجثته في مكان بعيد ..وحتى يتقن القصة، فقد إتصل من هاتف مع زميل الضحية، الذي يسكن بنفس الغرفة، ووضع منديلاً على السماعة، وقلّد صوت الضحية، وقال له إنه سيتأخر... وحتى يبعد الشبهة عنه، توجّه إلى غرفة زميل الضحية، وسأله عنه.... فقال له إنّه تلقى منه مكالمة هاتفية، وإنه سيتأخر....إلا أن التحقيق كشف اللثام ،بعد فترة، عن القاتل الحقيقي، بعد الشك به ومراقبته .

رماها بالزيت المغلي

وتقول: إن قصّة الشاب الذي أحب فتاة، وعندما رفضته قرر تشويه وجهها، قد إستوقفتها مطوّلاً، نظراً لبشاعتها، حيث قام بغلي مادة الزيت في وعاء على الغاز، وتوجّه إلى منزل الفتاة، وقرع الجرس، وقادها مصيرها أن تفتح هي الباب، وعندها رشق الزيت المغلي على وجهها، ثم لاذ بالفرار، أمّا الفتاة، فقد أصيبت بتشوّهات جسيمة، بحيث إلتصق الفم بالفك والعنق، وتم نقلها إلى المستشفى، وتبيّن أن الاصابة

شكلت خطورة على حياتها، وبعد إلقاء القبض عليه، إعترف بجرمته، وأنه قصد أن لا تتزوج من غيره .

العشيق عارياً داخل الخزانة

أما قصة السيدة التي إتّفقت مع عشيقها أن يحضر في ساعة معين إلى منزلها، بغياب زوجها، فإنها من القصص المضحكة المبكية، لأن عشيقها تسلّل حتى لا يراه أحد، وعندما مرّ من باب منزل أقاربها، خفّض رأسه، إلى أن صعد إليها، ولكن في تلك الاثناء حضرت الحماة لمنزل إبنها، وأخذت تقرع الباب، فأوهمت حماتها أنها كانت نائمة..لكنّ حماتها فتحت الباب ودخلت، وأغلقت الباب بالمفتاح، وجّوّلت في البيت، وعندما فتحت خزانة الملابس في الغرفة، صُعقت عندما رأت بداخلها رجلاً عارياً، ويجلس القرفصاء بداخلها، وعندها حاولت الحماة إغلاق باب الخزانة عليه حتى لا يخرج، إلا أنه تمكّن من مقاومتها، وخرج، وسهّلت عشيقته عملية هروبه، وفتحت له النافذة، وقفز منها، ووقع على بسطة بالشارع، وأصيب برضوض، لكنّه مع ذلك لبس الشورت الذي رمته له عشيقته من الشباك.. .. وأوقف سيارة تكسي أجرة كانت تمر في ذلك الوقت، وتمّ القبض عليه بعدها.

قتل كلّ أفراد عائلته

وتسترسل الجاعوني، حول المزيد من القصص التي عايشتها خلال فترة عملها، وتغطيتها لأخبار الجرائم والمحاكم، بالقول: هناك قصة كتبتها قبل سنوات طويلة عن طفلة إسمها زينب...في البداية فُقدت هذه الطفلة البريئة الجميلة ... وبعد أيام من البحث المضني والجهد من قبل اهلها والجهات المعنية، تبين أنها كانت تلعب قرب المنزل، ولكنّها سقطت في البئر ...وعندما إنتشلوها لم أستطع نسيان هيأتها، فقد كانت جميلة، ولكنّها ماتت، وكانت بيضاء وكأنها تمثال من الثلج الابيض.

أما قصة شاب التوجيهي الذي قتل معظم أفراد عائلته، فقد أثّرت كثيراً، حيث أنه وعلى الرغم من صغر عمره، إلا أنّه خطّط لسيناريو جريمته، بدم أكثر من بارد ...وأخذ يقتلهم الواحد تلو والآخر، ويلفّ الجثث بواسطة السجاد، والدماء غطّت اركان المنزل، ومع ذلك فعندما رأيته في الشرطة أثناء إعتقاله، فقد بدا هادئاً، وطلب سيجارة من نوع فاخر ليدخن ...وبالفعل أخذ ينفث دخان السيجارة بشكل أثار استغرابي ؟

وقصة مقتل موظفين بعد أن لحق بهما القاتل غريبة جداً، حيث كان أحدهما يحمل موبايل، وبعد أن سلب القاتل المال منهما، أطلق النار عليهما ...ولأن الجريمة دائماً غير كاملة، فقد شاء الله قبل أن يلفظ انفاسه أن إتّصل بمديره، ودلّه على القاتل، ثم مات .. وبالفعل، كُشفت الجريمة بسرعة، وألقي القبض عليه .

ومن المفارقات، التي أوردتها الجاعوني، فقصّة الحب التي ربطت بين فتاة وشاب، وكانت الجدران شاهدة عليهما، وهما يرتكبا فعل الحرام، وعندما أثمرت هذه العلاقة ثمرة الخطيئة، لم تدر الفتاة بذلك، ومرضت، واعتقد أهلها أن مرضاً أصابها، واصطحبتها أمها وشقيقها الشاب إلى المستشفى، وكانت المفاجأة التي وقعت على أخيها وقع الصاعقة، عندما إعتقد الطبيب أنه زوجها، وقال له: مبروك، زوجتك حامل، وعلى الرغم من أنه إشتكى على المتسبّب، الذي قام بعقد قرانه عليها، إلا أن شقيقها قتلها، بعد ان كان قد أعدّ سيناريو لجرمته، وإختار ظلام الليل لتنفيذها، وسدّد طعناته في صدرها، وماتت مع جنينها .

وفي الأثناء، كانت خلود تلاحق خيوط قصّة أخرى، لا تقل غرابة،أو بشاعة عن سابقتها، وتفاصيلها أن والدي فتاة تغيّبا بحكم العمل عن المنزل، وتركا إبنتهما الشابة مع إخوتها.. وفي يوم، كان شاب يعمل قرب منزلهم، وطلب منها كاس ماء بارد يروي ظمأه، وأمسك يدها عندما ناولته الماء، وعندما عاد شقيقها اخبرته بما حصل وانتظر عودة الاهل وباح بالسر الى والده الذي ذهبت ظنونه الى الاسوأ وعندما اختلى بابنته ربطها بالحبل وانهال عليها ضربا حتى الموت ولكن الطب الشرعي اكد بانها ما زالت عذراء وندم الوالد على فعلته بحيث لا ينفع الندم .

اما عن مأساة 3 فتيات مراهقات فتقول خلود بان شابا استطاع ان يلتقط بواسطة موبايله صور لهن برفقتهم واخذ بعدها يبتزهن ماليا وهددهن اذا لم يستجبن لطلبه فسوف يقوم بنشر صورهن ...كما اجبر احداهن على التوقيع على شيك على بياض ولم يكتف بذلك بل اخذ يراودهن عن شرفهن وعندها قررن الشكوى عليه ليكون مصيره السجن .وتتوقف الجاعوني والتعجب مرتسم على وجهها وهي تروي احدى الطرف حول قصة الشاب الذي تنكر بزي قابلة (فقد استوقفتني كثيرا ؟) نظرا للاثارة الموجودة بالقصة حيث ان شقيقته كانت ضحية رجل احبته وعاشت معه بالحرام بعد ان خطفها وعندما عثر عليها كانت تحمل سفاحا ثم قرر شقيقها قتلها ولذلك استعان بشقيقته التي استدرجتها الى منطقة بعيدة خالية من الناس واوهمتها اختها انها ستساعدها في التخلص من الجنين وان القابلة ستاتي الى المكان ولكنها لم تدر بالكمين الذي نصب لها وبعد ان حضرت القابلة أي شقيقها المتنكر بزي القابلة ...وحاول تقليد صوت سيدة وهو يسالها عن والد الطفل الحقيقي ولكنه لم يتقن ذلك فساورها الشك وحاولت الهرب لكن شقيقها كان لها بالمرصاد وكشف عن وجهه وحمل البلطة وانهال عليها كما ضربتها شقيقتها بحجر كبير وسقطت هي جثة هامدة ..اما المحكمة فعاقبتهم بالاشغال الشاقة 15 سنة .

لكن قصة الطفلة التي لم تتجاوز ال 13 سنة فانها من اغرب القضايا التي كتبتها (تقول الجاعوني) ..حيث استغل رجل في العقد السابع من عمره ظروف اهل طفلة وطلبها

للزواج مع انه متزوج ولديه اولاد كما انها بعمر حفيدته لكنه بالرغم من ذلك فقد عقد قرانه عليها بموافقة اهلها واحضرها الى نفس منزله مع زوجته وكانت تساعده عندما ترفض الطفلة الانصياع لطلبه والاختلاء بها ومعاشرتها معاشرة الازواج ..ولكنها في ذات مرة هربت عندما استضاف الرجل صديقه بحضورها واحست ان امرا غير طبيعي يحيط بظروف معيشة زوجها وبعدها طلقها واحيل هو وزوجته الى القضاء .

ومن بين القصاصات التي تحتفظ بها الجاعوني بارشيفها الشخصي ما كتبته عن احد ابشع الجرائم الاسرية كونها ارتكبت بحق الاهل تمثلت بحكاية شاب تقدم لخطبة فتاة ..لكن اهله طالبوه بالتريث في الزواج لان وضعهم المادي لا يسمح لكنه لم يهتم لكلامهم وكان يختلق المشاكل معه وهددهم بالقتل لكنهم لم يأحدوا كلامه على محمل الجد . وفي يوم خطط للانتقام منهم وكان وقت الظهر حيث والدته اعدت طعام الغداء وكان ساخنا ولا يزال على البوتوجاز . وعلى غير عادته كان هادئا ودخل الى المطبخ ليعد الشاي لهم ليشربوه بعد الغداء لكنه دس السم فيه وسكب الشاي في الاكواب لكنه استثنى زوج شقيقته الذي كان ضيفا عندهم اما والده فكان نائما .وقدم له مشروب غازي وبعد ان اصيبت امه واخوته بتسمم نقلوا للمستشفى وتم اسعافهم وتظاهر الفاعل انه ايضا اصيب بوجع لابعاد الشبهة عنه . وشاءت الظروف- ان تحضر شقيقته مع طفليها ثلاث واربع سنوات . حيث ذهلت عندما سمعت من والدها ان اهلها تسمموا واثناء ذلك دلف الطفلان وكان الاكل على الارض والشاي في الاكواب حيث اخذا يتناولان الطعام ويرتشفان الشاي حتى سقطا بجانب الاكل جثة هامدة . وفي المستشفى عرف بموتهما وانهار واعترف بفعلته البشعة .

وقالت الجاعوني ان هنالك قصص كثيرة ولا مجال لذكرها .. الا ان هذه القصة الاخيرة بالفعل هي اغرب من الخيال ..بدأت فصولها عندما دبت المشاكل بين الزوجين .. وفي مرة ذهبت لبيت اهلها لحضور مناسبة وعندما اتصلت به الا انه هددها ان هي رجعت سيحرقها ويحرق البيت لكنها لم تأخذ كلامه على محمل الجد وعادت وفي المساء حضر من عمله ولم يكلمها ونام ..وعندما استيقظ في الصباح كانت زوجته تطعم طفلها وفجاة هجم عليها والقاها على الارض وخنقها حتى لفظت انفاسها ..وعندها اخذ طفله يبكي ووضع يده على فمه بشدة حتى اصيب باختناق ومات .. ثم حفر في البستان قرب الدرج حفرتين وطمر الجثتين بداخلهما ...وتوجه الى منزل اهلها وسأل عنها الا انهم اخبروه انها عادت للبيت وتظاهر امام الاهل انه يشعر بخوف على زوجته وطفله وانه يخشى ان خطبا ما اصابهما وكان بيده علبة حليب اوهمهم انه اشتراها للطفل بعد ان اعتقد انها باتت والطفل عند الاهل ..ثم اخذ يبحث عنهما مع اهلها وقدم شكوى للشرطة وكان يبكي. وبعد ايام من البحث افاقت اخت الضحية الصغرى من نومها مفزوعة بعد ان رأت حلما يقشعر له الابدان . وعندما استفسرت الام عن الحلم اجابتها البنت انها رأت شقيقتها المختفية في الحلم تقول لها (لا تبحثوا عني لان زوجي قتلني وانا تحت الدرج) ولكن بالطبع لم يعر الاهل اهتماما لكلام البنت التي اعتبروها تهلوس من صدمتها لفقدان اختها .. ولم تذهب الى مدرستها وطلبت من امها مرافقتها الى بيت شقيقتها المختفية خاصة ان الزوج خارج المنزل . وبالفعل طاوعتها الام وعندما وصلتا الى البستان بقرب الدرج داست قدم البنت على شيء طري وحاولت الحفر واشتمت رائحة كريهة ثم لمحت يد شقيقتها واخذت تنبش وتصيح امي اختي ميتة وتابعوا النبش ووجدوا جثة الطفل ..وحينها نادت على الناس المجاورين واستعارت هاتف موبايل احد الجيران واتصلت بزوج الضحية ولم تخبره باكتشافها الجريمة انما طلبت منه الحضور وعندما وصل تفاجأ ..وامام الدليل المادي انهار واعترف وحكم عليه بالاعدام شنقا حتى الموت .

حكايتي مع العدد الأول

بقلم: عمر شاهين

لا ينكر أي كاتب سعادته عندما يشارك بمادة في العدد الأول، لأي إصدار جيد، وذلك ما يوازي نشوة الولد الأول، من المرأة الأولى، مهما تعدّدت بعدها النساء .

مجلة "اللويبدة" توقع لها الجميع النجاح، منذ رؤية صورة الغلاف على موقع عمون، سيما أن من سيرأس تحريرها رجل مخضرم عاشّرَ عدة أجيال صحافية، وله طريقة خاصة جدا في كتابة المقال، على طريقة المختصر المكثّف، كما أن للويبدة مكاناً خاصاً في قلوب العمانيين، الذين قدموا من شمال الوطن وجنوبه، وقد شهدت حجارتها حكاية الأردن الحديث، واستمعت أرصفتها إلى أحاديث كثيرة، أدبية تساقطت من أصابع مؤنس الرزاز، والعديد من الروائيين، وما تزال برتقالات سميحة خريس تتدحرج، حتى تتوقف عند رصيف أبو علي كشك الثقافة العربية، كما ظهرت في فيلم قصير عرضه برنامج ذاكرة الينابيع، فالاسم والمكان ذكريات كثيرة تُختصر بكلمة واحدة قادرة على استنفاد كل ذاكرتكم، وهي كلمة "اللويبدة"، التي جعلتني أدور كالتائه لأتفقد سحر المكان، عندما توجهت لأول مرة لزيارة بيت إبن عمي الإعلامي الراحل رافع شاهين .

لا أريد الحديث عن المكان هنا، ولكني أريد أن أتنقل بين عدة حكايا صادفتني مع العدد الأول، الذي نشرت فيه مقالتي " حكايتي مع الولد العطار " .

فللحكايا نكهتها في عالمنا العربي، وتأخذ مسميات كثيرة متنوعة ، فهي "خرافّة " ،و" سولافة" وأسطورة، وقصة، وسرد ، كل يسمي حسب فهمه، ومكانه، وعلمه ووقته، ولم أتوقع في ذلك اليوم أن تتحول اللويبدة إلى حكاية.

مع الكونترول

اشتريت العدد الاول من أحد الأكشاك، أثناء توجهي لركوب حافلة الزرقاء عمان ، وهناك طلب الكنترول مني تصفّحها، فرحبت بذلك، فهذا إنجاز ثقافي، عجزت عنه وزارة الثقافة، وقدمتها له، مع أني لم أرها بعد، ولم أشاهد كيف تم إخراج عطاري المتطفل، لأفاجأ أن الكنترول يعمل على حافلة أخرى، فنزلت بعد أن سارت الحافلة، مسافة كيلو تقريباً، وضحيت بأجرة الحافلة ، حتى لا أضحي بدينارين ثمن المجلة -بتستاهل أكثر- .

عدت باحثا عن ذلك الكنترول، الذي لم يحل له التثقف إلا عند مجلتي ، وهناك وجدته مبهوراً بها ومعه عصبة من زملاء العمل، ومن الذكاء التعامل معهم بلباقة، فهم متهيئون دوما للعراك، سيما وأن احدهم كان يقبض بمفتاح عجلات البنشر، وما أن أنهوا تصفّحها حتى مضى وقت زاد على نصف الساعة، كنت أجيب على أسئلتهم الشابة والساذجة وكأني عروة زريقات.

في الباص

وضعتها بحضني، وأخرجتها في الحافلة، وفجأة، دون مقدمات، سألني الراكب الجالس بجانبي :

- مين فضّل جلالة الملك: الكباريتي ولا الروابدة ؟ وشو بدهم يطيروا البخيت؟!

قرأت الخبر المكتوب أسفل الصورة، لاكتشف أن الصورة من عام 99، وشرحت له مطولا أنها أرشيفية، ولكنه أصر أن يخوض معي حوارا عن دولة البخيت، ودولة الروابدة .

بكل صراحة، لم تعجبني أسئلته، وشككت في نيته وخفت أنه منهم! فأقنعته بأنني اشتريتها لصديق لي، وأنا لا أهتم بأي مقال، ولم أطالع أي صحيفة في حياتي، سوى تلك التي كتبت فيها عزاء موت جدة حبيبتي .

فجاءني صوت من الخلف :

"طالما منتا تاع قراية، خليني أتصفح المجلة، وأشوف شو قصة "العكوب"، إمرأة خمسينية العمر، لا أظن أنها طلبت المجلة لها ،بل لأبنتها لأنها هي التي تبسمت عندما قدمت لها المجلة قائلا : بكل سرور .

غفوت قليلا بعد إشارة البيبسي، واستيقظت في مجمع المحطة، فنظرت ورائي فلم أجد المرأة ولا ابنتها، التي توقعت منها شكرا مخلوطاً ببسمة "محومرة"، سعادة الكونترول أكد لي مشكورا أنها نزلت قبلي، ومعها المجلة.

نسخة أخرى

في عمان اشتريت نسخة أخرى ، وتوجهت إلى رؤية

صديقيّ، أحدهما شيوعي والاخر إسلامي جديد طخ، ومن سوء حظي أنهما وقفا مطولاً في نقاش حاد حول مقالة حازم صاغية الليبرالي عن ياسر أبو هلالة الإسلامي، و بين كلمة إسلامية على كف ليبرالي تمزقت "اللويبدة" أثناء تصفحهما الحاد جداً فتركتها لهما.

ثالثة!

اشتريت نسخة ثالثة، وعدت مسرعاً إلى الزرقاء، بعد أن وضعتها في كيس أسود، معلنا الحداد على كل القراءة، ولا أعرف كيف أنّ زعيم زعران المنطقة أبو طنش رآها من خلف السواد، وطلب مني تصفحها، فهو يعرف أني أعرف أنه لا يعرف القراءة، بعد أن فشل لمدة ثلاثة سنوات بتخطي حرف الباء .

صورة نانسي عجرم

أبو طنش تصفّحها بسرعة، بعد أن تبضّعت من البقالة بعض المكسرات لأمخمخ على اللويبدة، الملأى بالمواضيع والصور الشيقة، لأكشف أن أبو طنش لطش أو مزق نصف المجلة، وبالذات صورة نانسي عجرم ، ومعها عشرون صفحة بالتأكيد فصورة نانسي عجرم وهي عارية الساقين متهيئة للقفز الحر على عيون المتفرجين المعتادين في بيوتهم على سيقان مليئة بالسيلويت تغري أبو ،طنش وجميع عيلته على فصل عشرين صفحة مرة واحدة .

حقا اللويبدة تنوعها وجمالها الذي استحوذ على الكثير من القراء بتنوعها وهذا ما سأذكره في التفصيل في العدد القادم عندما أخبركم ماذا حصل في الحارة معي بعد آن اشتريت العدد الثاني في "حكاية عدم القراءة في المجتمع الأردني " .

ملكة جمال الأردن تحتفظ بلقبها منذ 44 سنة

يعيش الأردنيون حالة غريبة من التناقض، قد لا تبدو مفهومة للكثيرين في الخارج. فقبل أربعة وأربعين عاماً كانت هناك مسابقة لاختيار ملكة جمال للأردن أمّا الآن، فليس بالامكان عقد مثل هذه المسابقة.

قبل نحو 5 سنوات فشلت محاولة أردنية يتيمة لتنظيم أول مسابقة لملكة جمال فيالأردن فرُدَّ المنظمون على أعقابهم واصطدموا بكم هائل من المعتقدات والتحفظات والمعارضة من قبل مجتمع مغرق في المحافظة والتدين والموروث الاجتماعي إلى عهد قريب.

وظهرت إعلانات في الصحف فاجأت الشارع الأردني ذلك اليوم تتحدث عن اختيار ملكة جمال الأردن خلال مسابقة جرى التكتم عليها وحصرها في أحد المطاعم بعد أن رفضت فنادق كثيرة إقامة المسابقة خوفا من رد فعل الشارع وحضرها عدد محدود من الأردنيين.

وكانت تلك المسابقة الأولى والأخيرة على ما يبدو في الأردن،منذ أربعة وأربعين عاماً، وفازت بها فتاة أردنية لم تتجاوز السادسة عشرة من عمرها من بين ست فتيات فقط شاركن في المسابقة .

وقد دفعت الضجة التي أحدثها الإعلان عن المسابقة الحكومة الأردنية إلى تأكيد عدم مسئوليتها عن هذه المسابقة. لكن في المقابل دفعت هذه المسابقة آنذاك بمعظم الفتيات اللاتي سجلن أسماءهن ووصل عددهن إلى 120 فتاة للانسحاب من المشاركة؛ الأمر الذي يعني وجود عدد من الأردنيين ممن يتقبلون فكرة إقامة مسابقات الجمال في الأردن.

وتحتفظ دوريس طنوس الحاج منذ اربعة واربعين عاما بلقب ملكة جمال الاردن بعد فوزها به وتمثيل الاردن في انتخاب ملكة الجمال الدولية في امريكا في صيف عام 1963 .

فقد نشرت بعض الصحف الاردنية في ذلك الوقت اعلانات دعت فيها الفتيات الاردنيات الى التسجيل والمشاركة في حفل انتخاب ملكة جمال الاردن لتمثله في مسابقة انتخاب ملكة الجمال الدولية في امريكا وانتخاب سفيرة الاناقة الاردنية لتمثله في مسابقة انتخاب ملكة جمال العالم في لندن.

واشارت هذه الصحف الى ان الحفل سيقام مساء السبت الثالث عشر من تموز /1963/ في النادي التابع لفندق فيلادلفيا بمشاركة محكمين قدموا خصيصا من لبنان لانتخاب ملكة للجمال وملكة للاناقة .

ودعت الاعلانات التي نشرت في صحيفة "الجهاد" وفي اعداد متتالية الفتيات في الاردن والقدس الراغبات بالتالق ..والمجد ..والثروة الى التسجيل للمشاركة واكدت على الراغبين بحضور الاحتفال الحصول على ارقام الطاولات قبل الحجز والحضور قبل الساعة التاسعة مساء منعا للازدحام حسب قول فؤاد البخاري الموظف السابق بدائرة المطبوعات والنشر لوكالة الانباء الاردنية .

" فندق فيلادلفيا والنادي التابع له كان قائما امام المدرج الروماني وهو الفندق الوحيد في عمان الذي

استضاف ملوك ورؤساء وزعماء العرب والاجانب خلال زياراتهم للاردن وكان يمتلكه توفيق نزال مع شركة توماس كوك الى ان تمت ازالته في منتصف التسعينيات " حسب قول الزميل جون حلبي.

مدير مكتب صحيفة الجهاد انذاك الصحفي جون حلبي يذكر كيف تصدر خبر حفل ملكة جمال الاردن الصفحة الاولى من صحيفة الجهاد التي كانت تتكون من اربع صفحات وتباع ب "15 فلسا " وافردت الصفحة الرابعة من العدد 3049 لخبر تفصيلي للاحتفال .

واشارت الصحيفة الى انه مع دقات الساعة العاشرة اعلن عن اسماء لجنة التحكيم وهم "توفيق الطباع والدكتور سمير جهشان وسامية فاخوري وسري عريضة وفؤاد الطباع وميشيل صيقلي وامين شقير" كما اعلن عن المشاركات العشر اللواتي لم يمتلك البعض منهن الجرأة للظهور على المسرح عند المناداة على اسمائهن فانسحبن وبقي منهن رقم 2 و4 فقط " حسب قول عضو لجنة التحكيم لاختيار ملكة جمال الاردن الدكتور سمير جهشان من مواليد 1930 .

ويلتقط من ذاكرته مجريات الحفل الذي تخللته استعراضات فنية لفرقة اسبانية تحكي قصة الغيرة بين المراة والمراة ليتم الاعلان مع دقات الساعة الثانية بعد منتصف الليل عن نتائج الحفل بعد ان اعتمدت اللجنة نقاطا لمقاييس الجمال هي الطول والوزن والثقافة ومعرفة لغة اجنبية واحدة على الاقل .

وقال جهشان ان رقم اربعة وهي الطالبة دوريس طنوس الحاج فازت بلقب ملكة جمال الاردن ورقم اثنين ديسبو دراكولاكيس فازت بلقب ملكة الاناقة الاردنية حيث حصلت كل واحدة على كأس فضية ثمينة وساعة واسورة من الذهب وتلفزيون وعلبة مكياج فاخرة وعطور وورود .

وتحدث الصحفي جون حلبي من مواليد 1923 عن المقابلة التي اجراها مع الفائزة بلقب ملكة جمال الاردن دوريس طنوس الحاج الطالبة في الصف الخامس الثانوي في كلية راهبات الناصرة بعمان والبالغة من العمر / 17 عاما / ومن مواليد يافا , وزنها 60 كيلوغراما ,وطولها/ 170 سنتمترا .

واشار الى ان طنوس عبرت عن فرحتها بحصولها على تذاكر سفر الى كاليفورنيا مع اقامة لمدة ثلاثة اسابيع لتمثيل الاردن في مسابقة انتخاب ملكة الجمال الدولية

الذي اقيم في شهر اب من عام 1963.

وقال حلبي انه اجرى مقابلة مع الفائزة بلقب ملكة الاناقة الاردنية ديسبو دراكولاكيس البالغة من العمر 19 عاما وانهت دراستها الثانوية في بيت لحم وهي من أب يوناني وتحمل الجنسية الاردنية ولا تتكلم اللغة اليونانية وفازت بتذكرة سفر الى لندن لمدة عشرة ايام لتمثيل الاردن في مسابقة ملكة جمال العالم .

وفي اتصال هاتفي اجرته وكالة الانباء الاردنية مع ملكة جمال الاردن دوريس الحاج التي تقيم في امريكا بينت انه "رغم تعصب والديها الا ان والدها هو الذي اشار عليها بالمشاركة في المسابقة بعد ان عرض عليه صديقه مدير فندق فيلادلفيا توفيق نزال هذه الفكرة ".

ووصفت مشاركتها في المسابقة التي جرت في كل من عمان وامريكا بانها ممتعة ..وكانت بمثابة مفاجأة لها ان تسافر وحدها لامريكا وقضاء ثلاثة اسابيع مع المشاركات في المسابقة البالغ عددهن 45 فتاة من مختلف انحاء العالم حيث اتيحت لها فرصة التعرف على ثقافات وعادات شعوب مختلفة .

وقالت انه بالاضافة الى المشاركة في مسابقة ملكة الجمال الدولية والتي حصلت فيها على رقم 19 فقد حضرت حفل مسابقة ملكة جمال امريكا .

واستذكرت طنوس كيف انها صممت على المشاركة في الاحتفال بارتدائها ثوبا اردنيا مطرزا اعتزازا ببلدها واصفة مشاركتها بانها كالحلم .

وتابعت .. يصعب علي وصف مشاعري لدى مشاركتي بمسابقة الجمال الدولية وكيف التف حولي الصحفيون وانهالت علينا الهدايا وقالت انها تشجع حفيداتها على المشاركة فيما لو اتيحت لهن الفرصة لما لها من تاثير كبير على الشخصية.

واستذكر الزميل الحلبي مسابقة الجمال والاناقة الاولى التي جرت في فندق فيلادلفيا ايضا عام 1959 والتي شاركت فيها عشر فتيات حيث فازت بلقب ملكة جمال الاردن اوفيميا ابنة الدكتور وهبه الجبجي .. وكانت لجنة التحكيم تضم مدير السياحة غالب بركات وميشيل نزال وملكة جمال لبنان السي الجدع وداود العيسى من جريدة "فلسطين ".

وقال ان اوفيميا شاركت في مسابقة الجمال الدولية الا ان الحظ لم يحالفها مشيرا الى ان اوفيميا هي التي سلمت الكأس الى ملكة جمال الاردن دوريس .

وعن اقتصار التغطية الاعلامية لحفل مسابقة ملكة جمال الاردن في عامي 1959 و 1963 على صحيفة " الجهاد" بين الزميل الحلبي ان الاردن حاله حال الدول المجاورة كان اهتمامه الاول والوحيد ينصب على قضية العرب الاولى "فلسطين" الا ان جريدة الجهاد اعتبرت المسابقة من باب ترويج الاردن سياحيا . ملكة جمال للأردن

مشروع لانهاء حرب اليمن
الجهاد

مسابقة الجمال الاردني

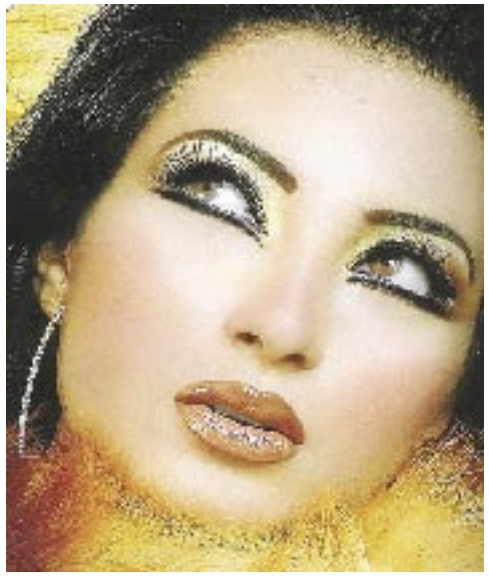

حائرون على "النت": من منهنّ التي فازت بلقب الجمال الأردني؟

ليس بين الصورة المنشورة أعلاه واحدة للفتاة التي فازت بلقب الجمال الأردني، قبل عدة سنوات، ولم تنشر صورها، لسبب المشكلة التي أثيرت، ومنعت الجميع من تبني المسابقة، ووصل الأمر إلى محاولة بعض الشباب تخيّل شكل الفتاة التي فازت وهذه الصور تمثّل هذا التخيّل ونشرت على المواقع الالكترونية!

مقدمة:

ليس هناك من سبب لهذا الكتاب، سوى أنّ هناك شعوراً جامحاً يجتاح النفس، بأنّ ملاك الرحيل يجول في الأنحاء، محاولاً قطف هذه الثمرة التي لم تنضج بعد: ثمرة روحي...

وكثير، كثير، ممّا هنا، في الكتاب كان محسوباً له أن يظهر في رواية، لكنّ "المحسوب" لا يأتي دوماً حسب الحساب، وكثيراً ما نُقدّر فيضحك القدر، وهذا الكتاب ليس أكثر من محاولة مغافلة للقدر الذي يُباغت، ليصبح هو المضحوك عليه، لا الضاحك الذي تعوّد على فعلته حتى ظنّها أمراً لا رادّ له سوى قضاء الله، والأمل أن يسود هنا القضاء لا القدر!

وكثير، كثير، ممّا كتبت في حياتي، وهو كثير أيضاً، كان مجرّد مغلّف يحمل رسالة تتحدّث عنّي، وحتى الرموز التي استخدمتها في روايات، ومقالات، وكتابات وجدانية صريحة، أو مضمّنة، كانت تحوم حولي، وأظنّ أنّ حالي كحال كلّ من ابتلي بمرض القلم، وفيروس الكتابة، فهذا ليس جديداً، ويعرفه القارئ قبل الكاتب، وهنا، في حقيقة الأمر، تكمن روعة لعبة الكتابة...

هنا، إذن، ليس ثمّة مكان للألغاز، إلاّ قليلاً، فأنا هنا أتحدّث عن نفسي، بالصراحة الممكنة، دون أن ألغي ما كنتُ بدأت كتابته على شكل رواية كان عنوانها "نابليون وأنا"، واعتمدت على وثائق تاريخية أتت من محاكم شرعية، وخزائن الأهل والأصدقاء، وتتعلق بعائلتي منذ إعادة تكوينها في يافا أواخر القرن السابع عشر، ودون أن ألغي أيضاً ما نشرته بأشكال متعددة مثل "أيام رمادية" التي نُشرت في الصحافة، حيث زيارتي لبيتي في القدس، وبيوت أهلي في يافا، وغيرها من موضوعات، و:" الطلقة الأخيرة"، التي جاءت بعد حضوري توقيع "وادي عربة"، في يوم ساد فيه الغبار على الأجواء، وأجزاء من مقالات هنا وهناك...

أنا، هنا، أكتب من وحي ملاك الموت، وأعيد الكتابة من وحي ملاك الماضي، وأكتب، وأكتب، من وحي ملاك الحياة، التي قد تطول، وتطول، أو تقصر، وتقصر، حتّى لحظة الكتابة...

ما أقوله: إنّني أسابق الموت، وقد أسبقه، أو يسبقني، ولكنّه غالبني في آخر الأمر، كما فعل مع غيري في مطلق الأحوال...

باسم

١

الثلج يغطّي عمّان...

وأنا أحتسي الفودكا، على الطريقة الروسية التقليدية: كأس صغيرة أشربها دفعة واحدة، وأخفّف من حرقتها برشفة من عصير برتقال.كُنت أنتقم من نابليون على الطريقة الموسكوفية، بتأمّل الثلج الذي منعه مثله من الوصول إلى موسكو، وأستمع إلى أغنية ووترلو التي تنعي القائد القزم، وأسرح في عينيها، في عيني جوزفين.

كُنت أتأمّل صورتها المنعكسة على البياض...

رنّ جرس الهاتف كانت جوزفين على الجانب الآخر من الخطّ.قالت، وكأنّها تقرّر أمراً: وعدتك، وسآتي لتنفيذ الوعد الآن.لم أفهم، فسألتها، ردّت بما يُشبه الدلع: هل نسيت...حين يبلغ إرتفاع الثلج في عمّان متراً ونصف المتر؟

تذكّرت، تذكّرت بالطبع...

سألتها: وهل وصل الثلج إلى طول ذلك القزم؟

أكّدت: سمعت ذلك الآن في الأخبار.

كنّا، جوزفين وأنا، نمارس في لقاءاتنا لعبة الكلمات. لا شيئ يجمعنا سوى الكلمات. سوى البوح، وفي يوم جرفنا الخمر إلى مناطق محرّمة، إلى أحاديث الجسد والتجارب، فمارسنا لعبة الكلمات حتّى آخرها، حتّى ما بعد آخرها، حتّى كان لا بدّ للجسد من أن يشتعل. لكنّ جوزفين كانت جارحة في سخريتها حدّ المفاجأة. وضعت يدها على فمي المتوجّه نحو شفتيها طالباً قُبلة، وقالت: "سنفعلها حين يبلغ ارتفاع الثلج في عمّان متراً". الغريب أنّني لم أشعر بالاهانة، إنكفأت إلى نفسي، للحظة، ثمّ عدنا إلى الكلام، شعرت هي بإساءة التصرّف، فقالت: "أعرف أنّني أبدو حقيرة، ولكن صدّقني، فأنا لم أقصد الإساءة، وأحبّ أن أقول لك إنّ إرتفاع الثلج سيصل إلى المتر، ولكنّني لا أعرف متى. ثق بي،فأنا أشعر بذلك". رددتُ بعفوية خالصة، وبلهجة من يُريد الإنتقام: " بل سنفعلها حين يطال الثلج إرتفاع القزم، حين يصل إلى المتر ونصف المتر".

٢

بيني ونابليون ثأر قديم...

من ذلك النوع الذي لا يُنسى، أو يُغتفر...

ولو انقصف عمري، فجأة، بجلطة في القلب أو الدماغ، كما حدث لكثير من أصدقائي مؤخراً، فسوّف أورّث هذا الثأر لإبني، ولإبنه، وحفيده، والقادمين من بعده، حتّى آخر يوم في الدنيا، فما ارتكبه نابليون بونابرت في حقّ جدّي السابع لا يُغتفر، لا يمكن أن يُغتفر لا، لا يمكن أن أنساه، حتّى ولو لم أكن شهدته شخصيّاً...

وليتني لم أعرف القصّة...

ليتني لم أعرف أن قائد حامية يافا، في ذلك العام كان عبد القادر الكعكاني، جدّي الثامن الدمياطي القادم من قرية درغام، البرزخ الذي يفصل ويربط النيل بالمتوسّط، إلى يافا، البرزخ الذي يفصل ويربط روبين بالمتوسط، ليحميها من عدوان بحر، فجاءه ذلك الذي ارتدى عمامة الشرق كذباً، من البرّ، من مصر، فحاصره ومن معه، وحاصره، وحاصره، حتّى أكل الناس الفئران

والديدان، وطبخوا الحشيش وأوراق شجر البرتقال، وتفشّت بينهم الأمراض، وظلّ عبد القادر يقول لا للتفاوض، لا للتنازل، بل ونكّل بالجندي العثماني الذي بعثه نابليون، فقتله، وبعث برأسه إلى القائد الفرنسي، لكنّه في نهاية الأمر إستقبل موفداً فرنسياً من جيش بونابرت، وحصل منه على وعد بالدخول السلمي، وورقة موقّعة من ذلك القزم بعدم مسّ أيّ روح،أو إيذاء أيّ بشر، أو هدم أيّ بيت، أو قطع أيّة شجرة...

لكنّ نابليون الذي صفعته يافا بصمودها، وعناد جدّي عبد القادر، كان يضمر الشرّ، مثل أيّ شيطان رجيم، فدخل المدينة، التي فتحت أبوابها ببراءة، وقتل منها أربعة آلاف وأربعمئة وأربعين رجلاً، ورجلاً أضافياً هو جدّي السابع. ببساطة أمر جنوده بقتل الرجال أوّلاً، فلم يبخل هؤلاء بالقتل الجماعي بالرصاص، لكنّه إكتشف في اليوم التالي أنّ الذخيرة ستشحّ مع تلك الأعداد الكبيرة، وضرورة استخدام أكثر من رصاصتين لقتل شخص واحد، وكلّ ذلك سيؤثّر في حملته الذاهبة إلى الشمال، إلى عكّا، فصور، فالاسكندرون، ليصل إلى الأستانة فيحتلّ مركز الخلافة، وربّما يعلن نفسه خليفة، ويواصل إلى مقدونيا، فيحتلّ مسقط رأس الإسكندر الكبير، ويعلن نفسه إمبراطوراً للعالم...

أراد أن يُثبت للإسكندر، في قبره المجهول، أنّه أهمّ منه...

الذخيرة كانت مهمّة، إذن...

أمر، في اليوم التالي، بعدم استخدام الرصاص، بل السلاح الأبيض، فجمع جنوده الباقين من الرجال والنساء والأطفال من سكان يافا في الساحة العامّة وأخذوا، ولمدّة ثلاثة أيّام، في قتلهم ببقر بطونهم، وقطع رؤوسهم، دون أدنى برود أعصاب كان يريد الإبقاء على الجنود، ليكونوا حطبه في حربه التي كانت تشتعل في ذهنه، ليكونوا جزءاً من جيشه، لكنّهم رفضوا، وتضامنوا مع جدّي، تضامنوا مع أنفسهم. وقف نابليون اللعين، على الشاطئ، يتطلّع إلى الغرب، إلى البحر، إلى ما سيوصله نظره لو كان يملك ما ملكته زرقاء اليمامة، إلى مسقط رأسه جزيرة كورسيكا، فرأى جزيرة بحجم سفينة صغيرة تنتصف الماء، قريباً جدّاً من الشاطئ...

رأى صخرة آدم...

الصخرة التي ظلّت عصيّة على الذوبان في المتوسّط من قهر الأمواج منذ آدم، لأنّها شهدت عودته مع حوّاء إلى الأرض الصخرة التي وضع عليها نوح فلكه، وفيه من كلّ جنس نوعان، لتغرق الدنيا في فيضانها، فيظلّ

طائفاً ومن معه فوق الماء، فتتدمّر الدنيا بما عليها، لتبدأ من جديد حين إنحسر الماء، واستقر الفلك على جبل آرارات التركي. صخرة جدّي عبد القادر الكعكاني، الذي أراده بونابرت أن يكون عبرة لهؤلاء الجنود الرافضين. أمر سيّافه بالحضور، وأسرّ إليه بأمر. ذهب هذا وعاد بعد دقائق بجدّي وبعض من الجنود الفرنسيين وبمركب. ركبوا المركب، وتوجّهوا نحو الصخرة. ظلّ جدّي واقفاً، وصلوا. كان جدّي واقفاً، يتقدّمهم نحو الصخرة.

ولهذا، كلّه، قصّة، طويلة...

طويلة، بدأت هناك على شاطئ الخليج العربي، في دبي، وتتعلّق بالروائي الأميركي الأسود أليكس هيلي، صاحب:"الجذور" الذائعة الصيت...

٣

دبي، يا دبي...

يا مدينة تختصر العالم كلّه في شارع واحد.

ستلتقي، هناك، في ذلك الشارع، يابانيين يبيعون الالكترونيات، وأميركيين يؤسسون سوقاً للأوراق المالية، وأفارقة يعملون بما يشبه السخرة، وباكستانيين يخدمون في البيوت والحكومة والجيش وبدواً يبيعون البخور والعود، وكتّاباً يبيعون روايات وقصصاً وأخباراً، وهنوداً يبيعون كلّ شيئ.

دخلتها ليلاً.

المدن يُمكن أن تُحبّ من النظرة الأولى، وهذا ما فعلته دبي معي، فقد أسرت قلبي وأنا أتطلّع عليها من الجو. كان الخور يشكل لساناً طويلاً يمدّه البحر في وجه اليابسة. خمسة كيلومترات من البحر داخل البرّ، نهر من نوع مختلف، مالح الماء، لكنّ له ضفّتين: دبي، وديرة. دخلتها زائراً بنيّة المكوث هناك خمسة أيّام، فقضيت فيها خمس سنوات.

كان والدي واحداً من عشرات الصحافيين العرب اللاجئين الذين ضاقت بهم بلادهم. فقد أغلقت صحيفته للتوّ، ومع كلّ التحمّل المعنوي لاضطهاد غير مبرّر، كان الضغط المادي سبباً رئيسياً لهجرته التي لم تطل هذه المرّة، فتحويشة العمر راحت مع قرار رئيس حكومة ظنّ أنّ مقالة لوالدي تقصده شخصياً، وتتّهمه باجراء مفاوضات سرية مع إسرائيل، وفي ذلك الزمن كان حتّى أكثر السياسيين رجعية يعتبرون الأمر تهمة، مع أنّه صادف أنّ الرجل كان يزور جزيرة رودس في وقت زارها فيه موشيه ديان، ولكنّ معايير ذلك لازمن كانت مختلفة، فالآن يستطيع صاحبنا أن يلتقي الاسرائيليين في تل أبيب، أو عمّان، دون أدنى تحسّب...

كانت صحيفته قد أغلقت، ووجد نفسه يقترب من الفقر، وفي عزّ تلك الأزمة، يأتيه هاتف من صديق قديم، من أيام القدس، الحبيب حتى آخر العمر رياض الشعيبي، عارضاً عليه تأسيس صحيفة في دبي، براتب يكاد يقترب من الخيال: خمسة عشرة ألف دولار شهرياً، وبيت وسيارة، وما أراد من استقلالية. سافر والدي على أساس العودة بعد يومين، ولكنّه على ما يبدو أحبّ البلاد، والعباد، والتجربة، فأبرق لليلى أمّي بتذكرة سفر، وهاتفها لأخذ التذكرة ، ففعلت فوراً، لعلّها أرادت الخروج من جوّ عمّان الخانق.

ما جرى معه جرى معها، فقد أحبت دبي، فشهر في هيلتون دبي، تبحث خلاله عن بيت جديد على ضفاف الخليج، وتتنقّل من مطعم إلى آخر مع حبيبها، زوجها، دون إتّصالات آخر الليل وأوّل الصباح، يبدو جنّة العمر، وفي آخر الأمر فالبيت كان في الجميرة، ببركة سباحة تأتيها الطيور الاستوائية المزركشة من حديقة الطيور العامّة القريبة، والمفروشات المفترضة كان ينبغي أن تأتي على ذوق صاحبة البيت، دون أيّ تحفّظ على المصروفات.

الجنّة هنا، والجحيم هناك، لليلى وإبراهيم إذن!

وكان هناك مشكلة صغيرة..

مشكلة إسمها: باسم!

فباسم، الذي هو أنا، إبنهما البكر والذكر الوحيد، ما زال في الجامعة، في آخر سنة له، وله خططه المكتملة في العمل في وزارة الخارجية، ووظيفته تكاد تكون جاهزة، وأهمّ من ذلك كلّه فقد كان لباسم خطط لا يمكن التنازل عنها عنوانها عمّان، وإنهاء قصّة حبّ طويلة بالزواج، وليس هناك من مجال لمكان إسمه دبي، في ذلك المخطّط الذي إتّضح، كما هي كلّ المخططات، مخططات الحبّ.. مستحيلة.

ولكنّ باسم، كما لم تعرف ليلى وابراهيم، كان دخل في مرحلة جديدة من العمر، ليس فيه ذلك الحبّ المراهق الطويل المزمن، الحبّ الأوّل. وتلك قصّة أخرى.

وعلى ضفّة الخور عند التقائه بالبحر إلتقيته.

كان أليكس هيلي، الكاتب الأميركي الأسود، مؤلف رواية "الجذور" في أوج شهرته، حين علمت بأنّه سيصل في اليوم التالي إلى دبي. قبلها بأسابيع قليلة من بدايات العام ١٨٩١، تابعت في التلفزيون الاسرائيلي زيارته لاسرائيل، ولقاءه غوادا مائير ومناحيم بيغين، وتصريحاته المعجبة باسرائيل.

كان ذلك الحدث غريباً، بمعنى أنّ الاعلام العربي لم ينتبه له، فلم يرد خبر واحد عن الزيارة، مع أنّ زيارة شخص كهيلي إلى إسرائيل مهمة، باعتبار أنّ الرجل الذي إشتُهر بادانته العنصرية، يزور أكبر دولة عنصرية، ويعطيها صكّ الغفران.

رتّبت معه موعداً، في يوم وصوله، ضامراً في نفسي كميناً صحافياً، لم يثنني عنه حبّي السابق له، وإعجابي بأعماله، فقد ارتكب لارجل خطيئة لا تُغتفر، فقد تطاول على فلسطين، بزيارته لاسرائيل!

في الموعد، وصلت إلى الفندق الفخم، لتستقبلني مديرة أعماله، ولأتعرف عليه، وأبدأ معه حواراً صحافياً طويلاً، عادياً في أوّله، مثيراً في نهاياته. سألته في البداية، عن روايته الشهيرة، وأعماله السابقة، والمسلسل التلفزيوني، وأوضاع السود في الولايات المتحدة، وغير ذلك من الأسئلة العادية المتوقعة، فاسترسل في الشرح والعرض، إلى أن بدا عليه التعب، وكان واضحاً أنّه سينهي المقابلة، في أية لحظة، عندها سألته: هل هي أوّل مرة تزور فيها الشرق الأوسط؟ لم ينتبه إلى ما أقصد، فردّ بأنّها المرة الأولى، وأنّها كانت تعني له النفط والصحراء فقط، ولكنّ ما شاهدهحتى الآن يثبت بأنّها ليست كذلك، وأنّه معجب بها كثيراً.

لكنّي باغتته قائلاً: لكن فلسطين المحتلة في الشرق الأوسط أيضاً، هل زرتها؟ هنا كانت المفاجأة واضحة على وجهه، فقال: لقد زرت اسرائيل... نعم، وأذكر أنّني مررت بمنطقة محتلة إسمها نابلس، ولكن بسرعة!

بالغت في استفزازه، بأن قلت: لكنّ إسرائيل هي أيضاً فلسطين المحتلة، ردّ وقد استجاب للاستفزاز بأكبر منه: أنا لا أريد أن أتحدث في السياسة، لكنّني أريد أن أقول لك إنّني أعجبت بتلك البلاد كثيراً، وبنايها أكثر، قل لي... من أين أنت... أنت لست من دبي؟

أجبته: أنا من هناك...من فلسطين، ولكن ليس هذا ما نتحدث عنه، أنت من أهمّ الكتاب المناهضين للعنصرية، وتزور أكثر البلاد والعباد عنصرية في التاريخ. حول موقفك منها، أريد إجابة صريحة؟

ملكه جوّ التحدّي، ودخل في لعبتي، فقال: صدّق أنّني لن أنسى تلك الزيارة، وأكثر من ذلك، فأنا معجب بطريقة تفكير الاسرائيليين، فمسؤولوهم لا يقولون أنا، إنّهم يقولون نحن دائماً، وهذه هي روح الجماعة في العمل إنّها سرّ نجاحهم؟

كان واضحاً أنّه يدخل أكثر، فأكثر، في لعبتي، فأمطرته بالأسئلة المستفزّة، وهطلت عليّ إجاباته التي تصلح كلّها عناوين عريضة، يمكن لها أن تضع صحافي ناشئ على خريطة المهنة، وغير ذلك، فهي تحقّق ثأراً شخصياً صغيراً لشاب فلسطيني تأذّى من كاتب أحبّه واتخذه مثالاً، ولكنّ خُذل في أوّل موقف وفي لحظة متوقعة، أوقف المقابلة، وقال: لقد تعبت، لديّ محاضرة غداً، رددت: ولكنّ لدي أسئلة أخرى! قال: آسف، لقد انتهت المقابلة!

وكان ذلك ما أردته فعلاً: أن يُنهي هو المقابلة قبل أن تنتهي أسئلتي، فحملت مسجّلتي، وأوراقي، واستأذنته بالخروج، وخرجت أحمل أوّل وأهمّ سبق صحافي في حياتي. كان الوقت قُبيل الغروب، وعليّ أن أنهي كتابتي بسرعة لتظهر في اليوم التالي، وحين هاتفني مدير التحرير العام، أستاذي الحبيب، اللبناني الأصيل، خليل الخوري وما زلت في مقدّمة الكتابة، ولخّصت له ما جرى، أفرد المساحة اللازمة، وأشرف بنفسه بعدها على العناوين، والصياغة المحترفة، وجاء اليوم التالي ليحمل لي أوّل الصخب الصحافي الخاص، وكارثة محقّقة لأليكس هيلي. فقد أنهيت الموضوع بأسئلة مفترضة كان عليه أن يجيبها، ولكنه أنهى المقابلة قبل أن يفعل، وأهمّها: لماذا لا يكتب عن جذور رجل فلسطيني، عائداً سبعة أجيال إلى الوراء، لنعرف من أحقّ في فلسطين، هذا، أم واحد لا يملك ولو جذر واحد فيها؟

وكان ذلك هو السؤال الأول، والأخير، الذي قابله فيه طلاب جامعة العين في الامارات في اليوم التالي حيث يُفترض أن يُلقي محاضرته. رفض الطلاب في البداية الحضور، ومع إصرار إدارة الجامعة، دخلوا وحين وصل هيلي أداروا ظهورهم له، وكلّفوا رئيس اتحاد الطلاب أن يسأله ذلك السؤال حول الأجيال السبعة، فردّ هيلي بأنّه سيكتب عن صبي فلسطيني بدوي، لاحظوا كلمة بدويّ، ويعود إلى أصله كما فعل مع كونتا كينتي، إلى سبعةأجيال.

وخرج هيلي شبه مطرود من الامارات، وفي ليلة سفره قال لصديقي الذي أبلغني أصلاً بزيارته: أتدري أنّ لعيناً فلسطينياً بدأ كلّ ذلك، ولم يكن يعرف أن صديقي ذلك فلسطينيٌ من القدس، فكتبت مقالة بهذا المعنى في اليوم التالي، وكرّست نفسي، قبل أن يفعل الآخرون، صحافياً.

وقد يكون هيلي نسي الحادثة، وأظنّه كذلك، وفي سفرة للولايات المتحدة حاولت عبثاً لقاءه، قد يكون للاعتذار عن التصرف الطائش، أو لتذكيره بوعده حول الكتابة، ولكنّ تلك الحادثة ظلّت محفورة في البال باعتبارها وعد كتابة، وها هو الوقت يأتي فأكتب ما لم يكتبه هيلي عن بدوي فلسطيني، عنّي...

يصدر الكتاب عن مؤسسة الأرشيف العربي/ عمان- الأردن، في كانون الثاني 2007

صوت وصورة

الملك يتسلّم من رئيس الوزراء شهادة براءة فوز بترا

LIVE IT. LOVE IT!

JORDAN

- Established Rule of Law
- Thriving Private Sector
- Competent Labor Force
- Gateway to the Middle East

JORDAN KUWAIT BANK

" More than just a bank "

P.O.Box 9776, Amman 11191 - Jordan
Tel. (962 6) 5629400 , Fax (962 6) 5695604
SWIFT: JKBJJOAM , E-mail:webmaster@jkbank.com
http://www.jordan-kuwait-bank.com

الأميرة منى الحسين تحصل على درجة الدكتوراه الفخرية
في العلوم من جامعة جلاكسو/ كالدونيان

برعاية الملكة نور الحسين
مؤتمر الاطفال العرب الدولي السابع والعشرون

تقديراً لجهود الملكة رانيا .. الصحة العالمية تعتمد الوطني لشؤون الأسرة مركزا
للتعاون والوقاية والحماية من العنف الاسري

انتخاب الأميرة هيا بنت الحسين لعضوية اللجنة الأولومبية الدولية

سمو الاميرة عالية الفيصل تكرم الطلبة
المتفوقين ضمن برنامج دعم الطلبة
لجمعية الايدي الواعدة

البخيت يطلق الموقع الالكتروني الخاص بمسودات القوانين والتشريعات الاردنية

اتفاقية تعاون بين المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي ودائرة قاضي القضاة

اتفاقيات تعاون لتنفيذ مشاريع تنموية في البادية الاردنية

الاردن يشارك في ندوة الشراكة الاوروبية العربية

الاونروا تتسلم ربع مليون دولار من الهيئة العربية للاستثمار

اطلاق شبكة .. اخطبوط .. المهنية الالكترونية

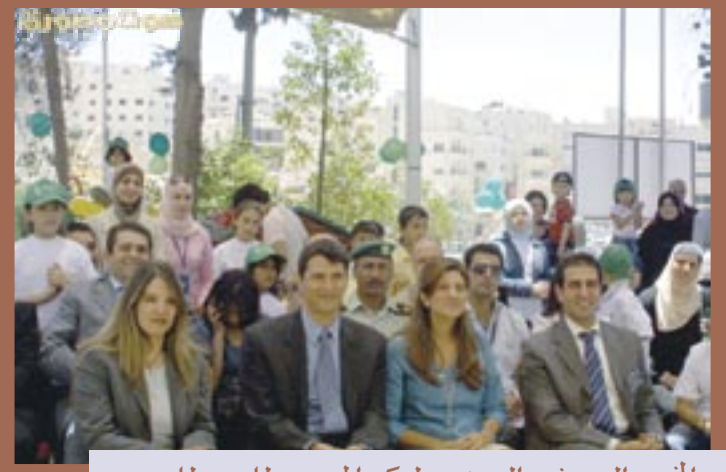

الاميرة دينا مرعد تفتتح المخيم الصيفي السنوي لمركز الحسين للسرطان

توقيع اتفاقية وديعة بمليوني دينار لصالح مؤسسة الحسين للسرطان

انطلاق فعاليات صيف عمان

الامير حمزة بن الحسين يرعى حفل تخريج طلبة اليوبيل

الاميرة بسمة ترعى حفل تخريج مدرسة الشويفات الدولية

الاميرة عالية الفيصل ترعى حفل تخريج طلبة المدرسة الارثوذكسيه

وكالة الانباء الاردنية تحتفل بالعيد الثامن والثلاثين لتأسيسها

الاميرة ايمان بنت الحسين ترعى انطلاقة مؤتمر الاطفال العرب

فعاليات معرض اعمال طلبة الجامعات الاردنية في تكنولوجيا المعلومات الثالث

الامير مرعد يسلم عددا من الكراسي المتحركة لذوي الاحتياجات الخاصة من العسكريين

وزير المياه يرعى حفل اطلاق شركة مياه الاردن .. مياهنا

وفد عسكري سعودي يطلع على تجربة بترا الاعلامية

تشجيع الاستثمار تنظم برنامجا تدريبيا لتعزيز دور السفارات في استقطاب الاستثمارات الاجنبية

غنوة اول شابة تحصل عل درجة البكالوريوس من قرى الاطفال SOS الاردنية

يوم مفتوح للاطفال والامهات في جمعية السلط الخيرية

الامير الحسن يطلق برنامج الشباب الاورومتوسطي

جودة والخصاونة يستقبلان وزير الثقافة والاعلام السعودي

الامير رعد يفتتح مركز الشريف للعيون

درع الامن العام للزميل الرواشدة

السفارة اليابانية تقدم منحة لجمعية تنمية وتاهيل المراة الريفية

اليابان تتبرع للهلال الاحمر الاردني بمبلغ 53 الف دولار

افتتاح معرض الصور الفوتوغرافية ربيع الاردن

الفايز يرعى حفل تخريج الفوج الثامن من طلبة جامعة الحسين بن طلال

مدير الامن العام يتفقد مركز حدود العمري

وزير الاوقاف يشرح في تونس مضامين رسالة عمان

رئيس مجلس النواب يلتقي عددا من رؤساء تحرير وناشري الصحف الاسبوعية

تخريج فوج جديد من طلبة جامعة الاميرة سمية للتكنولوجيا

جامعة الطفيلة التقنية تخرج الفوج الثاني من طلبتها

حفل اطلاق موقع الكتروني لنشر نتاجات المؤلفين والباحثين

اختتام دورة صحفية في وكالة الانباء الاردنية

بترا تحتضن ورشة متخصصة لرؤساء تحرير صحف عراقية

وزارة السياحة تعد خطة شاملة لتسويق البتراء

افتتاح معرض سوق الاندماج 2007

طفلة تمثل الاردن في الاسبوع العالمي السادس للاطفال المصابين بسرطان الدم في تركيا

مجموعة نقل وتكية ام علي توقعان اتفاقية شراكة لمحاربة الفقر

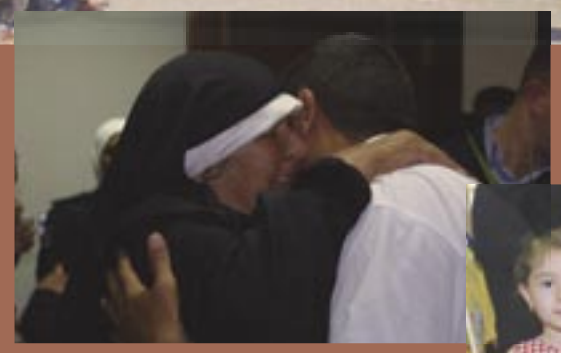

عرس وطني بمناسبة عودة الاسرى الاردنيين
من السجون الاسرائيلية بسلام

العلي تلتقي وفدا من المجلس الوطني الاميركي

عمان العربية للدراسات العليا .. تكرم طلبتها المتفوقين
والناجحين بامتحان الكفاءة الجامعي

مسؤول سريلانكي يؤكد متانة علاقات التعاون بين بلاده والاردن

امين عمان يفتتح مجمع سفريات الشمال

وزارة العمل تتسلم منحة من الحكومة الايرلندية لانشاء مكتبة في مركز تدريب مهني مادبا

ورشة عمل حول البحث العلمي والتطور في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في دول المتوسط